الشعر العربي في بلاد العجم
فـي الـقرن الـسادس للـهـجرة

من خلال خريدة القصر وجريدة العصر
للعماد الأصفهاني المتوفى سنة 597 للهجرة

رسالة تقدمت بها:

جـــنان قـحـطـان فــرحــان

إلى مجلس كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

وهي جزءٌ من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إشراف الأستاذ الدكتور ناظم رشيد

1427 هـ 2006 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾

(يّس:58)

صدق الله العليّ العظيم

الإهـــــداء

إلـــيـكــمـا

يا مَـن ضـحـيـتـما بالـراحـة لأجـــلـي

أبــــي وأمـــــي

المحتوى

المقدمة

الشعر من أقدم الآثار الأدبية عهدًا ؛لعلاقته بالشعور ، والشعر مادته الخيال، والخيال غذاؤه الحسُّ ،والعرب لا يرون من المناظر غير وجوه البادية ،ولا يسمعون من الأقاصيص إلا البطولة والحرب ،وعرفوا من الجمال جمال الطبيعة والحياة من حولهم وجمال المراة ...الخ . فقد أبدعوا في وصف ما شاهدوه، وأجادوا التعبير عن عواطفهم ،وتفننوا في أغراضه وأوزانه وقوافيه. والشعر العربي غنائي محض، والأمة العربية أمة شاعرة ،لا تستسيغ الشعر إلا إنشادًا، فأقبل الشعراء يصورون أنفسهم بما فيها من مشاعر وأحاسيس وعواطف،تكاد تتشابه في أكثر القلوب،ويكاد التعبير عنها يتفق في أكثر الألسنة ،ومن ثَمَّ نشأ في الشعر التكرار ،وتوارد الخواطر، ووحدة الأسلوب ،وتشابه الأثر .ووعى الشعراء هذه المسألة . ولا سيما شعراءُ العصر السلجوقي . ،فراحوا يحاكون أشعار الأقدمين ،ولكنْ بصور جديدةٍ على الرغم من الأحداث الجسام التي مرَّ بها القرن السادس ، المتمثلة (بالحرب الصليبية) ، وامتداد رقعة الإسلام إلى أقصى ما وصلته في الشرق ،وانتشار اللغة العربية انتشارًا لم يتهيأْ للغةٍ غيرها .

ولقد نبهني أُستاذي الدكتور ناظم رشيد إلى كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر للأصفهاني . قسم بلاد العجم) الذي تم طبعه مؤخرًا بثلاثة أجزاء، الجزء الأول (أصفهان)،والجزء الثاني(خراسان وهراة)،الجزء الثالث (فارس)،وفيه شعر غزير، لم تُخصص له دراسة علمية مستقلة تستخرجه من مصادره ، لتوثقه، وتستقصي فنونه،وتستنبط الأحكام فيه بعد تحليله،لما في ذلك من فائدة للغة بشكل عام،وللأدب بفنونه بوجهٍ خاص.

وقد خصصت دراستي هذه لموضوعٍ واحدٍ مما تضمنه الكتاب،وهو:الشعر العربي في بلاد العجم في القرن السادس من خلال خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصفهاني المتوفى سنة 597 للهجرة.

وأمّا خطة الدراسة فقد تضمنت تمهيدًا،حاولت فيه دراسة الحياة السياسية والأدبية في بلاد العجم في القرن السادس للهجرة ،وحاولت الوقوف عند العوامل التي كان لها أثر مباشر، أو غير مباشر على الجوانب الأدبية في ذلك العصر،إذ لا يمكن أن نفهم الأدب بعيدًا عن الحياة المحيطة به ، وكذا عرضت بإيجازٍ لثقافة العماد ومؤلفاته، ولا سيّما الخريدة.

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: خُصِّص لدراسة المشهورين من شعراء الخريدة وهم ثلاثة:

الأبيوردي المتوفى سنة(507)للهجرة،شاعر(خراسان وهراة). والطغرائي المتوفى سنة (515) للهجرة شاعر (أصفهان). والأرّجاني المتوفى سنة (544) للهجرة شاعر (فارس).

وشمل الفصل الثاني: الأغراض الشعرية التي تناولها كِتّابُ الخريدة ،وكان تصنيفنا لهذه الأغراض اعتمادًا بالدرجة الأساس على معيار الجودة، ثم الأكثر رواجًا في العصر،وهي:المدح،والغزل،والرثاء،والفخر،والشكوى،والهجاء،والوصف،والإخوانيات والخمريات،والحكمة والموعظة.

وأخيرًا الفصل الثالث :الذي درست فيه الملامح الفنية وتضمنت :

1- اللغة والأسلوب .

2- الوجوه البلاغية .

3- الأوزان والقوافي.

وجاءت خاتمة البحث موضحةً النتائج التي توصلتِ الدراسة إليها.

وقد اعتمدت دواوين الشعراء الذين توافرت دواوينهم ، مع الاستفادة من كتب التأريخ والنقد والبلاغة،وكتب تواريخ الأدب ،وكان لكتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) للعماد الأصفهاني حضور واضح في وضع حجر الأساس لهذه الدراسة.

وبتوفيق من الله عزوجل ،ومتابعة الأستاذ الدكتور ناظم رشيد المشرف على هذه الرسالة وحرصه، فقد تمت فصول هذه الرسالة،فقد منحني أُستاذي الكريم الكثير من وقته الثمين ،وإنّي لأعجز عن شكره وتقديره والثناء عليه ،وإنّي لأعترفُ بفضله وعلمه ومعاونته وتشجيعه،جزاه الله خيراً عني وعن العلم وطلبته ، وعافاه، وأطال في عمره ،وبارك لنا الله فيه.

وأتوجه بالشكر والتقدير لأساتذة قسم اللغة العربية جميعًا ،لما أبدوه من عون وتوجيه ،وأخص منهم الدكتور حسن منديل رئيس القسم .

واقدم وافر شكري وامتناني الى الاستاذ الدكتور احمد اسماعيل النعيمي لأنه لم يبخل بنصيحة او توجيه علمي .

وشكر وتقدير الى الدكتور رافع أسعد عبد الحليم العاني ،والدكتور علي رحيم هادي الحلو ،والسيد مهند رحيم الوائلي ،والسيد غسان قحطان فرحان.

وختامًا ،وختامها مسك . إن شاء الله . أتقدم بالشكر والتقدير والاحترام لعائلتي؛ لما قدمته لي من حب ورعاية وتشجيع .

وآخر قولي أنِ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد سيد الأنبياء والمرسلين(صلى الله عليه وآله) وعلى صحبه ومن والاه ،ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا: اللهم أصلح قلوبنا ،وأزل عيوبنا، وتولنا بالحسنى ، إنّك نعم المولى،ونعم المعين.

الـتمــهـيـد

القسم الأول : الحياة السياسية .
القسم الثاني : الحياة الأدبية .
القسم الثالث : العماد الأصفهاني ،وكتابه الخريدة.

الـتـمـهـيـد

القسم الأول : الحياة السياسية :

كانت الدولة العباسية في عصرها المتأخر نهبًا للثائرين ،والخارجين المتآمرين على الدولة من أمراء الأطراف ،ورجال الجيش وخدم القصر وغيرهم ،ممن أغراهم ضعف الخلافة ،ودفعتهم الأطماع الخاصة،وأسباب كثيرة إلى الاستحواذ على ما يمكن الاستيلاء عليه من البلاد، والاستقلال بما تصل إليه أيديهم من الأسلاب. وكانت بلاد العجم ولا سيما أصفهان وما يحيط بها ،وكذلك خراسان زاخرةً بمختلف الأنشطة ،ولا سيما النشاط الثقافي ،غنية بمواردها وتجارتها ،ونواديها الأدبية ، والعلمية.

قال ياقوت عن أصفهان:(وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويُسرفون في وصف عِظَمِها حتى يتجاوزوا حدَّ الاقتصاد إلى غاية الإسراف)[1]. وقد

وهبتها الطبيعة بسخاء،فجرى إليها نهر أصفهان المعروف بـ (زندروذ)،وهو غاية في الطيب،والعذوبة والصحة[2].

قال الأديب محمد بن أحمد الدوائي فيها [3]:

أنتِ يا أصفهان جَنّة عدْنٍ

ويقيني بطيبِ أرضكِ دينُ

لا كَوَادِيكِ بالمدينةِ وادٍ

في مكانٍ ،ولا لطينكِ طينُ

وكأنّ المياه أريٌ مشورٌ [4]

وكأنّ الترابَ مِسكٌ عجينُ

---

(1) معجم البلدان 206/1–210.

(2) يُنظر : عيار الشعر (المقدمة).

(3) الخريدة . أصفهان 188/1.

(4) أريٌّ مشور : العسل المُجتنَى ،وشار العسل : اجتناه ،وبابه :قال.

ملِكٌ عادلٌ وربٌّ غفورٌ

وثرًى طيِّبٌ ، وسماءٌ معينُ

وقالوا فيها : حجرها الكحل،وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران.

وقال الثعالبي : (لم تزل أصفهان مخصوصة من بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء،وفحولة الكتّاب،والشعراء)[1]. ونشأ فيها جماعة من العلماء والأدباء .

وقال ياقوت : (وقد خرج من أصفهان من العلماء والأئمة في كل فنٍّ ،ما لم يخرج من مدينةٍ من المدن)[2].

ولما انفرط عقد الخلافة،وتعددت حواضر الدولة ، باستقلال الولاة في فارس، والشام ومصر والمغرب ، حدث إثر ذلك تشعب سياسي ، كان له أثر بالغ في نهضة الشعر ؛ إذ كان الشعر لا يزهو إلا في ظل ملك أو أمير[3].

وأخذ نفوذ الدولة العباسية يتحسن ،ولا سيما في عهد الناصر لدين الله[4]، وكان أطول الخلفاء حكمًا ، وقد حظي عهده بانضمام مصر إلى الخلافة العباسية بعد

وفاة الخليفة الفاطمي العاضد (567هـ) ، واستعادة القدس من الصليبيين، وانتصار صلاح الدين الأيوبي عليهم في موقعة حِطّين سنة (583هـ) ،وهكذا ازداد السلطان الروحي للخلافة العباسية ، واستطاع الناصر بفضل طموحه وسياسته ، وقضائه على منافسيه في الحكم أن يستحوذ على السلطة المطلقة في بغداد ، ثم أخذ يمد نفوذه نحو الشرق.

---

(1) يتيمة الدهر 267/3.

(2) معجم البلدان 295/1.

(3) تاريخ الأدب العربي 252/1.

(4) بويع الناصر لدين الله بالخلافة في الثاني من ذي القعدة سنة (575هـ) ، وظل خليفة إلى أن تُوُفِّي في آخر رمضان سنة (622هـ) ،فكانت خلافته (46) سنة وعشرة أشهر و(28) يوماً ،وكان شُجاعًا سمحًا جوادًا مجاهدًا، قطع أيامه بالغزوات والجهاد ،وفتح ما لا تيسّر لغيره، وكانت له مجالسُ منزهة اللهو والهزل ،ومحافلُ حافلة بأهل العلم والفضل. يُنظر : ذيل الروضتين ص145. وشفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص61.

وبدأت أسرة السلاجقة[1] بالظهور على مسرح تأريخ الدولة العباسية ،والسيطرة على مقاليد الأمور حوالي منتصف القرن الخامس للهجرة ، حتى نهاية القرن السادس ،وتوزع سلطان هذه الأسرة بتأثير عامل المطامع الشخصية لأمرائها في شرق الوطن العربي،وأصبحت البلدان تحت إمرة واحدة ،واتحدت بلاد فارس مع غيرها ، بعد أن كانت متفرقة ، أي : أنّها وحّدَت الشرق والجزء الأعظم من الأراضي العربية والأعجمية[2] وخلف السلاجقة في حكم الولايات أتباعًا لهم اقتسموا أجزاء الدولة العباسي بينهم ،وكوّن بعضهم أسرًا عرفت عند المؤرخين باسم أسر الأتابكة[3].ان هذه الحياة السياسية كان لها تاثير في الشعر من خلال صلة الشعراء برجالات العصر من جهة واتكاء اولئك الرجال على الشعراء في دعم اركان حكمهم وما افرزته هذه الحياة السياسية من مظاهر شتى في جوانب الحياة اليومية انعكست بشكل مباشر وغير مباشر في اغراض الشعر و موضوعاته وفي رؤى الشعراء و افكارهم .

---

(1) أسس (طغرل بك) أسرة السلاجقة ،وثبّتَ حكمهم ،وكان بذلك أول سلاطينهم ،وفي عهده وعهد خلفائه دانت كثير من الأقطار لحكمهم ،حتى وصلت فتوحاتهم نهر (سيحون) ،واستولوا على معظم آسيا الصغرى ،بعد انتصارهم على الأرمن والبيزنطيين كما ضموا إليهم الشام والعراق وفارس.

(2) ينظر : دراسات في تاريخ الدولة العباسية ص120. وحول الأدب في العصر السلجوقي ص 36.

(3) (الأتابكة) جمع (أتابك)، وتتألف اللفظة من كلمتين تركيتين ،هما :(أطا) :بمعنى : أب ، و(بك) :بمعنى : أمير .وذكر عماد الدين الأصفهاني أنّ أصلها (أطابك) بمعنى :الوالد الأمير، أو الأب الأمير . ينظر : صبح الأعشى 18/4 و6/6 .

القسم الثاني : الــحـيـاة الأدبــيــة :

لما انقسمت الدولة أوطانًا ،واستقلت أطرافها ،صار للأدب أوطانٌ عدة ،وتعددت طرق الشهرة أمام الأدباء (الشعراء والكتاب) ،واتسع حولهم مجال الاختيار، فأصبح الأديب يستطيع أن يختار الأمير الذي يرغب في زيارته ، والبلد الذي ينزل فيه ،ومما لاشكّ فيه أنّ انكسار الأُمة سياسيًّا لا يعني انكسارها ثقافيًّا. ومن المسلَّم به أنّ انقسام الدولة وضعفها كان سببًا في قوة الأدب ونشاطه، فكان كل ملك أو أمير . يملؤه الزهو . يجمع لديه أسباب المُلك والعظمة ،فيعلي من شأن العلم والأدب ،والعلماء والأدباء ،مما يدفعه لينافس الأمراء الآخرين في ذلك، ويجعل إمارته مدينة الأدباء والعلماء ، وبهذا يتردد اسمه في الآفاق،بما يلهج الشعراء من مدائح، ولأّن

الشعراء أفضل أسباب الإذاعة ،وأوسع وسائل الشهرة، يروح كل أمير أو والٍ بإغراء الشعراء بزيارته والإقامة في كنفه ، فيقيدهم بإحسانه ويغمرهم بصلاته[1]. وهذا من أهم أسباب رفعة شأن الشعر ،ومما ساهم في تجويد الشعراء في شعرهم ، فأبرزوا مكنون بدائعهم ، وتنافسوا ، وتسابقوا في هذا المضمار . لهذا بلغ الشعر منزلة عالية ،ونهض نهضةً فنيّةً واضحةً في مضامين قصائدهم ، وألفاظهم . وسبب آخر دعا إلى رُقيّ الأدب عامة ، والشعر خاصة في هذا العصر هو أنّ الغرس الذي نبت ونما في العصور التي مرّت آتى أُكُلَهُ في هذا العصر، وأنّ جميع الوسائل التي بُذِلَتْ في نهضة العلوم والفنون ، وتطويرها أيام الخلفاء العباسيين الأقوياء . ويُسمّى ذلك العصر بالعصر الذهبي . ، ظهرت آثارها ناضجة في العصور اللاحقة ،وفي هذا العصر تحديدًا،لأسبابٍ كثيرة ، وإنّ إحياء العلوم والإقبال على ترجمة آثار الأولين من الفرس والروم واليونان ظهر ممزوجًا بروح العصر،الذي تلاقحت فيه الحضارات،وأصبحت حضارة أمّةٍ بعينها ذائبة في بوتقة واحدة هي الحضارة الإسلامية . ولأنّه قد تمّ نضج العمل الحضاري بالاختلاط ،والتمازج الفكري ،بل وحتى المصاهرات كان

(1) ينظر : العباسون الأوائل دراسة تحليلية 275/1.

لها أثر في إنضاج حضارة العصر. وقد مر من الزمن ما يكفي لتمثله وهضمه ، فتجلت آثار هذه الثقافة القديمة في أشعار الشعراء، وبرزت نتائج تلك الجهود الماضية جلية في معانيهم وأساليبهم ،وتلون الشعر بلون جديد يدل على عراقة في المدنية ،وبدا على هذا الشعر التمكن من أسباب الحضارة ،ولم يعد يظهر فيه البداوة إلا بقدر المحافظة على جمال الأسلوب وروعة البيان[1] .

لقد كان أثر هذه الانتقال الاجتماعي في خواطر الشعراء أبلغ منه في نفوس الكُتّاب ، فإن أولئك بالخلفاء ألصقُ ، ونفوسهم بالترف والمدينة أعلقُ ، وهم المفاكهون في السمر ،ضاق مضطربهم في السعي ،فاتسع متقلبُهم في الخيال ، واشتغلتْ أفئدتُهم بالفكر ، وانطلقت ألسنتهم بالقول ، ولم يجدوا العيش ميسورًا بالتأليف ، فتفرغوا لصوغ الشعر في ضروبه المختلفة ، ووجدوا من الخلفاء والأمراء

مؤازرًا لهم ، ومن الحضارة والطبيعة ناصراً ، ومن القريحة والسليقة مؤاتاة ، فجالوا في الشعر جولةً لم تتوافر أسبابها لأسلافهم ،ونقلوه من البوادي المجدبة إلى الرياض الناضرة، والقصور الشاهقة والمناظر المُونِقَة[2]. وكما هو معروف في القرن السادس للهجرة إنّ الحروف الصليبية كانت مُشتعلة ذات لهب، وصلاح الدين الأيوبي هو البطل الذي حمل لواء الجهاد في مواجهة الغزو الصليبي وكان في نظر المسلمين قائدًا من قواد الخليفة ، ومنفذًا لأوامره ، فاشترك كثير من الشعراء في هذه الحروب، وكان الشعر سلاح الجميع ، فاستطاع المسلمون بعد أنْ وحّدُوا صفوفهم بقيادته أن يستردوا المدن والقلاع الإسلامية الواحدة تلو الأخرى[3] وصلاح الدين الأيوبي فارس مغوار ،مجاهد فاتح ،لا ينتهي من معركة إلا ليأخذ العُدّة لأخرى لاسترجاع ديار المسلمين،وقد التف الشعراء حوله،وأحاطوا بسلطانه لأنهم أحسوا بقوةٍ بعد ضعف،وعزّةٍ بعد ذلّ،فهتف الشعراء بمخلّص الأمة وبطلها،

---

(1) ينظر : المفصل 9/1.

(2) ينظر : تاريخ الأدب العربي احمد حسن الزيات250/1.

(3) ينظر : مقدمة الروضتين 25/1. خريدة القصر . قسم العراق/المقدمة

وينظر : سياسة صلاح الدين الأيوبي (مصر والشام والجزيرة) ص 34.

وتوّجوه بغار المجد والفخار ،ولا سيما أنه كان يتذوق الشعر ويهتم به ،ويهتزّ له ، ويدرك أسراره[1] ، وكان يجيز العلماء المؤلفين بسخاء ، ولم يكنْ يُعطي الجائزة اعتباطاً، وإنما كان ينظر فيها فإذا لم يتوسم نفعاً نبذها[2].

إنّ ما ذكرتُه عن موقف صلاح الدين الأيوبي من الأدب ،ولا سيّما الشعر،إنّما يدل على حسِّه النقدي الذي كان يتميز به ، وحبه الكبير للعلم والشعر ،أما أبناء أسرته فقد ساروا على الدرب الذي سار عليه صلاح الدين نفسه[3]. فأقبل العلماء والأدباء عليهم من كل حَدبٍ وصوب ،يمدحونهم ،ويمجدون بطولاتهم في المعارك التي خاضوها. وبزّ السلطان صلاح الدين الأيوبي كل السلاطين في الإنفاق على العلم والأدب والفقه.. وجمع بلاطُه جمهرة من العلماء والأدباء : كالقاضي الفاضل ، وابن شداد القاضي والعماد الكاتب ،وأسامة بن منقذ . وكان كما

أسلفنا يتذوق جمال الشعر ، ويهتز له ،ويستحسن جيدة ،ويردده في مجالسه حتى قيل : إنّه كان كثيراً ما يُنْشِدُ قول أبي المنصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن إسحاق الحميريّ[4] :

وزارني طيفُ مَن أهوى على حذرٍ
من الوشاةِ وداعي الصّبح قد هَتَفَا
فَكِدتُ أُوقِظُ مَن حولي به فرحًا
وكادَ يهتك سترَ الحبِّ بي شَغَفا
ثُمَّ انتبهَتُ وآمالي تُخَيِّلُ لي
نيلَ المُنى ، فاستحالتْ غبطتي أَسَفا

وكانت للعماد الأصفهاني مكانة متميزة عند صلاح الدين الأيوبي ، وكذلك القاضي الفاضل ، وقد عبر صلاح الدين عن تقديره للقاضي الفاضل بقوله:

—

(1) المفصل 66/1–67. وينظر : صلاح الدين الأيوبي / 69.

(2) المكان عند شعراء بني أيوب ص 5.

(3) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها . والشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون) 218/1.

(4) وفيات الأعيان 207/7. وينظر : النجوم الزاهرة 56/6.

(ما فتحتُ البلاد بالعساكر ، إنما فتحتها بكلام الفاضل)[1].

وكان العماد الأصفهاني ،والقاضي الفاضل ، وابن شداد قائِمِين على شؤون الحكومة والإدارة ،ولكن بدرجات مختلفة في الأهمية ،وصاحبوه لمدد متفاوتة في حروبه وإقامته ، وساهموا في النشاط الاجتماعي والعلمي[2]. وهذا يدعونا إلى أن نقول : إنّ هؤلاء الشعراء الذين سندرسهم على صلات بساسة عصرهم ، وهم على علم بأحداث زمانهم ،وكان لهم رأي فيما يجري حولهم من أحداث ،أو في هذا الخليفة أو وزيره ،إلى غير ذلك مما ترجموه في شعرهم ، ولذا تجد أنّ أغلب هذا الشعر يقصد أشخاصًا معينين : هم الرجال البارزون في حياة العصر[3].

فهذا الأبيوردي يصور الخليفة الجديد (المقتدي) حاكمًا جديدًا ، يحمي رعيته شجاعًا أسدًا ،يذود عن الإسلام ويُرهِبُ الأعداء[4].

برايته الروض يصحو وينتشي

يظلُّ عليها عاطل الترب حاليا[5]

فمالت إلى ظلِّ الكناسِ وصادفت

طّلاً تـهاداه الذِّئـابُ عواديا[6]

لقد كانت الحياة الادبية بركنيها الشعري و النثري تتفاوت معطياتها فهنالك نتاج ادبي بعامة ونتاج شعري بخاصة يرتقي الى مستويات ابداعية يشار اليها بالبنان ومستويات اخرى دون ذلك ،ولعل ظهور شعراء بارزين مبدعين و شعراء مغمورين مقلين ما يؤكد هذه الحقيقة .

---

(1) مرآة الزمان 203/8.

(2) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 5/2.

(3) نفسه8/2. (4) ديوان الأبيوردي109/1.

(5) ينتشي : يَسكر.

(6) الكِناس : موضع الظبي في الشجر ،يَكْتَنُّ فيه،ويستتر. والطّلا : ولدُ الظبي. والمعنى : تتبعه الذئاب لتهتدي إلى مكانه.

القسم الثالث : عمـاد الـديـن الأصـفـهـانـي وكـتـابـه الـخـريـدة

1- عمـاد الـديـن الأصـفـهـانـي

هو أبـو عبـد الله محمـد بـن صـفـي الـدين أبـي الفرج محمـد بـن نفيس الـدين أبـي الرجاء حامد المشهور بالعماد الأصفهاني ولد في أصفهان سنة (519) للهجرة ونشأ فيها وتعلم مبادئ اللغة العربية وآدابها ،ثم قدِم إلى بغداد مع أبيه ، فدخل المدرسة النظامية ،وانتظم في سلك تلامذتها ؛ ليغترف من مناهلها ويستقي من علم أساتذتها ،وكان طالب علم ومعرفة طوال حياته ،فهو إمّا يقرأ ،أو يدرُس ويُدرِّسُ ، ويؤلف إلى جانب اشتغاله في مراكز الدولة ،وبعد ذلك قرر أن يغادر إلى الشام ،واتصل برجالها

، وفي مقدمتهم كمال الدين بن الشهرزوري ، قاضي قضاة دمشق الذي قدّمه إلى نور الدين محمود فعيَّنه كاتبًا بديوان الإنشاء سنة(563) للهجرة ،وبقي فيه حتى نقله إلى وظيفةٍ أُخرى سنة (567) للهجرة تتناسب مع نشاطه العلمي[1] ، وهي وظيفة الأستاذية بالمدرسية العمادية.

وتدهورت مكانته بعد وفاة نور الدين الأيوبي، فأزمع الرحيل من الشام ، فخرج إلى الموصل ،لكنه لم يلبث أن عاد إلى الشام بعد أن قدمت جيوش صلاح الدين الأيوبي من مصر إليها ،واتصل بالقاضي الفاضل الذي قدّمه إلى صلاح الدين ، فعينه في ديوان الإنشاء لينوب عن القاضي الفاضل ،وليحمل عنه بعض أعباء وظيفته ،ومنذ ذلك الوقت لازم العمادُ صلاحَ الدين في رحلته وإقامته ، ونشأت بينه وبين صلاح الدين مودة وطيدة ،وتقارب في المشارب والآراء ،غير أنّ هذا لم يطل،فقد تغير الحال بعد وفاة صلاح الدين سنة (589) للهجرة ،مما أضعف مكانة العماد .

قال ابن خلكان: (لم يزل العماد الكاتب في مكانته ورفعة منزلته إلى أن توفي

---

(1) ينظر: معجم الأدباء81/7 .والجامع المختصر ص61.ووفيات الأعيان147/5.والوافي بالوفيات132/1. وطبقات الشافعية للسبكي 97/2. وهداية العارفين ص105.

السلطان صلاح الدين . رحمة الله . فاختلتْ أحواله ،وتعطلتْ أوصاله ،ولم يجد في وجهه بابًا مفتوحًا ،فلازم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف) [1].

وواصل طلب العلم ،وكتابة المصنفات في موضوعات شتَّى ،حتى وافته المنية بدمشق مستهل شهر رمضان سنة (597) للهجرة ، وهو في الثامنة والسبعين من العمر.

2- كتاب(خريدة القصر وجريدة العصر)

وكان العماد الأصفهاني إلى جانب اشتغاله بالوظيفة ،ومرافقة صلاح الدين الأيوبي يصنف الكتب النافعة منها:

كتاب(خريدة القصر وجريدة العصر) : وهو موسوعة أدبية كبيرة .وكتاب (البرق الشامي)[1] ،ذكر فيه انتقاله من العراق إلى الشام ، وما جرى له في خدمة السلطان نور الدين ،وكيفية تعلقه بخدمة السلطان صلاح الدين ،وتناول شيئًا من فتوحاته وانتصاراته . وكتاب (الفيح القسي في الفتح القدسي) : يتضمن كيفية فتح بيت المقدس . وصنف كتاب (السيل على الذيل) الذي جعله ذيلاً على (الذيل) لابن السمعاني الذين ذَيَّل به (تأريخ بغداد) تأليف الخطيب البغدادي .وكتاب (نصرة الفترة وعُصرة الفطرة في أخبار الدولة السلجوقية)[3]. إلى جانب ديوان رسائل وديوان شعر [4].

لقد كان العماد دائم القراءة والتأليف ، قال عن نفسه: (كنت . مع صغري . كبير الهمة ،كثير الاهتمام بإثبات أبيات تُنشد ،وتطلُّب ضالة فاضلٍ تُنْشد ،أُوثِر ما

(1) وفيات الأعيان 152/5.

(2) سماه (البرق الشامي) ؛لأنه شبّه أوقاته في تلك الأيام بالبرق الخاطف؛ لطيبها وسرعة انقضائها.

(3) وفيات الأعيان 150/5. وينظر : هداية العارفين / 105. ولمحات من تأريخ الأدب العربي / 96.

(4) جمع الديوان ،وحقّقه الأستاذ الدكتور ناظم رشيد سنة 1983م.

يُؤثَر عنهم رواية ،وأختار كتبَ ما أستحسنُه حديثًا ونظمًا وحكاية) [1].وقيل :(إنّه كان يحفظ شعر البحتري ودواوين الشعر المشهورة)[2].

إنّ كتاب الخريدة من خِيرة كتب العماد ،فقد أنفق في جمع مادته مدة طويلة من حياته ،الحافلة بالنشاط العلمي، مُذ كان يُدَرِّسُ في النظامية في بغداد ، واستعان عليها بأسفاره وصلاته ومكانته من السلطان ،فلقي عدداً كبيراً من العلماء والأدباء والمُحَدِّثين والرواة ، ووقف على جملة طيبة من الدواوين ،واتصل اتصالاً مباشراً بكثير من شعراء العصر وأدبائه فشافههم ،وسمع منهم وكتبوا له واستكتبهم.

ودارت بينه وبينهم رسائل وقصائد ،وظفر بالمجموعات الشعرية التي أعدّها معاصروه والسابقون له، وتوافر له من ذلك كله ما ساعده على أن يذكر(الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائه)[3].

وليست قيمة الخريدة فيما استغرقته من مدة فسيحة من الزمان فحسب ،وإنما قيمتها كذلك في هذه الرقعة الواسعة من المكان ،فهي لا تقتصر على قطر من أقطار الإسلام بعينه، ولا على شعراء دولة من الدول بذاتها، وإنّما تجمع شعراء العالم الإسلامي كله ،وذلك فقد عرضت لشعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب . وتستمد الخريدة أهميتها كذلك كونها حلقة متوسطة في سلسلة من التأليف المتتابعة من قبلُ ومن بعدُ ،وإنّ العماد جعلها ذيلاً على (زينة الدهر) للحظيري الوراق المتوفى سنة (568) للهجرة ، والحظيري جعل كتابه ذيلاً على (دُمية القصر وعُصرة أهل العصر) للباخرزي المتوفى سنة (467) للهجرة ، والباخرزي جعل كتابة ذيلاً على (يتيمة الدهر) للثعالبي المتوفى سنة (429) للهجرة ،والثعالبي جعل كتابه ذيلا على كتاب (البارع) لهارون بن علي المنجم المتوفى سنة (288) للهجرة[4].

---

(1) الخريدة – الشام 473/2. (2) مرآة الزمان 505/8.

(3) يُنظر : الخريدة – الشام3/1.

(4) وفيات الأعيان 150/5. ويُنظر :الخريدة – الشام4/1.وتأريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) 322/5.

وشعراء الخريدة موزعون توزيعًا جغرافيًّا ،وعلى وفق الترتيب الآتي :

الأول: العراق.

الثاني: الشام والجزيرة .

الثالث: مصر وصقلية والمغرب والأندلس.

الرابع: بلاد العجم ولا سيما أصفهان وخراسان وفارس ،وهذا القسم سيكون اعتماد دراستنا عليه ،لأنّه يؤرخ لطائفة من شعراء القرن الخامس للهجرة ،ومعظم شعراء القرن السادس ،ويورد في أثناء ذلك فوائد تأريخية نفسية. وتجدر الإشارة إلى أن هذا التوزيع يقوم على ثلاثة أقسام ، يضم كل قسم شاعرًا كبيرًا مشهورًا من شعراء العصر

،إلى جانب آخرين أقل شهرة ،ففي القسم الأول يورد ترجمة للطغرائي مع مختارات من شعره في (91) صفحة ،وفي القسم الثاني يترجم للأبيوردي مع مختارات من شعره في (166) صفحة وفي القسم الثالث يذكر ترجمة للأرّجاني مع مختارات من شعره في (198) صفحة.وتجدر الاشارة الى ان هنالك ثمة خلاف في ترتيب بعض الابيات و المفردات التي وردت في الدواوين ،وبين بعض الابيات والمفردات التي وردت في الخريدة

الــفــصــل الأول

الشعراء المشهورون من شعراء الخريدة

1-أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوَردي.

2-أبو إسماعيل الحسين بن علي الطغرائي.

3-ناصح الدين أحمد بن محمد الأرّجاني.

الـمــبـحـــث الأول

شـــاعـر مـــن خـــراســـان

الأبـيـــوردي

أبو المظفر محمد بن أحمد المتوفى سنة 507 للهجرة

مــحــمــد بـن أحــمــد الأبــيــوردي

أحد قراء أَبِيوَرْد[1] ،وهو أبو المظفر محمد بن أحمد بن أبي العباس أحمد بن أبي العباس أحمد إسحاق من أبي العباس محمد الأمام بن إسحاق بن الحسن أبي الفتيان

بن منصور بن معاوية بن محمد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف(2) القرشي الأموي المعاوي الأبيوردي ،الشاعر المشهور. كان من أخير الناس بعلم الأنساب وقد روى عنه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي ،قال في حقه في ترجمة المعاوي: (كان عالمًا وأديبًا) وله ديوان شعرٍ في ثلاثة أقسام: العراقيات والنجديات والوجديات.

وقال عنه العماد الأصفهاني: (تاج خراسان ووحيد الزمان ،ذو العبارة الفصيحة والاستعارة المليحة ،والمعاني الصحيحة المبتكرة بجوده القريحة ...وذُكْرُ فضله مع الدهر باقٍ ،ونجم قَدَرِهِ في سماء السناء راق .شعره متين الحوك ،محكم النسج حسن الصوغ سليم النهج ،منتقى اللفظ ،منتجب المعنى،مهذب المبني،معسول الكلم، مقبول الحكم ،يُنبِي عن تعجرفه ،ويثني عن شرفه ،ويفخر بسلفه ،وينجح بصلفه، ولقد كان عزيز النفس أبيًّها ،عزيز الفضيلة سنيًّها ...نفّاذ البصيرة المعيها)(3).

---

(1) الأبيوردي: بفتح الهمزة وكسر الباء وفتح الواو هذه النسبة إلى أبيورد،ويقال لها: أبا ورد وباورد ،وهي بُلَيدة بخراسان ،وأيضاً كان يلقب بالكوفنيّ :نسبة إلى كوفن وهي بُلَيدة صغيرة قريبة من أبيورد بخراسان ، بناها عبد الله بن طاهر (معجم البلدان 86/1).

(2) وردت ترجمته في:الخريدة – خراسان 217/2.والأنساب 332/12–333.والمنتظم 6/9 والخريدة . العراق . 106/1–107، و157/2. ومعجم الأدباء 234/17–266. ومعجم البلدان 21/4. والكامل لابن الأثير 47/10–48. واللباب 58/3. ووفيات الأعيان 444/4. والمختصر في أخبار البشر 38/2. ونهاية الأرب 223/5. والإعلام بوفيات الأعلام ص 208. تتمه المختصر لابن الوردي 37/2 ،شذرات الذهب 18/4–20. هدية العارفين 81/2–82. أعيان الشيعة 261/43–262. تأريخ الأدب لبروكلمان 30/5–32. تأريخ الأدب العربي (شوقي ضيف) 600/5. وقد نشر ديوانه محققاً عمر الأسعد سنة 1973م وطبع بجمع اللغة العربية دمشق ، وأعيد نشره سنة 1987م في بيروت.

(3) خريدة العجم . خراسان . 218/2.

وينسب إلى معاوية الأصغر ،وكان يكتب على كتبه (المعاويّ) .وكتب مرة رقعه إلى الخليفة المستظهر بالله، وعلى رأسها (الخادم المعاوي)، فكره الخليفة النسبة إلى

معاوية ،فحك الميم ورد الرقعة إليه ،فصار (العاوي)[1] .وكان يفخر بنسبه، وبالروح العربية الأصلية التي تعج لاهبةً بين ثنايا شعره:

وأقرعُ أبواب الملوك بوالدٍ

حوى بأبي سفيان أشرف مُنتمَى[2]

وقوله:

ونحن معاويون يرضى بنا الورى

ملوكاً ، وفينا من لؤيٍّ لواؤها[3]

ولعله عاش في رحاب أسره غنية مرفهة ،يدل على هذا قوله :

وأنتم بَنِيّ مَن عِيبَ أولادُهُ به

ذوو نعمةٍ يَضْفُو عليكم رداؤها[4]

وقوله:

ويحلبُ فينا العيش وُسْعَ إنائه

ويُرضعُه درَّ النعيمِ ثَراءُ

فما سكّنَتْنا في الهواء خصاصة

ولا حرّكتنا في الغنى خُيَلاءُ[5]

وكان متمكنا من العلم الذي استقاه من خيرة العلماء المعاصرين له ،ونبغ في الشعر وذاع صيته فيه. وقدم بغداد وراء مجد مؤثل ،وليُمَرِّن لسانه على العربية، وليسلم من اللكنة والتواءة اللسان التي اعترته منذ ولادته في بلاد العجم؛حيث سُمِع الأبيوردي يقول: (كنتُ ببغداد عشرين سنة حتى أمرِّن طبعي على العربية)[6]

---

(1) معجم الأدباء 235/17 وفيات الأعيان 445/4-446. شذرات 19/4.

(2) الديوان 454/1 الأبيوردي (دراسة في شعره القومي) ص: 36.

(3) الديوان 586/1. (4) الديوان 587/1. (5) الديوان 121/2-122.

(6) ينظر الأبيوردي . دراسته في شعره القومي ص: 39-40.

وسمع بخبره نظام الملك وزير السلاجقة ،فقربه ،ومدحه ،وأجزل له العطاء،ومدح الخليفة المقتدي بأمر الله ،ونفق عنده كثيراً ،وعلَت مكانته ،ونال الحظوة الكبيرة عند

ولده الخليفة المستظهر بالله ،وقُرِّب لدى مؤيد الملك بن نظام الملك الوزير، ومدح السلطان ملكشاه ،ومدح عدداً من أمراء العرب الوزراء وعَلِيَّة القوم .وقد زار نجداً والحجاز ،واصطبغ شعره بالصبغة البدوية ولا سيما في نجدياته[1].

توفي يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمس مائة بأصفهان[1]،وكان كبير النفس عظيم الهمة لم يسأل أحدًا قط مع الحاجة والمضايقة، وكان من دعائه في الصلاة: (اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها)[2] .وقيل إنه قد سُقي السم وهو واقف عند سرير السلطان محمد بن ملكشاه،فخانته رجلاه ، فسقط ، وحمل إلى منزله فقال[3] :

وقفنا بحيث العدل مدَّ رواقه
وخيّم في أرجائه الجودُ والباسُ
وفوق السرير ابن الملوك محمدٌ
تخرُّ له من فَرطِ هيبتِه الناسُ
فخامرني ما خانني قدمي له
وإنْ ردَّ عنّي نُفرة الجأش إيناسُ[4].
وذاك مقام لا نُوَفِّيه حقّه
إذا لم يَنُب فيه عن القدم الرّاسُ
لئن عثرتْ رِجلي فليس لِمِقْولي
عِثارٌ ،وكم زلّت أفاضِل أكياسُ

وقال عنه العماد: (وكان . رحمه الله . عفيف الذيل غير طفيف الكيل صائم

---

(1) الخريدة . خراسان 219/20.ويتظر: معجم الأدباء 235/17. ووفيات الأعيان 444/4.
(2) شذرات الذهب 19/4.
(3) الديوان 148/2–149. والخريدة . خراسان 218/20. ومعجم الأدباء 338/17.
(4) خامرني: داخلني ،أو خالطني .والمخامرة بمعنى المخالطة .

النهار قائم الليل ،متجرًا بالأدب ،خبيرًا بعلم النسب)[1].
وشعره كما وصفه في قطعة له[2] :

كلماتي قلائد الأعناق

سوف تفنَى الدهور وهي بواقِ

دل فيها الذهن الجلي بألفاظٍ

رقاقٍ على معانٍ دقاقِ

فقريضي يراه من ينقد الأشـ

عارَ سهلَ المرام ،صعبَ المراقي

لم يُشِنْهُ المعنى العويص ولا لفـ

ظٌ يَكدُّ الأسماعَ مرّ المذاقِ(3)

وهو في منجم الفصاحة من فر

عَي نزار مقابل الأعراقِ

وإليه تصبو الرواةُ وفيه

مع شكل الحجاز طرفُ العراقِ

مؤيسٌ ، مطمعٌ ، قريبٌ ، بعيدٌ

فهو أُنسُ المقيم ،زادُ الرفاقِ

وقال عنه العماد: (شعر الأبيوردي معجز معجب ،وما فيه معنى ولا بيت مضطرب ،ولو أنصفته لأثبتُّ جميعه ،وأوردتُ مبتدَعَه وصنيعه)(4).

وقول العماد (معجز) مبالغة غير مقبولة ؛لأنّ المعجز لا يكون من صُنع البشر . مهما أوتِي الإنسان من أسباب العلم ،والملكات العقلية . ،بل ذلك مقصور على الله وحده سبحانه وتعالى .

---

(1) الخريدة . خراسان 219/20.

(2) الديوان 2/99–100. وينظر : الخريدة . خراسان 219/20.

(3) يشنه : يعيبه . والعويص: الصعب الشديد.

(4) الخريدة . خراسان 225/20.

وله تصانيف كثيرة منها:

1– تأريخ أبيورد.

2- تأريخ نسا.

3- كتاب (المختلف والمؤتلف).

4- كتاب (قبسة العجلان في نسب آل أبي سيفان).

5- كتاب (كبير الأنساب).

6- كتاب (ما اختلف وأوتلف في أنساب العرب).

7- كتاب (نهزه الحافظ).

8- كتاب (المجتبي من المجتبى في رجال كتاب عبد الرحمن النسائي)(1).

9- كتاب (الطبقات في كل علمٍ وفن).

10- كتاب (تعلة المشتاق إلى ساكني العراق).

11- كتاب (كوكب المتأمل) يصف في الخيل.

12- كتاب (تعلة المقرور) في وصف البرد والنيران في همذان، وسبب تأليفه أن همذان شديدة البرد في غير الشتاء فكيف فيه؟ وكان وجماعة من الأدباء يجتمعون في الليل فيأخذون في المسامرة في ذلك ،فصار منه تأليف لطيف في فنه .

13- كتاب (صهلة القارح) يرد فيه على المعري في سقط الزند.

14- كتاب (الدرة الثمينة)(2).

15- كتاب (زاد الرفاق) في المحاضرات ،وهو يشتمل على مناظرات مع أرباب النجوم، ونقضٍ لحججهم ،وغير ذلك من المحاضرات والأنساب.

16- النجديات منظومة في ألف بيت.

17- كتاب(تلوالحماسة)،وقد قال عنه في كتاب(زاد الرفاق)في معرض الكلام على حماسة أبي تمام: (ولكن أنفق لحبيب اختيارها، وهم في همذان ،فقد رمتني إليها مقادير أعانت على الزمان ، وتقلبتُ أثره في انتقاء مايُضاهيها من أشعار

---

(1) النسائي: هو أحمد بن علي بن شعيب المدفون بالرملة (ت 303هـ).

(2) معجم الأدباء 234/17. وينظر :اللباب 58/3. ووفيات الأعيان 445/4. ونهاية الأرب 223/5. وشذرات الذهب 20/4. وهدية العارفين 82/2.

المحدثين، ووسمت الأوراق المشتملة عليها بـ(تلو الحماسة)؛ ليتشابه غرضان في الانتخاب كما تكافأت حالانا في الاغتراب)(1).

18- كتاب (بغية الشادي) من علل العروض.

وكان حسن السيرة ،جميل المنظر ،وسَمِع الحديث فأكثر ،ولقي عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) النحوي وأخذ عنه[2].

وقد عاونته ثقافته الواسعة وسبره أغوار العلوم كافة على الإتيان بما قصر عنه الأوائل ،وما قصّر عنه اللاحقون من معاني مبتكرة ،وألفاظ تتباين رقة وقوة مع الغرض ،ومع واقع الحال ،تسحر بموسيقاها التي جاءت وليدة الانسجام التام بين المعاني المخلوقة ،والألفاظ التي قُدّت على قدرها من دون ما زيادة أو نقصان ، وقد أُختيرت لها بتوافق تام[3].

وسمة شعره البارزة أنّه يحمل طابع البطولة والكفاح ،ويشحذ الهمم الطموحة، ويقدح زناد الثورة التحريرية في أمته ؛لتخوض معركة الحياة بشجاعة وإقدام[4]:

وللغاية القصوى سمتْ بي هِمَّتي
فلا بُدَّ من نَيْلِي المعالي أو الردى
فلستُ ابن من ساد الأنام وقادهم
لئن لم أدوِ الرمح من ثُغَرِ العِدا

ويشفُّ عن أحاسيس تتبدى بين ثنايا الأبيات ،وفيها ومضات التراث الأصيل الذي لم يقوَ الزمن والحاقدون على محوه ،أو استئصاله ،وقد جوَّده بعنايته بقوافيه حتى جاءتْ أخّاذة ساحرة:

وقوافٍ ملسِ المتونِ شداد الـ
أسر غير مصقولة الأطراف

---

(1) الديوان 17/1.وينظر : معجم الأدباء 236/17. واللباب58/3. ووفيات الأعيان 445/4 نهاية الأرب 223/5. وشذرات الذهب 20/4.وهدية العارفين 82/2.

(2) معجم الأدباء 244/17.

(3) ينظر الأبيوردي ص 83.

(4) الديوان 74/2.

فكأن قوافيه فتيات في مقتبل العمر ،يفضن بضاضة ،وأنوثةً ،وحيوية ،وطراوة، فيأسرن العقول[1].

وإذا ما رواتها انتقدوها
حسبوها لآلئ الأصدافِ
صنعتها في النسيب والفخر حتى
عُدّ فيها الإعجاز من أوصافي
ومتى زلَّ عن لساني مديحٌ
هو أدنى مروءة الأشرافِ

وقد جَمَع شعرُه إلى جزالة البادية وخشونتها ،رقة الحضارة ولطافتها[2].

وجزالة البدوي في أثنائه
مُفْتَرّةٌ عن رقَّةِ المُتحَضِّرِ

إنّ أهم ما يميز شعره من غيره من شعراء القرن الخامس: الحسّ القومي الذي تعجُّ به أبياتُ قصائدِه ،هذا الحس الذي تتوقد فيه الروح العربية هو الطابع الذي تُميَّزت به تغاريده في ذلك العصر .وقد لاذ الشعراء بالصمت،وابتعدوا عن الإفضاء بمكنونات قلوبهم ،ومالوا إلى التزلف للحاكمين، مبتعدين عن التغني بالعروبة وأمانيها، تجنباً للأذى. نتلمس ذلك في قصائده إن مدح،أو تعزل ،أو شكا ،أو هجا، أو رثى ،أو فاخر ،أو تحمس ،أو وصف ،وتتجلى قيمته بحسِّه العربي الأصيل، وسمو خلقه وترفقه[3].

ومن يتصفح ديوانه يراه قد طرق الأغراض القديمة التي طرقها الشعراء القدامى، من مديح ،وفخر ،وحماسة ،ورثاء ،وشكوى ،واعتذار ،وأخوانيات ، ــــ

(1) الديوان 30/2.
(2) الديوان 307/1. وينظر : الأبيوردي ص88.
(3) ينظر الأبيوردي (دراسة في شعره القومي) ص88.

وحنين ،وغزل ،ووصف، فقد حذا حذوهم في ذلك ،وأثره في شعره بيِّن واضح، بَيْدَ أنّه خرج عن دائرتهم في شعره الاجتماعي ،ونقد المرير للحاكمين ،وموظفيهم، وأهم

تلك الأغراض غرضان طبعا شعره بطابع الخلود والتفرد ،هما : الحماسة والفخر .أما المديح: فقد تدفقتْ به قريحته ،و كي يبديَ إعجابه بخليفة، أو وزير ، أو شهمٍ من عليَّةِ القوم ،ممن توسَّم فيه العون على بلوغ أمانيه في إمارة يحكمها فيقول[1]:

سأطلُبُها والنقع يصفو رداؤه

وجُرْد المذاكي بالدِّماء تَعومُ

فما إرَبي إلاّ سريرٌ ومِنْبَرٌ

وذكرٌ على مرِّ الزمان يدومُ

لقد ملأ القرن الخامس الهجري بشعره (الذي سار على كل لسان ،والتهج بذكره كلّ هيمان بالحماسة ،والفخر ،والوصف ،وكل مفتون بالألفاظ التي تُعدُّ على قوتها أرق من مرِّ نسيم الصبا ، وعجّ بالروح العربية النابضة بالحياة ،المتفتحة لغدٍ مشرق يُعيد أمجاد أمة العرب ويلقن الأعداء دروسا في عزة العربي وإبائه)[2].

ثمة موقف للأبيوردي يسترعي النظر ،ويسجل سابقةً له في توظيف النتاج الأدبي ،إذ أوقفه على مصلحة الجماعة ،وحفظ كرامتها بوجه المغيرين والطامعين، فقد وفد إلى بغداد في عهد الخليفة المستظهر بالله (487– 512هـ) صفوةٌ من العلماء والخطباء بعد سقوط بيت المقدس في أيدي الصلبين سنة (492هـ)، جاءوا يستنفرون الناس للجهاد ،ويطلبون المدد ،فألقى قصيدة على حشدٍ من الناس محذرًا من أن يصل العدوان إلى هذه الربوع قائلا[3]:

---

(1)الديوان 60/2. وينظر :الأبيوردي ص90.

(2) الأبيوردي(دراسة في شعره القومي) ص 80.

(3) الديون 156/2. وينظر:الوافي بالوفيات222/1. وديوان الأدب161/1. والأبيوردي (دراسة في شعره القومي) ص75. وواقعة في حياة الأبيوردي (جريدة الجمهورية 5حزيران1990م)، د. مهدي شاكر العبيدي.والحياة والموت في شعر عهد بني أيوب ص93.

مزجنا دماءً بالدموع السّواجِم

فلم يبقَ مِنّا عُرْضـَةٌ للمراجِمِ[1]

وشرُّ سلاحِ المرءِ دمع يفيضُه

إذا الحربُ شُبّتْ نارها بالصوارِمِ[2].

فإيـهًا بني الإسـلام إن وراءكم

وقائـعُ يُلحِقْنَ الذُّرا بالمناسم[3]

أتـهوِيمةً في ظلِّ أمْنٍ وغِبطةٍ

وعيشٍ كنُوّارِ الخميلةِ ناعمِ[4]

وكيف تنام العينُ ملء جفونـها

على هبواتٍ أيقظتْ كلَّ نائِم

وإخوانكم بالشام يُضحي مقيلهم

ظهور المذاكي أو بطون القشاعِم[5]

تسومهم الروم الـهوان وأنتم

تجرُّون ذيلَ الخفضِ فعلَ المُسالِم[6]

---

(1) السواجم: الدموع الغزيرة ، سجم الدمع : أي سال.

المراجم : جمع مرجمة ، ويراد بها الذم ،أو القتل.

(2) الصوارم: جمع صارم ،وهو السيف القاطع.

(3) إيهًا: اسم فعل أمر للاستزادة من حديث ،أو عمل ما.

الذرا: الأعالي ، والواحدة ذُرْوَة.

المناسم: جمع منسِم بوزن (مجلس) ، ويُراد به خف البعير.

(4) التهويمة: هزة الرأس. الغبطة: المسرة.

النُّوَّار: مضمومًا مشددًا : الزهر. والواحدة نُوَّارة.

الخميلة: الشجر المجتمع الكثيف.

(5) مقليهم: من القيلولة : النوم منتصف النهار.

المذاكي: نوع من الخيل.

القشاعم : النسور .ومفرده :قشعم ،أي: المُسن والضخم منها.

(6) الهوان: الذل والضعف.

وكم من دماءٍ قد أُبِيحَتْ ومن دُمًى

تُواري حياءً حُسنَها بالمعاصِم[1]

بحيث السيوفُ البيض مُحْمَرّة الظّبا

وسُمْرُ العوالي دامياتُ اللَّهاذِمِ[2]

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة

تظل لها الولدان شيب القوادم[3]

وتلك حروبٌ من يغب عن غمارها

ليسلَم ،يَقرَع بعدها سِنَّ نادم[4]

سللنَ بأيدي المشركين قواضبًا

ستغمدُ منهم في الطُّلى والجماجِم[5]

يكاد لهُنَّ المُستجِنُّ بطيبةٍ

يُنادي بأعلى الصوت : يا آل هاشِمِ[6]

أرى أُمّتي لا يشرعون إلى العِدا

رماحَهُم والدِّينُ واهي الدعائم

ويجتنبون النار خوفًا من الردى

ولا يحسبون العارَ ضربَةَ لازِمِ

---

(1) الدمى: مفردها دمية ،وهي الصورة من العاج ،وأراد النساء الحسان.

تواري : تُخفي وتستر.

المعاصم : جمع مِعصم ،موضع السوار من اليد.

(2) اللهاذم: جمع لهذم ،القاطع من الأسنة.

(3) الاختلاس: خلس الشيء ،أي :استلبه.

(4) الغمار: الشدائد.

(5) القواضب: السيوف القاطعة.   الطُّلى: الأعناق ،ومفردها طلاة.

(6) طيبة: من أسماء المدينة المنورة .

والمستجن بها أي: المدفون بها ،والمراد به سيدنا (محمد) عليه الصلاة والسلام.

أترضى صناديدُ الأعاريبِ بالأذى

ويُغْضِي على ذُلٍّ كُماةُ الأعاجِمِ[1]

فليتَهم إذ لم يذودوا حَمِيَّةً

عن الدِّين ظَنُّوا غَيْرَةً بالمحارم

وإن زهدوا في الأجر أذ حَمِيَ الوغى

فهلاّ أتوه رغبَةً في المغانِم[2]

لئن أذعنتْ تلك الخياشيم للبُرى

فلا عَطَسُوا إلا بأجدعَ راغِمِ[3]

دعوناكُم والحربُ ترنو مُلحّة

إلينا بألحاظِ النّسور القشاعم[4]

تُراقِب فينا غارةً عربيةً

تُطيلُ عليها الرُّومُ عضَّ الأباهِم[5]

فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه

رمينا إلى أعدائنا بالجرائم[6]

ومن الجدير بالذكر أنّ دافع الشاعر للقريض ليس الطمع في المال فحسب ؛لأنّ الذين اتخذوا من الشعر مهنة عُدّوا في عداد المتكسبين هذا من جهة ،وإنّ الأبيوردي عاش برحاب أسرة غنية مرفهة ،من جهة أخرى، فلم يكن بحاجة إلى أن يتكسب بشعره ،وإنما اتخذ من شعره وسيلة لإظهار قدرته الفنية وشاعريته ايضا،ويؤكد هذا قوله[7]:

(1) الصناديد: جمع صنديد السيد الشجاع. الكماة: جمع كمي: الشجاع المتستر بالدرع.
(2) زهدوا: الزهد ضد الرغبة.
(3) أذعنت: خضعت ، وذلّت .
(4) ترنو: تديم ،أو تطيل النظر.
(5) الأباهم: جمع الإبهام ،وهو أكبر أصابع اليد ،وعض الأباهم :كناية عن الندم.
(6) الجرائم: جمع جريمة. والجريمة آخر ولدك ؛كأنه جَرم بعده ،أي :قطع
(7) الديوان 6/2.

ولم أنظمِ الشعر عُجْباً به

ولم أمتدح أحدا عن إربِ

ولا هزّني طمعٌ للقريض

ولكنّه ترجمان للأدبِ

وللفخر عَنى به الغنى

فعَنَّ كِسْرَ بيتي جِيبَ العربِ[1]

ولقد نال الأبيوردي مما نظمه من شعر في ملوك خراسان ، ووزرائها وخلفاء العراق وأمرائها، ما لم يحصل عليه غيره في عصره ،فمن ذلك ما رواه أبو سعد محمد بن عبد الملك بن الحسن النديم: (أن الأبيوردي لما قدم الحلة على سيف الدولة[2] صدقة بن منصور مادحاً له ،ولم يكن قبلها أجتمع به قط فلما خرج سيف الدولة للقائه قال: (وكنت فيمن خرج ،فشاهدت الأبيوردي راكباً في جماعة كثيرة من أتباعه ،منهم من المماليك الترك ثلاثون غلاما، ووراءه سيف مرفوع ،وبين يديه ثماني جنائب[3]بالمراكب والسرفسارات الذهب[4] ،وعددنا ثِقلهُ ،فكان على أحد وعشرين بغلا ،وكان مهيبًا محترمًا جليلا ،معظمًا،لا يُخاطَب إلا بمولانا، فرحّب به سيف الدولة ،وأظهر له من البرِّ والإكرام ما لم يُعْهَد لمثله في تلقِّي أحدٍ ممن كان يتلقاه ،وأمر بإنزاله ،وإكرامه ،والتوفُّر على القيام بمهامِّه ،وحُمِل إليه خمسمائة دينار،وثلاثة حُصُنٍ ،وثلاثة أعبد،وكان الأبيوردي قد عزم على إنشاد سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها[5]:

---

(1) جيب : يعني تولد العرب من قبيلتين . ينظر :معجم الأدباء 263/17.

(2) سمي بهذا الأسم أميران من أمراء بني مزيد الأسديين بالحلة ،وكلاهما لُقِّب بسيف الدولة وهما: صدقة بن منصور بن ربيس باني مدينة الحلة (ت 504) ،وحفيده صدقة بن ربيسد (ت532هـ) ،ينظر:الخريدة – قسم العراق195/2.والشعر العربي في العراق وبلاد العجم90/2. وينظر الإنباء في تاريخ الخلفاء261/1.

(3) جنائب: مفردها جنيبة الناقة التي تُقاد.

(4) السرفسار : اللِّجام.

(5) معجم الأدباء264/17.

وفي أي عِطفَيك التفتَّ تعطَّفَتْ

عليك به الشمس المنيرة والبدر [1]

ولم يكن سيف الدولة أعدَّ له بحسب ما كان في نفسه أن يلقاه به ،ويجيزه على شعره،واعتذر إليه،ووعده يومًا غير ذلك اليوم ،ليُعدّ ما يليق بمثله إجازتهُ مما يَحسن به بين الناس ،ويبقى على مرِّ الأيام أثرُه فاعتقد أفضلُ الدولة أن سيف الدولة قد دافعه عن سماعه منه استكبارًا لما يريد أن يصله به ثانيًا ، فأمر الأبيوردي أصحابَه أن يعبروا ثِقلَه الفرات متفرقًا في دُفُعات ،وخرج من غير أن يعلم به أحد سوى ولد أبي طالب بن حبش ،فأنه سمِعَه يُنشِد على شاطئ الفرات حين عبورِه(2):

أبابل لا واديكِ بالخيرِ مفعمٌ

لراجٍ ،ولا ناديكِ بالرّفدِ آهِلُ

فبادر ولَدُ أبي طالب إلى سيف الدولة ،فقال له: رأيت على شاطئ الفرات فارسًا يريد العبور إلى الشرق ،وهو يُنشِدُ هذا البيت ،فقال سيف الدولة: وأبيك ما هو إلا الأبيوردي ،فركب لوقته في قليل من عسكره ، فلحقه ،فاعتذر إليه ،وسأله الرجوع وعرّفه عُذرَه في امتناعه من سماع شعره ،وأمر بإنزاله في داره معه ،وحمل إليه ألف دينار ،ومن الخيل والثياب ما يزيد على ذلك قيمةً .ومن محاسن شعره . كما يقول صاحب الخريدة . قوله(3):

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنتْ

لنا رغبةً ،أو رهبةً عظماؤها

---

(1) الديوان 348/1.وينظر : معجم الأدباء 264/17.

(2) الديوان 136/2 .وينظر :معجم الأدباء 265/17 .والشعر العربي في العراق وبلاد العجم 93/2.

(3) الديوان585/1-588.وينظر: الخريدة . خراسان229/2 .ووفيات الأعيان446/4 والوافي بالوفيات91/2-92 .وشذرات الذهب19/4. هنالك خلاف في ترتيب الابيات مابين الديوان وهذه المصادر فضلا عن الخلاف في ايراد بعض المفردات :ف(فلما)الواردة في الرسالة ص35، ترد في الخريدة ص229(ولما)

فلما انتهت أيامنا علقتْ بنا

شدائد أيامٍ قليل رخاؤها

وكان إلينا في السرور ابتسامها

فصار علينا في الهموم بكاؤها

فصرنا نُلاقي النائبات بأوجهٍ

رقاقِ الحواشي كاد يقطُرُ ماؤها

إذا ما أردنا أن نبوح بما جنتْ

علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

وإذا ما تأملنا قصائده لوجدناها مسبوكةً بألفاظٍ قويّة،ومعانٍ جزلة،موافقة الغرض الذي يطرقه ،فهاهو ذا يقول في مطلع إحدى قصائده(1) :

أثِرها فلا ماءً أصابتْ ولا عشبا

وقد مُلِئت أحشاء رُكبانِها رُعبا

ويقول فيها:

وما أُمّ ساجي الطرف مالَ به الكرى

على عذباتِ الجزعِ تحسبُه قُلبا(2)

تُراعي بإحدى مُقليتها كِناسَها

وترمي بأخرى نحوه نظرًا غَربا(3)

فلاحَ لها من جانب الرملِ مَرتعٌ

كأنّ الربيعَ الطلقَ ألبسَه عَصْبا

فمالتْ إليه ،والحريصُ إذا غدَتْ

به طوره الطماع لم يُحمدِ العقْبَى

وله من قصيدة في مدح الخليفة المقتدي(4):

(1)الديوان 425/1.وينظر : الخريدة – خراسان 230/2.

(2)قُلب :سوار،فشبههُ بالقُلب لبياضه. (3) غرَبا :نظرًا حادًّا،سريعًا.

(4) الديوان 282/1.وينظر : الخريدة – خراسان 238/2.

إذا ما عقدنا راية مقتدية

رجعنا بها خفاقةً عَذَباتُها

تسير حواليها الملوك بأوجه

تباهي ظُبى أسيافهم صفَحاتُها

إذا ركزوها فالأنامُ عُفاتُهُم

وإنْ رفعوها فالنُّسور عُفاتُها[1]

وله في وصف الحرب[2]:

ويومٍ تراءى شمسُه من عجاجه

تطلّعَ أسرار الهوى من ضمائرِ

وتختفق الراياتُ فيه كأنّما

هفَتْ بحواشيها قوادِم طائرِ

وفتيانُ صدقٍ يصدرون عن الوغى

وأيدي المنايا دامياتُ الأظافرِ

وحاجتهم إحدى اثنتين من العلا

صدور العوالي ،أو فروعُ المنابرِ

وله أيضاً[3]:

فلا عِزَّ حتى يَحملَ المرءُ نفسَهُ

على خُطَّةٍ يبقِى على الدهرَ ذِكره[4]

---

(1) العفاة:طلاب المعروف،الواحد:عاف

(2) الديوان 468/1.وينظر : الخريدة – خراسان 283/2-284.

(3) الديوان 47/2.

(4) الخطة : الأرض التي يختطُّها الإنسان لنفسه ،وهو أن يعلِّم عليها علامة بالخط ؛ليُعْلَم أنّه قد احتازها ليبنيها داراً .

المبحث الثاني

شاعر من أصفهان

الطغرائي

أبو إسماعيل الحسين بن علي المتوفى سنة 515 للهجرة

أبو إسماعيل الحسين بن علي الطغرائي

هو أبو إسماعيل مؤيد الدين الحسين بن علي بن محمد الكاتب الشاعر الذي غلب عليه لقب الطغرائي(1) ؛لعمله في ديوان الطغراء ،وهي الطرة التي يكتبها عادة رئيس ديوان الإنشاء في أعلى الكتب فوق البسملة ،بالخط الغليظ ،متضمنة نعوت السلطان ،أو الحاكم الذي يصدر الكتاب باسمه ، وقد ولد بأصفهان سنة
(453) للهجرة ،لأسرة عربية تنتسب إلى أبي الأسود الدؤلي ،واختلف إلى دور العلم ،وحلقات العلماء منذ نعومه أظفاره ،وأنه تثقف على أيدي جهابذة اللغويين، والفقهاء ،والأدباء، وأصحاب الصنعة(الكيمياء) ،وله فيها مصنفات مختلفة .قال عنه الإمام محمد بن الهيثم الأصفهاني: (كشف الأستاذ أبو إسماعيل الطغرائي بذكائه سرّ الكيمياء ،وفك رموزها، واستخرج كنوزها، وله فيها تصانيف،منها : جامع الأسرار ،وكتاب تراكيب الأنوار ،وكتاب حقائق الاستشهادات،وكتاب ذات الفوائد،وكتاب الردّ على ابن سينا في إبطال الكيمياء ،ومصابيح الحكمة،وكتاب مفاتيح الرحمة)(2).

وقد استيقظت ملكته الشعرية مبكرةً فيه ،فجرى الشعر على لسانه،ووفد به على الرؤساء،وكان من أوائل من وفد عليهم فضلُ الله بن محمد :صاحب ديوان الإنشاء

---

(1) وردت ترجمته في الخريدة : أصفهان 62/1 .والأنساب للسمعاني 453/2-454 . واللباب لابن الأثير 262/3. ومعجم الأدباء 56/10-79 .ومرآة الزمان 56/8-58. ووفيات الأعيان 185/2-190.والوافي 431/12-439.والإعلام بوفيات الأعلام ص211.و تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي 777:1/4. والنجوم الزاهرة 250/5. وتاريخ أربل لابن المستوفي 66:1/2. والروضتين في أخبار الدولتين 29/1. وشذرات الذهب 41/4-43. وأعيان الشيعة 776/27-788. وتاريخ دولة آل السلجوق ص 125-126. وطبقات الشافعية للأسنوي235/2. ومقدمة الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي .وكتاب الشعر العربي في العراق وبلاد العجم لعلي جواد الطاهر ،وله كتاب لامية الطغرائي . ومعجم ألقاب الشعراء ص146. وتاريخ الأدب العربي عصر (الدول والإمارات) شوقي الضيف 559/5-600. وديوان الطغرائي - تحقيق علي جواد ويحيى الجبوري عام 1976م.

(2) معجم الأدباء 58/10.

لألب أرسلان،وأُعجِب به ،وبشعره،فعينه كاتبًا بالديوان،وأوصله إلى الوزير نظام الملك،فاستمع إلى مدائحه فيه ،ورحّب به ، فتشرفتْ به الدولة السلجوقية ،وتشوّقتْ إليه المملكة الأيوبية،وتنقل في المناصب والمراتب ،ولم يكن في الدولتين السلجوقية والإمامية من يُماثله في الإنشاء ،سوى أمين المُلْك أبي نصر العُتبي)[1].

وفي هذا العمر تزوج الطغرائي ،وما لبث الزواج طويلا ،إذ تتوفى زوجه، وتترك له رضيعاً لا يزال الشاعر يجد في نفسه منه شجى عميقًا عليها،فينظم فيها مراثيه التي تفيض بالحزن المرير على شاكلة قوله[2]:

بنفسي من غاليتُ فيها بمهجتي
وجاهي ،وما حازت يداي من الوَفْرِ
وفُزتُ بها من بين يأسٍ وخيبةٍ
كما استخرج الغَوَّاصُ لؤلؤة البحرِ
فجاءت كما جاء المنى واشتهى الهوى
كمالاً ونُبلاً في عفافٍ وفي سِتْرِ
فيا موتُ ألحقني بها غير غادرٍ
فإنّ بقائي بعدها غايةُ الغَدْرِ

وهي مرثية بديعة،فهو يصف حاله بعد فقدها ،فقد أظلمت الدنيا في عيني الطغرائي لفقده زوجه الشابة الجملية ،ولم يعد له منها سوى الأنين والدموع والزفرات ،وأنه ليشيح بوجهه عن الصبر ،وأجره وثوابه مفضيان إلى لوعات قلبه، وحسرات نفسه ، إذ تركتْ بين جوانجه ناراً لا تنطفئ ، ويظل يبكيها ، وتمرُّ الأيام، وتتغير حياته، فيسلو عن زوجه الأولى، ويتزوج ،ويُرزَق الولد[3] ،وهو في أثناء ذلك يعمل في دواوين السلاجقة ،ويتوفى نظام الملك وتضطرب بالشاعر الحياة ، فيتعرض لبعض الوزراء بالهجاء ،ولبعضهم بالمدح والثناء . وتتوثّق صلته بالسلطان محمد

---

(1) كاتب ومؤلف في الدولة الغزنوية وله كتاب (اليميني) في سيرة محمود الغزنوي قدمه الى يمين الدولة
(2) الديوان ص151–155.(3) ينظر : تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات)583/5.

بن ملكشاه(499-512هـ) ،ويصبح في عهده نائبًا في ديوان الطغراء [1]،ويتولى السُّمَيْرَمِيّ الوزارة ،ويتوفى السلطان محمد ،ويخلفه ابنه محمود، وتفسد العلاقة بين الطغرائي والوزير ، فيعزم السلطان محمود على قتل الطغرائي ،ويأمر به أن يُشدّ إلى شجرةٍ ،وأن يقف تجاهه جماعة بالسِّهام ، أن يقف إنسان خلف الشجرة يكتب ما يقول ،وقال لأصحاب السهام لا ترموه حتى أشير إليكم ،فوقفوا والسهام مُفَوَّقَةٌ لرمية ،فأنشد الطغرائي في تلك الحال[2]:

ولقد أقول لمن يُسدِّدُ سهمه
نحوي وأطرافُ المنيَّة شُرَّعُ
والموتُ في لحظاتٍ أحور طرفُه
دوني وقلبي دونه يتقطَّعُ
بالله فتّش عن فؤادي هل يُرى
فيه لغير هوى الأحبة موضع
أهوِن به لو لم يكن في طيِّه
عهد الحبيب وسِرُّه المستودَعُ

---

(1) كان الطغرائي وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل ،وأنه لما جرى بينه وبين أخيه السلطان محمود المصاف بالقرب من همذان ،وكانت النصرة لمحمود ،فأول من أخذ الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميرمي، فقال الشهاب أسعد وكان طغرائيًا في ذلك الوقت نيابة عن النصر الكتاب: (هذا الرجل ملحد ،فقال وزير محمود: إن يكن ملحداً يُقتل ،فقُتل ظلمًا، وقد جاوز ستين سنة ،وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعة وخمسين سنة ؛ لأنه قال وقد جاءه مولود:

هذا الصغير الذي وافى على كِبَري
أقرَّ عيني ولكن زاد في فكري
سبعٌ وخمسون لو مرّت على حجرٍ
لبان تأثيرها في صفحة الحجر .ينظر:(الديوان ص161)

(2)الديوان ص249-250.وينظر : معجم الأدباء 58/10.ووفيات الأعيان 189/2.وشذرات الذهب 42/4.

فرَقّ له ،وأمر بإطلاقه . ثم إن الوزير أغراه بقتله بعد حين فقتله.

وقال عنه العماد الأصفهاني: (وشعر عبر الشّعرى ،عُلُوّ عبارةٍ،وسُمُوّ استعارة، وسموق راية وشروق آية ،وتناسق مقصدٍ وغاية ،وتناسب بداية ونهاية. وأما نثره فنثر الدرر ،ومنثور الزهر .متارجة بعرف العرف ،وخلائقه مفطورة على الكرم ،موفورة بحسن الشيم متوجة بماء اللطف متبلجة بنور الظرف ، متوهجة بنار الحسن مبهجة بنور اليمن)[1].

خدم الطغرائي التأريخ بأخبارٍ نافعةٍ ،وذلك عندما مدح الأخوين (محمود ومسعود) من ملوك السلاجقة عام(513هـ) وتكلم على وحدة الأخوين على رغم الأعداء[2]:

بأخيه شدَّ الله أزر جلالـه

ووزيره من أهلـه هرونُ

قرمان قد نَبَتِ الحوادث عنهما

فالعود صُلب والغرار سنينُ

جُمِعا على رغم العدى وتساندا

فكلاهما صدق القناةِ متينُ

وعندما يدعو إلى وحدة البيت السلجوقي يقول[3]:

عاثت ذؤالةُ في القطيعِ وماله

راعٍ وأضحى اللصُّ وهوأمينُ

---

(1) خريدة القصر . أصفهان 43/1.

(2) ديوان الطغرائي ص 382 .وينظر :الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 33/2.

(3) القرم: البعير المكرم الذي لا يذل ، ومنه قيل للسيد تشبيهاً به.

(4) القصيدة في ديوانه ص276-385 قالها يمدح الملك محيي الدين مسعود بن السلطان غياث الدين شجاع بن محمد بن ملك شله ،ومطلعها :

نظري إلى لمعِ الوميض حنينُ

وتنفّسي لصباالأصيل أنينُ

وتنازع الملك الشعاع عصابة

لم تدر أيهم به المفتونُ

وتناهبوا ما لم يكن من قبل ذو الـ

قرنين يملكه ولا قارون

فبكل أرض رايةٌ وعصابة

جُمِعت وحرب لا تطاق زبونُ

جرِّد عزيمتك المتينة إنها

فتنٌ ركدن سهولُهن حزونُ

فبغاثها مستنسِرٌ وشرارها

نارٌ تشب ودودها تنينُ

ولكن هذه الوحدة لم تتم ،فقد قام العداء بين الأخوين ،وانخرط الشاعر نفسه في صف الملك مسعود ،ووقعت المعركة قرب همذان ،وكان الشاعر نفسه من بعض ضحاياها(1) كما أشرنا.

ومن شعر مؤيد الدين الطغرائي قصيدته التي تداولها الرواة ،وتناقلتها الألسن المعروفة بلامية العجم ومطلعها(2) :

أصالةُ الرأي صانتني عن الخطل

وحلية الفضل زانتني لدى العطلِ

مجدي أخيراً مجدي أولاً شرَعٌ(3)

والشمس رأد الضحى كالشمس في الطَّفَلِ(4)

فيم الإقامة بالزوراء(5) لا سكني

بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

---

(1) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 34/2.

(2) الديوان ص 301-309. وينظر : الخريدة – أصفهان 65/1-69.ومعجم البلدان 60/10-69. ووفيات الأعيان 185/2-188.والغيث المسجم في شرح لامية العجم.

(3) شرع :سواء. (4) الطفل: الشمس قرب الغروب. (5) الزوراء : بغداد.

الــمـــبحــث الــثــالــث
شــاعــر مـــن فــارس

الأرّجــانـــــي

ناصح الدين أحمد بن محمد بن الحسين المتوفى سنة544 للهجرة

أبو بكر الأرّجاني

هو القاضي الإمام ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني. ولد بأرّجان[1] من بلاد خوزستان في إقليم فارس سنة (460)للهجرة ،وهو وإن كان في العجم مولده ،فهو من العرب محتده ،وسلفه القديم من الأنصار من أبناء فارس الذين نالوا ثقافة واسعة[2]. وقد بدأ حياته في طلب العلم بأصفهان مرة وبكرمان مرة أخرى ،وكلاهما من حواضر العلم والمعرفة في بلاد فارس. دَرَس في عنفوان شبابه بالمدرسة النظامية في أصفهان،وجدّ في الدراسة الدينية والأدبية، وأعانه على ذلك ما تميز به من قابلية على الفهم وتفتح في الذهن على عهد الشباب[3]. وقال عنه العماد الأصفهاني: (كان متفقها متيقظًا لابتكار المعاني متنبها ،ثم غلب عليه الشعر لبراعته فيه ،وبلاغته في إحكام قوافيه)[4].

ولعل ثقافته هذه هي التي جعلته إمام عصره فقيها ،وأديبًا ،وشاعرًا ،يؤيد هذا قوله[5]:

---

(1) أرّجان: بفتح الهمزة وتشديد الراء من كور الأهواز (إقليم متسع بين فارس والبصرة)، ووردت مخففة بسكون الراء ليصح الوزن الشعري في قول أبي الطيب (ت 354هـ)

أرْجان أيتها الجياد فإنه عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا (الديوان567).

وقول الأرجاني:

ولم تصطنع أرْجان قط صنيعة إليّ ،بلى ،أرض الحبيب حبيب (الديوان235/1).

(2) وردت ترجمته في: الخريدة فارس144/3. والمنتظم139/10 .والأنساب174/1. ومعجم البلدان 195/1 .ووفيات الأعيان151/1-155 .والإعلامم بوفيات الأعلام223.وطبقات الشافعية للأسنوي110/1-112 .والوافي بالوافيات373/7. وتأريخ الخلفاء للسيوطي442. وشذرات الذهب 137/4. وهداية العارفين84/1. وتأريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) د. شوقي ضيف586/5 -588 .

وقد نشر ديوانه ،وحققه د. محمد قاسم مصطفى بغداد 1979–1980. بثلاثة أجزاء.
(3) خريدة العجم – فارس 145/3.وينظر :وفيات الأعيان 151/1.والديوان 41/1.
(4) خريدة العجم الديوان145/3.
(5) الديوان41/1 .وينظر : الخريدة . فارس 144/3. ووفيات الأعيان152/1.

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع
في العصر أو أنا أفقه الشعراء
شعري إذا ما قلت دوّنه الورى
بالطبع لا بتكلف الإلقاء
كالصوت في قلل الجبال إذا علا
للسمع هاج تجاوب الأصداء
صدر الرعاء وما شفيت ظمائي
أفلا تجوزُ جَنانُ هذا الماء؟
وإذا الربيعُ كسا البلادَ برودُه
فتجاوزتك نسائج الأنواء
فلأنظمنّ أرقّ منك لسامع
كلِمًا فأحسن في الكتاب لِرَاءِ

ألمَّ الأرجاني بألوانٍ عديدةٍ من ثقافة عصره[1] ،إلا أنها لم تذهب به بعيدًا عن ميدان الشعر ، فقد أخذته إلى التأليف والتصنيف في فنون المعرفة كما فعل الأبيوردي. ولعل دراسته الدينية في شبابه أعدته ليمارس القضاء، فتولى منصب نائب قاضي قضاة خوزستان تارة بتُستر[2] ،وتارة بعسكر مكرم ،مرة عن قاضيها ناصر الدين أبي محمد القاهر بن محمد ،وفي ذلك يقول[3]:

ومن النوائب أنني
في مثل هذا الشُّغل نائب
ومن العجائب أن لي

صبراً على هذي العجائب

---

(1) ينظر الديوان بأجزائه الثلاثة.

(2) تستر: بضم التاء وسكون السين،مدينة مشهورة بخوزستان ،والعامة تسميها ششتر (معجم البلدان31/2).

(3) الديوان 233/1.وينظر : الخريدة . فارس 202/3. ووفيات الأعيان 152/1.والوافي بالوفيات 373/7. والغيث المسجم126/2.

والأرجاني عمل في القضاء منذ شبابه حتى آخر عمره[1] ،وكانت له صلات وثيقة بأعيان العصر والخلفاء ،ولا سيما الخليفة المستظهر بالله(487–512) للهجرة ،أبو العباس أحمد بن الخليفة المقتدي بالله، وقال فيه[2]:

فلله در دولة مستخلف
به راح مستظهرًا واغتدَى
غداً الدين والملك في ظله
وكل منبع رفيع الذُّرى
يشافُ ويُشفى بآرائه
إذا مسّه صدأ أو صدى

وأيضاً قوله[3]:

إمام له في بعده عن عيوننا
دنو إلى إسعافنا بالمقاصد
كعلمك أن الله للخلق شاهد
جلالاً وما خلق له بمشاهدِ

كان الأرجاني يوم استخلف المستظهر بالله شابًا ،له خمسة وعشرون عامًا ،ولم يكن بأقل مبالغة من معاصريه،فتراه يقول في الخليفة إنّه(أعلى بني الدهر منصباً وخير من ولي الورى)[4]:

علوت الورى طرا فليس بناقص
محلك في شيء وليس بزائد

(1) خريدة العجم . فارس .146/3. ووفيات الأعيان الأعيان153/1.وشذرات الذهب137/4.
(2) الديوان76/1−77.
(3) الديوان237/1−328.
(4) الديوان330/1 الشعر العربي في العراق وبلاد العجم10/2.

ويكون الخليفة المستظهر سرى في جنودٍ لفتنة ما فأخمدها[1]:

وخيلك في شرق البلاد وغربها

قلائد أعناق الحصون الموارد

واختص الأرجاني بإلحاحه في تأييد شرعية الخلافة العباسية بشتمه أعداءها من بيزنطيين وغير بيزنطيين بقوله[2]:

خليفة صدق لا يسرُّ خلافه

سوى خائن عن سرعة الدين حائد

ومستظهر بالله في نصر دينه

مُظاهر درعى مجدةٍ ومحامد

إن النزاع على الخلافة وشرعية وارثها قديم ،وكان مبكراً في سياسة الدولة وشعرها ،ونراه في شعر الأرجاني واضحاً مفصلاً [3] بقوله[4]:

هل العلم شيء سوى ماورثت

ومن قال غير مقالي اعتدى

أما نشأ الوحيُ في بيتكم

وهل سرُّه لسواكم فشا

وجدُّكم ترجمان الكتاب

فهل فوق ذلك من مرتقى

وهل باطنٌ بعد هذا العمو

م باقٍ فيكشف عنه ثُرى؟

إنّ من يريد أن يؤرخ (للعباسية) لا يستغني عن أبيات الأرجاني لأنها في التأريخ ذات بال ، فستطاع بأشعاره أن يخدم التأريخ بأحداث ، ووقائع ذكرها مفصلة في شعره.

—

(1) الديوان330/1.ونفسه 2 /11.والإنباء في تأريخ الخلفاء206/1.
(2) الديوان328/1. (3) ينظر الشعر العربي في العراق وبلاد العجم12/2.
(4) الديوان 79/1.

وذلك لصلاته بالخلفاء البارزين ولا سيما المستظهر بالله ومن جاء بعده من الخلفاء. ومنهم الخليفة المسترشد بالله (512–529 هـ) أبو منصور الفضل أمير المؤمنين قال فيه[1]:

إمامٌ رعى لِله أمرَ عبادِه
فعاش الورى في مُلْكِه عيشةً رغْدا
بحقٍّ إليه اللهُ ألقى أمورَنا
ولِلـه أَوْفَى نـاقدٍ للورَى نَقْدا
فقد زيّن الدنيا بآثار كفِّه
سَماحًا وخلاًّها لأبنائها زُهدا
يؤرقُه خوفٌ عليهم ليأمنوا
إذا الدهرُ أزْجَى نحوَهم حادثًا إدّا[2]
بمسترشدٍ بالله مُستخْلِفٍ لهُ
مليكٍ يُريك الله طاعتَه رُشْدا

وكانت له صلة بسديد الدولة مؤيد الدين أبي عبد الله بن عبد الكريم الأنباري المتوفى سنة (558) للهجرة ،وكان كاتب الإنشاء بديوان الخلافة منذ سنة (503) للهجرة،وذهب العماد إلى أن مدائح الأرجاني فيه لو اجتمعت لكانت ديواناً بنفسه[3] ومما قال فيه[4]:

كما بسديد الدولةِ الدولة اهتدت

إلى كل ما ترمي به فتصيب

---

(1)الديوان1/335-336 الإنباء في تأريخ الخلفاء 210/1.
(2) الأدّ : الداهية والأمر الفظيع ،ومنه قوله تعالى: (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً)(مريم:89).
(3) الديوان 34/1. وينظر :خريدة العراق 141/1.
(4) الديوان 167/1.

لعمري لقد حاز المكارم كلها

همامٌ لغايات العلاء طلوبُ

إذا ساجلَ الأكفاء في المجد فاقهم

أغرُّ كريمُ الشِّيمَتَينِ حسيبُ

وتوفي الأرجاني في ربيع الأول من سنة (544) للهجرة[1] ،وقد شاخ[2] بعد حياة كريمة وشعر كثير ،وفي ذلك يقول العماد: (بورك في عمره ،وما شُورِك في أمره، ولاح سنا بشره ، وحلا جنا نظمه ونثره)[3].

ووصفه العماد الأصفهاني في خريدته ،فقال عنه:(كان مديد النفس ،شديد الهوس ذكي القبس ،جري الفرس ،رحب الحلبة ،كريم الضرب ،كلامه حُلْوٌ[4]،يأتي بالحلو المعسول ،والصفو المغسول ،والسهل الممتنع ،والفضل المرتفع ،والفصل المُشبع، والفص المَوُدع خاتم الحُسن ،المقيم لحاسده مأتم الحزن)[5] ،وهذا ما جعله متقدمًا على معاصريه. وشعره كثير من آخر عهد نظام الملك منذ سنة نيِّف وثمانين وأربعمائة إلى آخر عهده سنة (544) للهجرة . والذي جُمِع من شعره لا يكون عشره ،وهذه حقيقة أكدها العماد الأصفهاني بقوله[6]: (وكنت منذ نشأتُ ونشرتُ عَلَم العِلم ،وحييت برسم درسه دارس الرسم ،أُحبُّ جمع ديوان شعره ،لرفع إيوان فخره ،وكلفت به كَلَف المحب بحبيبه ،والمريض بطبيبه ،وأستشفي بمعتل نسيمه ، حتى وافيت عسكر مكرم سنة (549) للهجرة، فلقيت بها ولد الأرجاني محمد المنعوت برئيس

الدين ،فسألته أن يُعيرَني مُسوّدات والده في مدح عمِّي[7] ، فأعارني إضبارة كبيرة من شعره فيه ،وفي غيره ،فوقع اختياري على خيره..

—

(1) خريدة العجم146/3.وينظر : الوفيات 125/1.وشذرات الذهب 137/4.

(2) شذرات الذهب 137/4.

(3) خريدة العجم 147/3.

(4) الخريدة – فارس146/3.وينظر : مقدمة الديوان.

(5) نفسه148/3. (6) نفسه146/3.

(7) أبو نصر أحمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن هبة الله بن ألُه الأصفهاني الملقب عزيز الدين المستوفي عم العماد الأصفهاني .

فوصلت مدة مقامي القريبة بتلك الدار سواد الليل ببياض النهار حتى رحلت وما استكملتُ جميع أشعاره وجنى ثماره ،فضممت المستفاد والمستجد المستجاد إلى ما كان عندي وأنا أحلي هذه الخريدة منها بكل فريدة)[1].

وقول العماد الأصفهاني هذا يؤكد لنا أن شعر الأرجاني أكثر بكثير مما وصل إلينا ،وأنه أختار منه ما أعجبه منه في مدح عمه وسواه ،ومن مدائحه في عزيز الدين المستوفي قوله[2]:

يرعى الرجاء بنو أبيه ،فبينه

أبداً وبينهم وكيد إخاء

ولئن دعونا من كرامته فلا

عجبٌ ونحن له من الأبناء

أبني الهمام أبي الرجاء بقيتهم

في دولة محسودة النعماء؟

مثل الثريا في اجتماع كواكبٍ

وعلوِّ منزلةٍ وطول بقاء

نظم الأرجاني في أغراض شعرية شتَّى ،وهذا يدل على شاعريته وقدرته الفذة، فجاء بشعر رائق ذي سحر فائق بقوله[3]:

والشعر سحرٌ ولا يَحِلُّ سوى الذي

ينساغ منه وصفه بالطِّيب

فاذهب بسلكك فانظم الدر الذي

ترضاه أو فاذهب بحبلك فأحطب

وشعر الأرجاني كما وصفه العماد الأصفهاني: (كالرحيق الأرجواني ،أرج العَرف[4] ،بهيج العُرف[5] ،طريف المعنى، لطيف المبنى)[6].

—

(1) خريدة . العجم 147/3. (2) الديوان 68/1-69. (3) الديوان 208/1.

(4) أرج: توهج ريح الطيب ، ومنها أُشتقت أرجان. العَرف: الريح طيبة كانت أم نتنة .

(5) العُرف: من الاعتراف .والعُرف أيضا: عُرف الفرس. (6) خريدة العجم144/3.

ومن يتصفح ديوانه يجد أن أكثر موضوعات شعره دارت حول المديح؛ لأنه كما أسلفنا كانت له صلاتٌ وثيقة بالخلفاء ،والسلاطين ،وأعيان العصر . وعبَّرَ في مدائحه عن صلاته بهؤلاء الرجال ،وأحداث زمانه .وبرز في شعره ما كان يجري حوله من صراع بين العباسيين والسلاجقة من جهة،والباطنية[1]من جهة أخرى[2] ، وكان كغيره من الشعراء رافضاً لانهيار الحضارة العربية ،وانحسارها واضطراب قيمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ودارت موضوعاته أيضًا حول الوصف ،والشكوى ،والحكم ،والأمثال ،والفخر.
وكان مولعاً بالصنعة البديعية ،ودائم الإشادة بشاعريته ،(وتفرده في عصره بالفضل والإفضال ،وتوحّده بالقبول والإقبال)[3] لقوله[4] :

وقلائدٌ مما نظمتُ أوابدٌ

من كلِّ قولٍ أنتقيهِ مُهذّبُ

إحدى كراماتي بمدحك

إنّني نظمتُ دُرًا وهو غير مُثقَّبِ

والأرجاني كما يرى الدكتور محمد قاسم مصطفى في قضية الأشباه والنظائر ، كغيره من شعراء عصره ،وجد أمامه تراثًا ضخمًا من المعاني ، فالتفت إليه ، مصطنعًا لذلك شتى أساليب الأداء ،لكن تأثره هذا لا يخرج عن دائرة التقليد ،

والمحاكاة التي أصبحت جزءاً من أصالته الفنية[3] ،ونرى ذلك واضحاً في قول الأرجاني[4]:

وقد نسجت كف الثريا على الثرى

من الروض وشيا بالأقاحي منمنما

---

(1) الباطنية: هذه الحركة ظهرت أثناء حكم المستظهر بالله ،والتي لا ترى حقًّا للعباسيين في الحكم ،ودعا الخليفة المستظهر بالله إلى أن يثور عليهم لإطفاء نارها. ينظر: تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات)508/5.

(2) ينظر تاريخ الدولة العباسية ص131.

(3) الخريدة . فارس 160/3. (4) الديوان 208/1.

وقد أبدع الأرجاني في صوره ،ومعانيه ،ولغته ،وأسلوبه ،وموسيقى شعره، وعن ذلك يقول العماد الأصفهاني: (ما أعمق بحره ! وأعبق عطره ! وأعلقه بالقلوب !وأمزجه بالنفوس! وأجلاه للهم!وأذهبه للبؤس!وما أسكر للروح راحه، وأشكر للصبوح صباحه ،وأعجز للقرائح اقتراحه)[1] .وأجاد في افتتاح القصائد والانتقال من غرض إلى آخر ،وحُسن الاختتام:(وما أعجب في الخواتم والفواتح اختتامه وافتتاحه ! فلباعه الامتداد في الامتداح ،ولطباعه الاقتدار في الاقتراح، ولخاطره الابتكار ،والاقتضاب في افتضاض الأبكار..،وما أضوأ فجره في التخلص ! وأضوع منشره في التفحص)[2].

ولا عجب في ذلك؛إذ أكبّ الشعراء على العربية يتقنونها، ويتمثلون ملَكَتها وسليقتها، تمثّلاً دقيقًا ،نافذين بذوقهم المتحضّر إلى أسلوبٍ مُصفًّى ، يجمع حينًا بين الجزالة والرصانة ،وحينًا بين الرقة والعذوبة. وكان تأثرهم عميقًا بالثقافات المترجمة مما أثار في عقولهم ونفوسهم كثيرًا من المعاني والخواطر التي لا نكاد تُحصى ، ودفعهم إلى تطوير موضوعات الشعر الموروثة تطوراً نلمس فيه روح العصر ،وخصب الفكر ،ورهافة الشعور ،وأضافوا إليه موضوعات جديدة بما نفذوا إليه من تحليل المعاني ،والملاءمة بين أشعارهم وبيئاتهم المتحضرة ،وحياتهم اليومية[3] ،ومحاولة الإتيان بطرائف المعاني والصور ،ولا سيما أنهم كانوا يغدون ويروحون على مجالس المعتزلة وغيرهم من المتكلمين[4] ،كما كانوا يكبُّون على قراءة كتب الفلسفة ،والثقافات

الأجنبية ،محاولين أن يكتسبوا من ذلك كله ما يتيح لهم في أشعارهم أن يشيعوا فيها المعاني النادرة ،والأخيلة المبتكرة[5] ،ولا سيما أن أبيات الأرجاني تحمل معاني ،وصورًا دقيقةً تصوّر شاعريته،وأنه كان يعرف ـــ

(1) خريدة العجم 147/3.

(2) خريدة العجم . فارس147/3.

(3) تأريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول ص 5.

(4) ينظر : نفسه ص 159.

(5) نفسه ص159.

كيف يُطرف بصوره ومعانية،مما جعل القدماء يشيدون به،ومن معانيه الغربية[1]:

رثى لي وقد ساويته في نحوله

خياليَ لمّا لم يكن لي راحِمُ

فدلّس بي حتى طرقت مكانه

وأوهمتُ إلفي أنه بي حالِمُ[2]

وبتنا ولم يشعر بنا الناسُ ليلةً

أنا ساهرُ في جفنه وهو نائِمُ

---

(1) الديوان 1241/3. وينظر : تاريخ الأدب العربي(عصره الدول والإمارات)588/5.
(2) دلّس: التدليس : كتمان العيب.
إلف: . بالكسر . الأليف ، يقال حنت الإلف إلى الإلف ، والجمع (ألائف).

الـفـصــل الــثــانــي

الأغـراض الـشـعريــة

تـــوطـــئـــة

من البديهي قبل أن نستعرض الأغراض الشعرية التي راجت في عهد السلاجقة أن نمهد لذلك تمهيداً يسيراً لماهية الشعر. ذلك أنّ الشعر في هذا العهد غزير جداً

،وواسع الآفاق ،ولكنه متشابه الأفكار ،ومتقارب الأساليب إلى حد كبير[1].ولن يكون استشهادنا للأغراض منتقى من حيث الجودة والإبداع أو التقليد والجمود، إنما سيكون بما يناسب الموضوع الذي سنتطرق إليه ،وسنرى أن الشعراء لا يقاسون في ميزان واحد ،فهناك البارع المشهور كالأبيوردي (ت507هـ) والطغرائي (ت515هـ) والأرجاني (ت544ه) كما أسلفنا . وهناك المقل غير المعروف ،كل واحد منهم أدى ما عليه نحو فنه .

وقد خاض الشعراء الأغراض الشعرية :كالمدح ،والفخر،والحكمة ،والغزل ، والشكوى،والعتاب،والموعظة،والدين، والهجاء،والوصف ،والشيب إلخ... من الأغراض الشعرية التي كانت سائدة آنذاك.

وحديثنا عن الشعر في بلاد العجم لا يعني أن بيئة العجم كانت مقتصرة على الشعر العربي فحسب ،وإنما كان فيها أيضاً الشعر الفارسي الذي كان يتبع خطوات الشعر العربي الماضي والمعاصر له خطوة خطوة ، يتبعه في الصياغة والسمات ويحاكيه محاكاة دقيقة ،إلا إن الشعر العربي هو الأكثر شيوعاً ،ودوراناً على الألسنة[2].

إن الشعر العربي له منزلة كبيرة ،ولا سيما أن الملوك ووزراءهم كانوا يهتمون بالشعر وأصحابه ،وكانوا يتبادلون مع الشعراء مقارضات الشعر، ومطارحاته ، وإجازاته ،وكثيراً ما كان يُعرضُ موضوعٌ ،فيتنافس فيه الشعراء، كل يحاول أن يُظهر فيه براعته وتفوقه ،وكانوا يقيمون للشعر مواسم كالأعياد ، وكان الأمراء

---

(1) ينظر : خريدة العجم (أصفهان،خراسان،فارس) .

(2) ينظر دراسات في الشعر الفارسي ص16. وتاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) 567/5.

والوزراء يَهَبون الشعراء آلاف الدراهم والدنانير ،ويُعَيِّنون لهم مرتبات ،ويغدقون عليهم إغداقاً كثيراً حتى قيل : (حصل للأبيوردي من الملوك والأمراء ما لم يحصل للمتنبي في عصره ،ولابن هانئ في مصره)[1] .

فلا عجب أن يتكاثر الشعراء ،وتتنوع أغراضهم ،وتتطور ،فقد كان الشعر وسيلة لحياة رغدة،ولذلك قلما نرى شاعرًا من العشرات الذين ترجم لهم العماد الأصفهاني (ت597هـ) في الخريدة إلا وهو يتكسب بأشعار لعلها تفتح له أبواب النعيم ، وليس هذا وحده ما دعا إلى نشاط الشعر ، والتجدد في بلاد فارس ، فقد كان يُعدُّ جزءاً لا يتجزأ من الثقافة العربية ، التي كان الناس يعكفون عليها في شغف(2) ، فليس بعجيب أن يكون العرب أشعر من غيرهم ،وأن يقولوا الشعر بالفطرة ،وأن ينظمه كل عربي وعربية ، لا فرق بين ملك ، وأمير ،وحكيم ،وصعلوك ، وليس بغريب أن يصل إلينا عنهم هذا الحجم الكبير مع أنه قليل من كثيرٍ ضاع في حوادث الدهر المتوالية.

لم يترك الشعراء شيئاً مما وقعت عليه أعينهم ،أو سمعته آذانهم ،أو اعتقدوه في أنفسهم إلا نظموه في سِمْطٍ من الشعر ،حتى إننا نرى مجموع أشعارهم ديوانًا فيه من عوائدهم ،وأخلاقهم ،وآدابهم ،وأيامهم ،وما يستحسنون ،ويستهجنون.ولذلك قالوا كان الشعر ديوان العرب،ومعدن حكمتها ،وكنز أدبها(3) . ولا تزال مصادر الأدب صورةً ناطقة ببلاغتهم ،وسحرهم ،وشدة تأثيرهم ،وقوة بلاغتهم ، وجلالة أثره في حياة العرب ، فالشعر منذ عصر ما قبل الإسلام حتى يومنا هذا هو ديوان العرب ،والمصور لآمالهم وآلامهم ،وحياتهم ،ومشاهد الوجود بينهم ، أودعوه وقائعهم ،ومفاخرهم ،وأحسابهم ،وأنسابهم ،وأيامهم ،وآثارهم ،وذكرياتهم ، وأوصاف بيئاتهم(4).

---

(1) معجم الأدباء263/17.
(2) ينظر تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات)570/5.
(3) ينظر الأدب الجاهلي ص195. (4) نفسه ص196.

إن الشعراء العباسيين صوروا بيئتهم بجميع مظاهرها ،وعناصرها الصامتة منها والمتحركة أصدق تصوير بشكل يوازي الشاعر العربي القديم ،في وصفه الصحراء، وحيوانها الأليف والوحشي(1) ، وتركوا من الألفاظ الجاهلية ما كان متنافيًا مع ذوقهم ،وحسهم اللغوي على الرغم من أنهم واجهوا صعوبة في نقل التراث

الحضـاري المتنـوع الأغـراض إلـى لغـتهم العربيـة ،ولا سـيما أنهـم فـي دولـة إسـلامية اتسعت رقعتها، واختلفت أقاليمها ،وبالمثل كانت أمامهم أنماط من النظم الاجتماعية والاقتصادية والإدارية تختلف عما كانت عليه حياتهم من قبل،فاتسعت هذه الأنماط وتنوعت عما كانت عليه[2] ،فأتتهم روافد الحضارة العباسية بألوان التطور ،والتجديد فـي الفنـون وكـان العـرب ناشـرين للـدين الإسـلامي ،ودارت بيـنهم وبـين أصـحاب الديانات الأخرى المجادلات والمناظرات ،مما أحدث امتزاجًا بين ثقافة العرب الدينية ،والتراث العقائدي لأصحاب هذه الديانات[3].

---

(1) المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ص135.

(2) ينظر : العصر العباسي الأول د شوقي صيف ص185.

(3) ينظر : المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ص215.

الأغـراض الشـعريـة

المديـح:

ظهر الشعراء العرب على مسرح التاريخ منذ عصر ما قبل الإسلام ،وهم يتغنون بمديح شيوخهم،وأبطالهم راسمين فيهم الأمجاد الحربية لقبائلهم،ومثاليتهم الخلقية الكريمة مُذْكِين بذلك الحماسة في نفوس الشباب ،وبذلك كان الشعر ديوان مفاخرهم، أو بعبارة أدق كما يرى الدكتور شوقي ضيف (كان المديح هو هذا الديوان)[(1)] وأيضًا كان ديوان مُثُلِهم الخُلُقية من الجود وعزة النفس والكرامة، فالمديح عامة ثناء يُسبغه الشاعر على ممدوحه اعترافًا بفضلٍ ،أو طمعًا في نوال[(2)] ، وفي مقابل ذلك كان الملوك والأمراء يسعون إلى اكتساب صداقة الشعراء ؛لما لهم من أثر على سياسة قبائلهم من جهة ،ولما لهم من فضلٍ في سير ذكر الممدوح بين الناس[(3)] من جهة أخرى،فالنظرة إلى المديح في هذا العصر قد اختلفت كل الاختلاف عن نظرة العصور السوالف،فليس من المقبول أن يقف الشاعر بباب أميرٍ، أو ذي سلطة مادحًا له في عصر اختلفت فيه أسباب العيش عن ذي قبل،

ولا سيما أن الحياة غدت مترفة ، وقد تناول أكثر الشعراء غرض المديح ، وكأنّه أضحى غرضهم الأساس الذي سخّروا فنّهم لأجله.وكأنّ المديح صار عمل الشاعر الذي وُجد لأجله،وإذا كان الشاعر يسعى إلى من يمدحه؛ لينال منه،فقد كان الخلفاء والأمراء يسعون أكثر إلى المادحين،فمن لم يُقَل فيه شعر مذموم منعوت بالبخل[(4)] ولا سيما أن الشاعر حينما يمدح الذين أحبهم يكون صادق اللهجة ، يعطي ما في نفسه[(5)] ،فمضى شعراء المديح يمدحون خليفة ، أو والياً فيتحدثون عن العدل أو العدالة التي لا تصلح حياة الناس من دونها ، كما يتحدثون عن تقواهم وصدورهم

---

(1) تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) 336/5.

(2) ينظر : دراسات في الأدب العربي د. إنعام الجندي ص17.

(3) نفسه ص17. (4) نفسه ص251.

(5) نفسه259.

في الحكم،وعن روح الإسلام وتعاليمه[1]،ولم يتركوا معركة بينهم وبين أعدائهم من الأجانب إلا سجلوا المجد الحربي فيها ؛ ليدفعوا الشباب إلى سلّ السيوف، وقطع رقاب الأعداء ،ومحقهم محقًا.

ويرى الدكتور شوقي ضيف أنّ المديح كان طوال العصور السابقة لهذا العصر صحيفة تربية ،يجد فيها الشباب القدوة الحسنة في العمل المجيد ،والخلق الحميد، وظلت لها هذه الغاية طوال عصر الدول العربية والإمارات فالشعراء يصورون فيها رجال الأمة العربية ،وكل ما يتحلّون به من خصال رفيعة وكل ما يحققونه لدولهم وإماراتهم من أعمال حربية وكأنهم يريدون أن يرفعوهم نصب عيون الشباب شعارات تعبر عن آمال الأمة التي حققوها والأخرى التي تأمل أن يحققوها مما جعلهم على النهج الصحيح الذي تريده الأمة[2].

كانت مقاييس المدح في عصر السلاجقة هي نفسها عند القدماء ، فعدّة المادح وصف الممدوح بصفات المُثُل العُليا للإنسان[3]،فجَوَّد الشعراء أساليبه مع توخي الجزالة،فموضوعاته تعيش في إطار التحمّس والاعتداد والفخر والمقاومة، والتصفيق للانتصار ،وكلها مظاهر قوة،تفرض اللفظ القوي والعبارة الجزلة والميل إلى الزينة اللفظية .وقد عرفنا أن الشعر العباسي منذ عهد مسلم بن الوليد تحرى هذه الزينة ، وقصد إليها ، وأنه مضى مع النمو الحضاري ،يستزيد منها،فمع نشوة النصر اشتد احتفالهم بالبديع،وارتصادهم له،ووقوعهم على ما يُثير العجب منه[4].

والشعراء(إنما يُحابون على ما يُستحسن من لطيف ما يوردونه من أشعارهم، وبديع ما يغربونه من معانيهم ، وبليغ ما ينظمونه من ألفاظهم،ومضحك ما يوردونه من نوادرهم،وأنيق ما ينسجونه من وشي قولهم دون حقائق ما يشتمل عليه من المدح)[5]

---

(1) تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات)336/5.

(2) ينظر : تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات)336/5. وحول الأدب في العصر السلجوقي ص126.

(3) ينظر : حول الأدب العربي في العصر السلجوقي ص127.

(4) ينظر : حول أدب الحروب الصليبية ص232.

(5) عيار الشعر ص9.

فلم يخرجِ الشعراءُ شعرَهم إلا بعد الثقة بجودته وجماله.

وقد وردتنا قصائد المديح منفردة أحيانًا،وبمطالع تقليدية أحيانًا أخرى،غير أنّ القسم الأعظم من قصائد المديح مسبوق بالمطلع التقليدي ،ولا سيما إذا كان الممدوح شخصية عُلّية كوزير، أو أمير إعلاءً لمقامه ،وتقليدًا لكبار الشعراء ، وكان الغزل هو اللون الطاغي على المقدمات الشعرية في المديح ،وفي غيره.

ولعل الشاعر يسعى إلى خلق المطالع،بوصفها منهجا تقليديا جر الشعراء إلى قول الغزل ، نظيرمن سبقهم ،ومثلهم كمثل زهير بن أبي سلمى، الذي تذكر ديار الحبيبة بعد مضي عشرين عاماً فقال[1]:

وقفتُ بها من بعد عشرين حجةً

فلأيًا عرفتُ الدار بعد توهُّم[2]

وهذا الأرجاني يمدح سديد الدولة بن الأنباري ،كاتب الإنشاء بالديوان ،ويفتتح القصيدة بمقدمة غزلية رائقة يقول فيها[3]:

أضم على قلبي يديّ من الوجد

إذا ما سربوهنًا نسيمُ صبا نَجدِ

وأهونُ شيء ما أُقاسي من الجوى

إذا ما صفا عيشُ الأحبة من بعدي

خليليّ من سعدٍ: ألم تعرِفا الهوى؟

ومن لي بأن يهوى خليلاي من سَعْدِ؟

---

(1) شعر زهير بن أبي سلمى ص 6.

(2) لأْيًا: الجهد والمشقة ،وقصد أنه وقف بدار أم أوفى بعد مضي عشرين سنة من فراقها ، ولم يعرفِ الدارَ إلا بالمكابدة ،والعناء ،والمشقة .

(3) الديوان 2/472-473.

أقيم بأعلى الديرِ فردًا مُتَيَّمًا

أسائلُ عمّن حَلَّ بالأجزعِ الفردِ

وندَّتْ بليلٍ للرياحِ لطيمةٌ

فنَمَّ بها للركبِ نَشرٌ من النَّدِّ

يُسائلُها الساري عن الجَزعِ والحمى

وينسبها الواشي إلى البانِ والرَّنْدِ

ثم يتخلص إلى المدح بقوله:

ولاحت مع الصبح الثُّريا كأنها

صنيعُ يدٍ بيضاء من مُبتغي حَمدِ

وبعدها يمدح سديد الدولة بسبعة وخمسين بيتاً فيقول منها :

وكم لسديدِ الدولة القَرْمِ(1) من يدٍ

سرت مثلها منه إليّ على بعد!

أخو كرمٍ كالشمس في فلك العُلا

وكالغرّةِ البيضاء في جبهة المجد

بعيد مناط الهمِّ يُسرِف في الندى

ويختارُ في غير الندى مذهبَ القصدِ

ولا عيب فيه غير شُغلِ زمانه

بمَكرُمةٍ يُولي ،وعارفة يُسدي

وكم جاد بالدنيا على الدين كفُّه

وأصبح يَجني عَفوُه جمرةَ الحقدِ

ويغلبُ جهلَ الجاهلين بحلمه

ولا طِبَّ حتى يُدفَعَ الضِّدُّ بالضدِّ

مؤيدٌ دين الله ما زال بالنُّهى

إذا أبدتِ الأيّامُ عن حادث إدِّ

---

(1) القَرْم : البعير المُكرم ،لا يحمل عليه ،ولا يذلل ،ومنه قيل للسيِّد : قرم تشبيهًا به.

إذا الموقف المسترشدي دعا به

غدا بصرًا في ناظرِيْ ذلك الرُّشدِ

حباه أميرُ المؤمنين لنُصحِه

بضافيةِ الُّنعمى وصافيةِ الوُدِّ[1]

وقد تكون المقدمة خمرية كقول (العماد بن الشريف) ، وهو يمدح جمال الدين محمود بن عبد اللطيف الخجندي وجاء فيها[2]:

على أجفانه المرضى الصحاح

سلامُ مُتَيّم سكران صاحِ

سلام متيم لو مر ريح

على صدغيه غار على الرياح

ليالي الهجر قد طالت ولكن

صباحي في مواصلة الصباح

أرح بالراح روحي ثم وفِّر

من الأقداح يا سكني قداح

إذا الصبهاء دبت في عروقي

بدت في الخد آثار ارتياح

وكم من ناصح لي في هواه

ولا ألقى النصيحة بانتصاح

وبعدها يتخلص إلى المدح بقوله:

فزمّ لأرحَبيٍّ يا خليلي

فإن السقي أدنى للنجاح

وما من مَهمَهٍ إلا وفيه

طويتُ الأرض بالعيس الكلاح[3] ـــ

(1) الديوان2/480-481.

(2) الخريدة . أصفهان 257/1-258. (3) الكلاح: تَكَشُّرٌ في عبوس.

وبعدها يمدح جمال الدين بأبياتٍ لطيفة منها[1]:

كأني صيت مولانا فإنا

مدى الأيام نصدب في النواحي

همام يمتري العافون منه

نداه بلا سؤال وامتياح

إذا جمدت عيون المزن أضحى

وراحته تسيل من السماح

ودون جلوسهم سطوت أُسدٍ

ماليهم دوام في الكفاح

يروع يراعُه الأعداء حتى

كأنّ لخوفه رَعدِ الرماح

وعندي من عوارفه أياد

تُضيِّق دِرعَ آمالي الفِساح

فهاك قصيدةً دقّت ورقّت

وحالتْ خدِيَّ الرّود الرّداحِ

بهيبتك استكان الدهر خوفًا

وقبلك كان مَخْشِيَّ الجماح[2]

ومقام الممدوح الرفيع يضطر الشاعر بعد المطلع إلى أن يبحث في ذاكرته عن أصعب الألفاظ وأقربها إلى البادية العربية ،منبع الشعر تقديراً للموقف الجليل الذي يقفه ،وهو بذلك يقلد سابقيه من شعراء المدح[3] ،كبشار بن برد (ت167هـ) وأبي

---

(1) الخريدة أصفهان 258/1-259.

(2)جماح: جمع الفرس: اعتز فارسه ،وغلبه وبابه خضع .وجِماحًا بالكسر أيضًا،فهو فرس جَموح،بالفتح.

(3) ينظر : الشعر العربي في العراق وبلاد العجم103/2. وينظر : حول الأدب في العصر السلجوقي ص137.

تمام (ت231هـ) والبحتري (ت284هـ) ،فيتخد أسلوب القصيدة شكلاً جديًا أمام الشخصية ذات المكانة الرفيعة في نظره[1] ،ويكفي أن نطلع على هذه الأبيات من قصيدة قالها الطغرائي في مدح السلطان محمد بن ملكشاه قائلاً[2]:

لجلال أمرك تخضع الأقدار
وبيُمن جَدِّك يُحكَم المقدارُ
والدهر كيف أمرته لك طيِّعٌ
والله حيث حللته لك جار
ولك البسيطة حيث مد غطاءه
ليلٌ وما كشف الغطاء نهار

فالمعاني تكاد تكون متقاربة في أنه جعل الدهر منقادًا لأمر الخليفة، منصاعًا له.

وكان المثل الأعلى للمدوح هو البطل الهمام الذي يتقلد السيف وفي هذا العصر غدا المثل الأعلى في مسك القلم والسيف معا؛ لأن الوزير يجب أن يحمل السيف بيد والقلم بيد أخرى ،ولهذا سُمِّي الواحد منهم بذي الوزارتين[3] ،فها هو ذا بديع الزمان إسماعيل بن الحسين يشيد بثقافة شمس الدين أحمد بن شاه الغزنوي، ويمدحه قائلاً[4]:

وطيء الذرى مجدًا بأخمصه الذي
هو للثريا والسِّماك مُحاذ[5]
واجتاب من نسج المحامد نثرةً
حصداء أوفى من حبيك الماذي

---

(1) لمحات من تاريخ الأدب العربي من تاريخ العربي من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ص67،و 81،و 89.

(2)الديوان ص182–182 الخريدة . أصفهان .75/1.

(3) حول الأدب في العصر السلجوقي ص131.

(4) الخريدة فارس61/3–62.

(5) السِّماك: نجم مضيء عال في السماء.

وحوى ندى كعب وعِزّ مهلهل

وحجى ابن سيرين وفقه معاذ

ناهيك من قرمٍ همام تاركٍ

للمنفساتِ وللثَّنا أخَّاذِ

تعنوا لرتبته الأفاضل كلهم

كضراعة التلميذ للأستاذ

والمديح من أبرز الموضوعات الشعرية وأوسعها، يعرض فيه الشعراء بكل قدراتهم الفنية مآثرَ الممدوحين، وأفعالهم النبيلة ،ومواقفهم الحميدة ،وشجاعتهم وفروسيتهم وشدة بأسهم، وقوة شكيمتهم ،إذا ما خاضوا حربًا ،أو صَدُّوا عدوانًا. وهذا المديح كما يرى الدكتور ناظم رشيد أنّه قد جاء على ضربَين:

الأول : قد يكون نابعا من قرارة النفس ،يتصف بالصدق ،والإخلاص ،والود ،والبعد عن الخضوع والخنوع في بعض الاحايين.

والثاني : صادر من طرف اللسان ،يتسم بالكذب والمبالغة،وقد تصل هذه المبالغة حدًّا يوحي للقارئ أنّها غير صادقة،بل تظهر فيها المبالغة في معظم الاحايين[1]

ومثال ذلك قول أبي الخطاب بن علي في بيتين يمدح بهما أحد القادة[2]:

إن رشيد الدين ذو همَّةٍ

تلوحُ ،والشمسُ له نَعْلُ

وقد يصل الأمر إلى التذلل وإراقة ماء الوجه ،مثل قول فخر الدين أبي الرضا

---

(1) الأدب العربي في العصر الوسيط ص 39.

(2) أبو الخطاب بن علي بن أبي الخطاب: من أماثل أصفهان وأعيانها وأتراب الرئاسة، صاحب محاضرات ومحاورات ونكت ونوادر ،مُلاعِب مُداعِب.(الخريدة . أصفهان 148/1).

من جملة ما قاله في العزيز عمِّ عماد الدين الأصفهاني[1]:

الوجه منك أغرٌّ با

دي البشر والأخلاق غُرٌّ

والمالُ عبدٌ يُستَذَلُّ

نفيسُه ، والعرضُ حُرٌّ

وقول الأديب الحسين بن إبراهيم النطنزيّ[2] وهو غير مقتنع بمدحه ،ويستغفر ربّه ؛ لأنه غير صادق فيه:

ألم ترَ أَنِّي أزور الوزير

أمدحُه ، ثم أستغفر

وأُثني عليه ، ويُثني عَلَيَّ

وكُلٌّ بِصاحِبه يَسخَرُ

والمدح قد يتحول إلى نقيضه ،إذا لم يحصل الشاعر على نوالٍ من ممدوحِه ، من ذلك قول منصور بن محمد العاصمي[3]:

وإذا الكريم نبا[4] علَيَّ بعطفِه

يومًا ،وأخفق لي يديهِ رجاءُ

أمسكتُ عن شكري له وتركتُه

والصَّمْتُ عن شُكْرِ الكريمِ هجاءُ

وقد يكون الشاعر متيقنًا ومتأكداً من كرم وسخاء ممدوحه ، وهو مطمئن بأن

---

(1)الخريدة – أصفهان 236/1.

(2) من كبار أئمة العربية (ت499هـ)،ينظر : الخريدة – أصفهان 170/1.

(3) كان من مفاخر خراسان ،يُضرَبُ به المثل في رقة الطبع ،وصفاء الخاطر ،وحُسن النظم والنثر ، ينظر : الخريدة . خراسان41/2.
(4)نبا : نفر ،وأعرض.

مدحه إياه لن يذهب سُدًى ، كقول الرشيد الواطواط في مدح خوارزم شاه[1]:

فأنتَ بأعباء المكارم ناهضُ
وأنتَ لأبكارِ المناقِب خاطِبُ
وما سعيُ من يتلُو ثناءَك ضائعٌ
ولا ظنُّ من يرجُو عطاءَك خائِبُ

فالشعراء يُشيدون بأريحية الممدوح وكثرة سخائه،ووفره عطائه،ويشيرون تلميحًا، أو تصريحًا بحاجتهم إلى شيءٍ من نواله كما أسلفنا، مثل قول الحسين بن واصل في مدح نظام الملك[2] ،واصفًا إياه بالتدين والتقى والكرم :

إذا قيل من أهدى الهداةِ
ومن يتّقِ اللهَ حقَّ التقاةِ
ومن همُّة بإقام الصلاة
طول العشيِّ له ، والغداةِ
أجبنا فقلنا الوزير الهما
مُ أبو بكر ذو المجد شمسُ الكفاةِ
دعاني فأتيتُه مسرعًا
إلى بابه قبلةِ المكرماتِ

فقصائد المديح مكتنزة بنعوت التبجيل والتعظيم والتفخيم ، ولا سيما الشجاعة ، والعدالة ،والوفاء ،والتواضع ،والإقدام ،والعلم ،والثقافة ،والنسب العريق ، كقول مؤيد الدين أبي علي محمد بن الحسين[3]:

—

(1)هو السلطان خوارزم شاه بن محمد الملقب بعلاء الدين ،أو قطب الدين ،حكم خوارزم وبلاد ما وراء النهر من سنة (551.522هـ) ،كان ملكاً كريم الطبع ،لطيف الخلق ، عالي الهمة ،وافي الثروة ، سمح اليد ، ينظر : الخريدة : قسم خراسان وهراة / 195-199.

(2) الخريدة – فارس 32/3.

(3) نفسه126/2.

يا خير منتسبٍ في خير مُنْتسَبِ

وخَيرَ نجلٍ لأمٍّ بَرَّةٍ وأبِ

والجدُّ جدُّك ،خيرُ الناسِ كُلِّهم

والوالدان صميمًا أشرفُ النسبِ[1]

وقول فخر الدين أبي الرضا ، وقد أرسله إلى السيد كمال الدين بن السيد أبي الرضا الراوندي[2]:

يا كريمٌ ابن الكرام

والهمام بن الهمام

والذي في مرتقى الع

لياءِ قد فاقَ المسامي

نسبٌ يرتاحُ مابي

ن نبِيٍّ وإمامِ

كَسَنا الفَجر طوى

إشراقُهُ بَرْدُ الظلامِ

ناصعُ العِرضِ كما

يُصْقَلُ من عرضِ الحسامِ

عِشتُ ما أطربَ في الأف

نَانِ أسجاع الحمامِ

في نعيمٍ يتوالَى

في مسيرٍ ومقَام

ولآمرئ القيس الرويدشتي[3] مِدْحةٌ له في العزيز . عَمِّ العماد الأصفهاني .، وقد نعته بصفات :الفروسية ،والشجاعة ،والعدل ،والخلق الحَسن ،والوجاهة

—

(1)الخريدة – خراسان وهراة 126/2.

(2) نفسه239/1–240 .

(3) امرؤ القيس الرويدشتي: من أهل أصفهان ،وسُمِّي بذلك ؛لجزالة لفظه، ومتانة شعره.

والتواضع قائلاً[1]:

صبرًا فسيفك عن قريبٍ يُشْهَرُ

وتراهُ بالمُهجِ الجوادي يقطُرُ

والعدلُ مشكولُ القوائِمِ في الدُّجى

حتى يبينَ له الجبينُ الأزهرُ

وبخفَّةٍ من كُلِّ أروع كفُّهُ

غيمٌ بأنواعِ المكارم يَقطُرُ

ليثبتْ على المجدِ العمائم نوقهم

بِيْد الفَلا وعلى العفافِ المِئْزَرُ

فلو أنّـها كحلت بعنبرِ خُلْقِهِ

عينٌ وقد عَمِيَتْ لظلَّتْ تُبصِرُ

ولو أنّـه مسَّ التُّرابَ بنعلِه

وشمَمْتَ فاحتْ منه مِسْكٌ أذفرُ[2]

متواضِعٌ للّـه في خلواتِه

متكبِّرٌ إنْ رامَـه المُتكبِّرُ

إنّ العزيز تقدّستْ أسماؤُهُ

سُمِّي أبا نصر عزيزاً يُنصرُ

وهذا شمس الدين أبو المكارم[3] يصف كلام ممدوحه وبلاغته قائلاً[4]:

فكم لفظةٍ حُبْلَى بكلِّ غريبةٍ

تلوحُ من المعنى بها افتضّ بِكْرُهُ

---

(1)الخريدة . أصفهان 1/176-177.

(2) الذفر : - بفتحتين - كل ريح ذكية من طيب أو نتن ،يقال: مِسْك اذْفَر ،وبابه :طرب ، وروضة ذَفِرة ، بكسر الفاء.

(3) شمس الدين أبو المكارم: هو أحمشاذ بن عبد السلام بن محمد الغزنوي ، الواعظ الفقيه، كان من كبار العلماء / الخريدة . خراسان 2/132. (4) نفسه 2/141-142.

يودُّ نظام العقد لو كان نظمُهُ

ويهوى نثارُ الدرِّ لو كان نثرُهُ

لقد عرّفَ اللهُ البلادَ بعُرفِه

فلا عرفَ العلياءَ والمُلْكُ قَدْرُهُ

فرأيُك في غِرْسٍ تكَلَّفْتَ سقيَه

وعَطْفُك في عبدٍ توليتَ أمْرَهُ

ألا هكذا فليجمعِ الحمدَ ماجدٌ

ألا هكذا فليحرزِ المجد مدرَهُ

بقيتَ ولقيتَ السرور مؤيدًا

ولا نابَ في واديك ما أنتَ تكْرَهُ

وأنت الذي في الله تكرّمَ أهله

وأنت الذي لله يُعْظَمُ أَمرَهُ

ومن ذلك أيضاً أبياتٌ للشريف النوبندجاني[1] ،وهو يمدح الأمير مجير الدولة أبا الفتح وزير فارس قائلاً[2]:

قَرَّ العيون وصَحتِّ الآمالُ

وعلى زمانِك أقبَلَ الإقبالُ

وعلى ضمان الدّهرِ كلَّ صبيحةٍ

لك دولةٌ ،وسعادةٌ، وجلالُ

---

(1) الشريف النوبندجانيّ: أبو المختار أحمد العلوي بن محمد بن علي ،شاعر مفلق ، كان مُعاشرَ الأرّجانيّ. والنوبندجان: بالضم والسكون وباء موحدة مفتوحة ونون ساكنة ودال مفتوحة وجيم وآخره نون ، كذا قال ياقوت: (مدنية من أرض فارس من كورة سابور ،قريبة من شِعب بوّان الموصوف بالحسن ،وبينها وبين أرّجان ستة وعشرون فرسخًا، وقد ذكرها المتبني في شعره ،فقال:

منازل لم يزل منها خيال يُشيِّعُنِي إلى النوبندجانِ

ينظر : ديوان المتبني 2 /591 ،ومعجم البلدان 828/4. والخريدة – فارس 13/3.

(2) الخريدة 24/3.

وإلى يديك مدى الزمان النقضُ

والإبرامُ، والإعزازُ ،والإذلالُ

والشاعر حينما يمدح الأمير ؛فلأنه صاحب نسب عريق،وقد ورث الإمارة بعد أن عاث بها الدخلاء الذين يفتقرون إلى الكفاءة والجدة ،فالشاعر هنا لا يمدح فقط، وإنما يُهنئ بتولي الإمارة أو الوزارة لمن هو جدير بها ،من ذلك قول الشاعر :

أخذ الخبيئة بتأريخ ذو مِرَّةٍ

بالمشرفية ضارِبٌ فصّالُ(1)

كان للوزارةِ قبل ذلك لعبة

يلهو بها الدُّخلاء والجُّهَّالُ

فشكتْ إلى الله الأذى فإذا لها

وأخو الأذى عند الكريمِ يُذال

ولِيَ الوزارة منه كافٍ كافلٌ

للمُلك حامٍ خادمٌ بذّالُ(2)

ملأ الممالك بالكفاية مثلما

ملأ السّوارَ الساعدُ المفتالُ

أولى الولاة بها الأمير فإنها

إرث له ،وله بها استقلال

وإلى مناسبه انتهى شرف العلا

وإلى مناصبه انتهى الإعمال

ملك بنى الشرف الطريف وشدَّ ما

قد شاده الأعمامُ والأخوال

---

(1) الخبيئة :أراد بها الإمارة،أو الوزارة. المشرفية :سيوف منسوبة إلى مشارف،وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف،يُقال سيف مشرفِيّ.ولا يُقال :مشارفي؛لأنّه لا يُنسب إلى الجمع على هذا الوزن . الفصّال : السيف القاطع ؛الذي بفصل العضو عن الآخر.

(2)الكافل: الذي يكفل إنسانًا يعوله ،ومنه قوله تعالى: (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيًّا)(آل عمران: 37).

والنفس الكريمة المعطاة تتحلى بأجمل الخلق ،بل إن الشيم الحميدة مصدر كل الفضائل ،فلا الشجاعة ولا الإقدام بمحمودَين إن لم يسندهما خلق كريم يُميز بين الخير والشر وبين الحسن والقبيح وبين الإنسان وغيره، لذلك كان الخلق الكريم وراء كل أفعال الممدوح،ومثال ذلك قول الشريف النوبندجاني[1]:

فسبحان خالق أخلاقه الزكايا

الزكايا القسام الوسام

وسبحان خالقه من فتًى

يكسب العلى مغرم مستهام

ويضمن تبليغه غاية المراد

بلا تعب ولا اهتمام

ويعدو إلى غاية المجد

فيه رخيَّ العنان شديد الحزام

فالشاعر حينما يمدح من يحبه يكون صادق اللهجة يعطي ما في نفسه ،ولا سيما إذا الممدوح يستحق ذلك المدح ،وأنه أهلاً به لما يحمله من صفات حميدة وكريمة تميزه عن غيره من الخلق ،ولا غرو إذا اتخذ الشاعر من ممدوحه قدوة له، فنرى الشاعر حينذاك يُقبل على مدحه بصدق وعفوية ،وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً، فالقاضي أبو المعالي هبة الله الشيرازي يمدح الخلفاء الراشدين بقوله[2]:

إليك وسيلتي بجميل ظني

وبـالقرآن منك وبـالرسول

وبالصِّدِّيق والفاروق خيري

جميع الناس بعد أبي البتول

وبعدهما بذي النورين مُحيي

لياليه وغيث ذوي المحلول

---

(1)الخريدة فارس19/3. (2) الخريدة . فارس 35/3.

وبعدهم بأقضاهم عليّ

أبي الحسن المحَقِّقِ للأصولِ

فالشاعر سكب المُثُل العليا كلها، وذلك من النواحي الدينية والشخصية والإدارية، فكل ممدوح منهم إنما هو: مصلح الفاسد ،ومنصف المظلوم ،ومذلِّل الصعاب ، ومدبّر الأمور بحنكته السياسية الفذّة،وهذه حقيقة لا غبارَ عليها .وإذا تأملنا الأوصاف التي سكبها الشعراء في ممدوحيهم رأينا أنّهم لم يتركوا معنى قاله القدماء إلا لاكُوه ،وأعادوه،وجودوا فيه،فيسبغ الشاعر على ممدوحه ألوانًا من الأوصاف الجليلة ، كقول الإمام شهاب الدين أبي العباس الحويزي في مدح العزيز[1]:

الصبّ مغلوب على آرائه

فهبُوه معشر عاذليه لِدائه

ومتى يُرَجّى اللائمون سُلُوَّه

باللوم ،وهو يزيدُ في إغرائه

والعدل كالنَّفَس الضعيف بعثته

يُطفي الضّرام فجدّ في إذكائه

ما كنت أبخلُ بالفؤاد على اللَّظى

لولا حبيبٌ حلَّ في سودائه

كالنور يهدي الطرف مقتصد السنا

ومتى يزد ينهض إلى إعشائه

فَعلتْ نوائبُه بِحرٍّ تجلدي

فِعلَ العزيز لدى النَّدى بثرائه

فانصاعَ يمرحُ في غِناهً نوالهُ

حتى ظننا المال من أعدائه

وينبغي الإشارة إلى أن الصفات المُسبغة على الممدوح ليست كلها تبلغ مرتبة

---

(1) الخريدة فارس3/37.

المثل الأعلى ،فقد لا يجد الشاعر النسب ،أو الأصل في ممدوحه[1] ،فيمدحه لأنه فاضل ،له أدب يميزه من غيره .فالشاعر منصور بن محمد العاصمي يقول بيتين من الشعر في فاضل لا أصل له[2] :

لا تحقرن الفتى لـه أدبٌ

راقَ وإن لم يرُقْ له نسبُ

فالنرجسُ الغضُّ أصلُه بصلٌ

والسُّكر الحلوُ أصلُه قَصَبُ

وقد تُختم قصائد المديح بالدعاء إلى الله جل وعلا ،أنْ يحفظ الممدوح ،ويوفقه، وهذا الدعاء شرط من قصائد التهنئة بالأعياد ،والمناسبات الأخرى[3] ، فهذا على سبيل المثال الطغرائي يمدح السلطان المعظم غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه ،ويدعو له بالبقاء قائلاً[4]:

رعاكم من استرعاكم الخَلْقَ أنكم

لهم وِزرٌ في كل خطبٍ ومَصرخُ

ولا خلتِ الأيامُ منكم فإنّكم

لها غُرَرٌ فيها تلوحُ وتشرخُ

---

(1) ينظر :حول الأدب في العصر السلجوقي ص134.
(2) الخريدة – خراسان وهراة 41/2.
(3) ينظر الشعر العربي في العراق وبلاد العجم103/2.
(4) الديوان ص115–122.وينظر : الخريدة أصفهان 76/1.

الـغزل:

لقد كانت قصائد الغزل كثيرة جداً لدرجة أنه قلما نرى شاعراً لم يدلِ بدلوه في مضمار الغزل .ولعل مرد ذلك إلى أنه لم يقل شاعر قصيدة إلا كان الغزل طريقه صادقًا كان هذا الشاعر ،أو غير صادق ، بل أكثرهم كان تقليديًا ؛لأنهم يريدون مجاراة العصر الذي هم فيه ،وبضاعة هذا اللون رائجة ، سواء أكان ذلك مطالع لمدح أو عتاب أو هجاء[1] أو لا.فالغزل في هذا العصر بناءًا على هذا : كلام إما ليس له جذور في نفس الشاعر ،وهو الذي ورد في المطالع الشعرية كما أسلفنا ،وإما له جذور آنية ،كأن يلقَى الشاعر جارية حسناء ،فيصف من محاسنها ما يرى ،وإما أن يكون عاشقاً فعلاً ،وتكون العاطفة هنا نابعة من القلب[2].

والغزل يكاد يساوي المدح من حيث كثرة الشعر وغزارة المقطوعات ،والقصائد التي قيلت فيه .وإن جميع الناظمين من شعراء محترفين ،أو غير محترفين قلّما خلت ترجمة أحدهم من أبيات الغزل.

وعلى الرغم من أن معظم غزل القرن السادس هو مقدمات لقصائد المديح،إلا أننا نجد قصائد غزلية مستقلة بنفسها كقول الطغرائي[3]:

يا صاحبيَّ أعيناني على كَلَفي

بمن تُنازِعُني ليلي ولم أنَم(4)

كيف السبيل إليه وهو مُذ عَلَقَتْ

يد الحبالة صيدٌ لاذ بالحرم

---

(1) ينظر حول الأدب العربي السلجوقي ص209.

(2) ينظر الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص124.

(3) القصيدة في ديوانه ص359–362.وينظر : الخريدة أصفهان 91/1. وقالها على وزن قول الشريف الرضي:

يا ليلة السفح إلا عُدْتِ ثانية

سقى زمانك هطّالٌ من الدِّيَمِ (الديوان722/2)

(4) الكَلَف: الأمر بما يَشقُّ ،ولا يطاق.

سِرْبٌ من الأُنس ركبنَ الغصون على

حِقْفِ النّقى وسَتَرْنَ الوردَ بالعَنَمِ

بخَلْنَ حتى بإهداء السلام لنا

والبخل فيهن محسوبٌ من الكرم

ورُحْنَ وهْنًا عن التجمير راشقة

قلوبَنا بنبالٍ حُلوةِ الألمِ

رمين بالجمرِ قلبي إذ جَمرن ولو

كَلّمتنا لَشَفَيْنَ الكَلْمَ بالكلِمِ

وليلة السفح والركب الهجود ثنوا

على الأكُفِّ مثاني الجَدْل واللُّجُمِ

بتنا وباتَ الصِّبا وهنًا يغازِلُنا

وفَرشُنا الرّملُ رشّته يدُ الدِّيَمِ

وطبيعي أن تكون الحبيبة متمنّعة لقوله(1):

يا قلب مالك تلتذ العناء فما

تنفكّ من شَجنٍ بادٍ ومُكتَتَمِ

طالبته فشكى عدماً فقلتُ له

من فوهُ ملآنُ دُرّاً غير ذي عدمِ

ويكلّف هذا الحب (العميق) المحبين أنواعاً من الآلام ،وكثيراً من الأشجان، والهموم ،حتى إن الشعراء يدعون الحبيبة إلى أن تقاسمهم المعاناة والهموم ،علّها ترق لهم ، يقول الطغرائي[2] :

أقولُ لنضوي وهي من شجَني خِلْوٌ

حنانَيْكِ[3] قد أدميتِ كلمي يا نضوُ

—

(1) الديوان ص309–362 . وينظر : الخريدة أصفهان92/1.

(2) الديوان ص410–411. وينظر : الخريدة93/1. ومعجم الأدباء 76/10.

(3) الحنان:الرحمة لقوله تعالى: ﴿وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً﴾ (مريم:13)

تعالي أقاسمك الهمومَ لتعلمي

بأنّك مما تشتكي كبدي خلوُ

ولعل ما يُقال في أعلام الأمكنة يُقال في أعلام (الحبائب) التقليدية التي اكتسبت صيتا ومكانة في الشعر على مر الأيام،ولصلة صادقة وقعت لهن مع فلان،وفلان من الشعراء[1] ،فنجد أسماء ،مثل : ليلى ولبنى وسُعدى ونُعم وأُمامه وأسماء..ألخ من الأسماء.ومن السذاجة أن نبحث وراء هذه الأسماء عن حب صادق مثل قول أحمد بن محمد الغزالي[2]: طاب ليلي دون ليلى

سهرت عيني وناموا

وذوق شاعر العصر السلجوقي من الأوصاف الجسمية ذوق موروث عن الأسلاف ،فهو يعيد ويكرر: وجهاً كالقمر أو كالشمس ،وجيدًا كجيد الظباء، واثر العيون كأثر السيوف ،وشعرًا طويلاً أسود ،وخصرًا دقيقًا ..إلخ من الصفات ،فهذا الفضل بن كاهويه يصف محبوبته بأنها (ظبية القاع) ،وقد امتلكت صفات الحُسن والحلاوة بقوله[3]:

يا ظبية القاع لولا طرفي الباكي

ما كنتِ واحدةً بالآلِ سُقْياكِ

ويا شبيهةَ سُعدى في لواحظها

أصميت قلبي بلحظٍ منك فتّاك

تالله قولي فتاةَ الحيِّ صادقةً

مَن الذي في دمِ العُشّاقِ أفتاكِ

لله دَرُّكِ ما أحلاكِ عاطِلةً

وإن يكُنْ حُسنُ لُطْفِ اللهِ حَلاّكِ

أعجبُ بوجهِك روضاً ضاق منظره

فاحتْ أزاهيرُه من طيبِ رَيَّاكِ

---

(1) ينظر الشعر العربي في العراق وبلاد العجم99/2. (2) الخريدة خراسان 65/2.

(3) الخريدة أصفهان 138/1. وينظر : الشعر العربي في العراق وبلاد العجم99/2.

البدرُ وجهُك والظلماءُ فرعاكِ

والبانُ قدُّك والكُثبان ردفاك

يا من ولايتها بالحُسن ظاهرةٌ

ما كان أولاك بالحسنى لمولاك؟

دعوتِ قلبي إلى أمر فلَقّاكِ

لا تُسلميه إلى مكروهِ سَلْواكِ

ليس الفتوة أن تَلْقي بعذرك من

أضحى بصدقِ وفاءٍ منه يلقاكِ

فهذه هي عادة الشاعر المحب ،أن يظهر وفاءه وإخلاصه لحبيبته ،وقد يصل به الحال أن يكابد الحب ،وكأنه اقترف ذنبًا ،إلا أنه لا يرجع عن ذنبه ،فيقول عزيز بن محمد الشملكي(1):

احترق العالم في حُبّه

وأظلمَ الدَّهر على صبِّه

أمرض قلبي رشأٌ فاتنٌ

يزيدني العِلّةَ من طبِّه

إن كان ذنبي حُبَّهُ فاشهدوا

أني لا أرجع عن حُبِّه

وأحياناً يؤدي الحب إلى الضعف والهزال ،إلا أن العاشق فَرِح بهذه الحال، فهذا أبو الفضل المظفر يقول(2):

وأنحلت مثل السلك جسمي لعلها

ستجعلني سلكاً لبعض القلائد

وله من قصيدة أخرى يصف بكاءه على فراق الأحبة بقوله(3):

---

(1) الخريدة أصفهان 139/1.

(2)الخريدة أصفهان 156/1.

(3) نفسه 158/1.

أرى شغلَ جُلاسي بكأسٍ وخمرةٍ

وشغلي بفيضِ الدمعِ من بين جُلاسي

إذا ما أداروا الكأسَ عنّي صرفتُها

وقلتُ غنِّينا بالدموعِ عن الكاسِ

وله في سقمِ محبوبته ،وهو يتمنى لو أنَ سقمها في أهلِه وماله وأولاده(1):

حلفت بذلك الخد والثغر واللَّمَى

وذاك البنان الرطب والفاحم الجعدِ

لو أستطيعُ ذُدْتُ السقم عنها بمُهجَتي

وأحللتُه بالأهلِ والمال والولدِ

وكانت التقاليد القاسية تُحتِّم على المُحبِّين التشدد في كتمان الحب ،وتحمل فراق المحبوبة ،وعدم رؤيتها(2) ،فهذا الأديب الدوائي يعاني من حنينٍ قد نَغّصَ عيشه، ويكاد يُجَنُّ لفراقِ الحبيبة فيقول(3):

حنيني إلى لُقياك نغَّص عيشي

ومَن غِبتَ عنه كيف لا يتجنَّنُ ؟

وكل الذي لاقيتُ بعدك من أذًى

عليَّ إذا أبصرتُ وجهك هيِّنُ

وفي المعنى ذاته يقول فخر الدين مفتي الفريقين[4]:

أَ أحبائنا أما حياتي بعدكم

فموتٌ وأما شُرْبي فمنغَّصُ

وأسعد شيء في قلبي لأنه

لديكم وجسمي بالبعاد يخصص

—

(1) نفسه158/1-159. (2) مقالات (شعر العصر السلجوقي) ص175.

(3)الخريدة – أصفهان 185/1-186.

(4)الحسن بن الأديب محمد بن الحسن الوركاني ،إمام خراسان ،وسيد علماء الزمان ، بحر من العلم – الخريدة أصفهان 189/1-196. والأنساب318/3. واللباب269/3 .والوافي231/12. والنجوم الزاهرة365/5 . وشذرات الذهب187/4.

وقول الأرجاني[1]:

نَقَّبُوهنّ خشية العشاق

أو لم تكف فتنة الأحداق

فعجيبٌ لو عشتُ بعد التنائي

وعزيزٌ لو مُتُّ قبل التلاقِ

وقد اتسمت أشعار الغزل باليسر والسهولة ،فأصحابه لا يميلون لغرابة اللفظ ،ولا لجزالة العبارة،فالغزل نجوى القلوب الهائمة ،وشذا العواطف الرقيقة، فجديرٌ به أن يكون في غاية العذوبة والرقة[2] ،وخير مثال على ذلك قول عبد الله بن شاكر بن أبي المطهر المعداني[3]:

لفح وجدٍ تعرّضا

لفؤادي بذي الغضا

شبهُ لمعٍ بنجوةٍ

في دجى الليل أوْمَضَا

قلت لما لقيته

ثم أغرى وحرّضا

أمسك القول لا تطل

ذاك دور قد انقضى

وقول فخر الدين أبي الرضا[4]:

فلعل الليل يُمتع بالسّمَر الـ

مأنوسِ في السّدفِ

---

(1)ديوان الأرجاني1006/3. (2) ينظر : تأريخ الشعر العربي في العصرين الأول والثاني من بني العباس ص182. (3)الخريدة أصفهان204/1.

(4) فخر الدين أبو الرضا:(كان من الأعيان والفضلاء والظرفاء،وكلماته مُعينة،وجواهرة ثمينة ،وفرائدها كلها يتيمة ،وكان أحد الأئمة والشعراء الذين أجاز القاضي بشيراز كلامهم بألف دينار، فمنهم الغزي ،والأرجاني ،والنوبندجاني ،والسيد أبو الرضا.الخريدة – أصفهان 235/1.

ولا ننسى ونحن نقرأ أشعار الغزل أن نُشير إلى الوشاة ،وأقوالهم التي تؤجج نار الحب ،وتثير غضب المحبين، وقد تؤدي إلى الفراق،كما نرى في قول الحسين بن الأديب الوركاني[1] من قصيدة منتظمة منها[2]:

لكنَّه لما مشى

نمّ عليه ووشى

فائح نشر قد نشا

من صدغه ورشا

لكن ريّاهُ يَنَمْ

أرّجَ مسراهُ الثرى

لما تبدى وسرى

وجرّ ذيلاً فجرى

كأنّ فيه عنبرا

بنشره من الأَكَمْ

وهذا (إسماعيل بن أبي المنصور) يدعو الوشاة إلى السكون،وكف الأذى بقوله[3]:

ماذا على الواشين لو سكتوا وقد

عهدوا بكائي عن ضميري فخبرا

وقد يصل الأمر إلى تحدي الواشين ،وعدم الأكتراث بأقوالهم ،كقول أبي الفضل المظفر[4] وقد أمضى ليلة هانئة برغم الوشاة إلى السكوت:

يا ليلةً قرنتْ لنا

فيها المآربُ بالنجاحِ

---

(1) الأديب الوركاني: قال عنه العماد: (كان له الفضل الباهر ،والعلم الظاهر ،والقوة في النظم والنثر ،واليد الطولى في الشعر) ،ينظر : الخريدة أصفهان 196/1،معجم البلدان مادة (وركان)373/5. والوافي بالوفيات246/2.

(2) الخريدة – أصفهان197/1.

(3) نفسه143/1.

(4) نفسه 155/1.

بتنا برغم وشاتنا

مُتعانقين إلى الصباحِ

مُتمازجَين كأنّنا

روحان من ماء وراحِ

ظنّ الوشاةُ لفرط ضمِّ

ي أنني بعضُ الوشاحِ

وقول عبد القاهر بن طاهر بن شاهفور (من صدور العلماء)[1] داعيًا على كل واشٍ وعاذل:

بعض الملامةِ بعضها يا عاذلي

ما اللومُ من شيم الفصيحِ العاقلِ

أكثرتَ عتبك لا ظفرتَ بمُعتبٍ

ونصحتَ جُهدَك لا سَعُدتَ بقابلِ

وقول عبد الله بن محمد بن علي الهروي[2]:

بقي الحسودُ مع الكَمَدْ

ووفى الحبيبُ بما وَعَدْ[3]

حَيِّي الوصالَ وقلْ له

دُمْ ياوصالُ إلى الأبدْ

أو ليس من طرف الهوى

عطف الغزال على الأسدْ

وهذا الرشيد وطواط[4] وقد ألحقه الضرر بفراق أحبته لسعي الوشاة بالنميمة

---

(1) نفسه 26/2. (2)الخريدة 59/2.

(3)الكمد: الحزن المكتوم ،وبابه طرِب ،فهو كَمِدٌ ،وكميد. والكُمدة: تغيّر اللون.

(4)الرشيد وطواط: هو محمد بن محمد بن عبد الجليل العُمري من ولد عمر بن خطاب (رضي الله عنه) ،من أهل بلخ ،ومقامه بخوارزم، وهو كاتب الحضرة الخوارزمشاهية ،وله براعة وبلاغة وصناعة تامة في النظم والنثر ،وكان قصير القامة أصلع الرأس فلهذا أطلق عليه هذا اللقب ،الخريدة – خراسان 175/2.ومعجم الأدباء 29/19–36. واللباب80/1–86.

بينه وبين أحبابه قائلاً[1]:

كثُر الوشاةُ وهم عُداتي بيننا

فرموا حبالَ ودادِنا ببتاتِ

إن النميمة بين إخوان الصفا

وشيٌ يُنمنمُه كلامُ وشاةِ

صدّ الأحبة عن هواي وإنهم

سُرُّوا بما صبغوا قلوب عِداتي

ومن عادة الشعراء أن يصفوا مفاتن محبوباتهم ،والمحاسن التي تقع عليها أعينهم من لون الشعر والوجه والخدود والعيون ،فالقاضي الهروي[2] يصف زرقة العين وسواد الشعر بقوله[3]:

ما شانَها . والله . زرقة عينها

بل صار ذاك زيادةً في زَيْنِها

كادت أساود شعرها تسطو على

مهج الورى لولا زمرد عينها

وله من قصيدة أخرى يصف التلاؤم التام بين الخدود الحمر ،والأسنان البيض ،والجدائل السود ، والأعين الزرق قائلاً[4]:

ولما التقى الياقوت والدر والسَّبَج

من الخد والأسنان والصدغ ذي العَوَجْ[5]

أتاح لها الباري زمرد عينها

فتَمّ به عقد الملاحة وازدوَجْ

---

(1) الخريدة خراسان 202/2.

(2) القاضي الهروي: هو يحيى بن صاعد بن سيّار، من شعراء هراة ،صاحب بديهة، ينظم بسرعة ،حلوُ الشِّعر ، لطيفة ينظر : الخريدة – خراسان11/2. ودمية القصر893/2.

(3) الخريدة 11/2. (4)نفسه 12/2.

(5) السَّبَج : بفتحتين: الخرز الأسود .

وقول أبي الحسن الباخرزي[1]:

شقيقٌ ،نرجسٌ خدًا وعينًا

صباحٌ ظلمةٌ وجهًا وشعرا

وبال المسك أصداغًا وعُرْفًا

كساه الدرّ ألفاظًا وثَغراً

رنا ظبياً ذكا ورداً تثنّى

قضيباً ماج دعصا لاح بدرا

تسائل كيف حالك بعد عهدي

فديتك ما السؤال وأنت أدرى

ولشدة ما يعانيه الشاعر من الحب وتباريح الهوى ،ولا سيما إذا كانت المحبوبة مليحة وجميلة وفاتنة ،فإن بعضهم يُحذر من الوقوع في شباك الحسن الأخّاذ ؛لما له من عواقب تؤذي المحب ،وتغير حاله إلى ما لا يرضاه ، فهذا سعيد بن عثمان بن الهيصم المشهور بـ(الأمام أبي الفتح) ، يحذر من حب الملاح قائلاً[2]:

إياك إياك وحبَّ الملاح

فإنه يذوي القلوب الصحاحِ

فالعاشقُ الصَّبُّ على حاله

جمٌّ الأسى مشقوق ثوب الصلاحِ[3]

سكرتُ في خمر الهوى في الصبى

دهراً وإنّي اليوم منه لَصاحِ

---

(1) أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي من أهل باخرز ،وهو الذي صنف دمية القصر في شعراء أهل العصر .وردت ترجمته في: الخريدة خراسان96/2. والأنساب 21/2 .ومعجم البلدان 316/1. ومعجم الأدباء23/13-48. واللباب104/1. ووفيات الأعيان 387/3-389 .وطبقات الشافعية للأسنوي234-236 .والنجوم الزاهرة 99/5. وهدية العارفين692/1.

(2)الخريدة خراسان33/2.

(3)جم الأسى: كثير الحزن والهم.

تُسكرني غيـداء ممكورة

بالنرجس المُحمَّرِّ من غير راحِ[1]

رشفتُ من لؤلؤ يا قوتها

برد رضابٍ زاد في الالتياح[2]

وقول إدريس بن علي البياري[3]:

بُليتُ بشادنٍ فردِ الجمالِ

بديع الحسنِ سَحّار المقالِ

يزيدُ عليَّ وجدًا بعد وجدٍ

ويُضعفني خيالاً في خيالِ

يُواعدني الوصالَ وقد براني

فمن يبقَى إلى يوم الوصالِ

وقول أبي طاهر الخاتوني[4] شاكيًا ملاحة وجه الحبيبة بصورة طريفة جداً بقوله:

ومما لوى قلبي وشقّ مرارتي

ملاحة وجه أُردِفَت بالحلاوةِ

وثمة شعراء قصروا في العاطفة والخيال ،فكلامهم مرصوف ليس سوى صنعةِ قوم تمكنوا من اللغة والعروض والأدب[5].

وهناك نوع آخر من الغزل،هو الغزل بالغلمان، فالجاهلية لم تعرفه ،ولا القرن الأول الهجري،ولكن جاء به الترف والحضارة الجديدة ،وكثرة الغلمان ، والسقاة. والغزل بالغلمان كان موجودًا في فارس قبل تفشيه بين العرب، فالغلام غدا من متطلبات الحياة اللاهية ؛لكثرة الغلمان الأتراك في الشرق ،والرومان في الغرب[6].

---

(1) ممكورة: المرأة ذات الساق الغليظة الحسناء . (2) الالتياح: العطش.

(3) إدريس البياري: من أهل نيسابور، كان أديبًا وشاعرًا ومدرسًا بمدرسة السلطان ، ينظر : الخريدة – خراسان وهراة 86/2.

(4) الخريدة – فارس85/3. (5) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 101/2.

(6) حول الأدب في العصر السلجوقي ص 215.

ولعل الشعراء كانوا ينظمونه تندرًا ودعابة ،أو تقليدًا لأسلافهم ،وهو تقليد بغيض كما يرى الدكتور شوقي ضيف بقوله:(ومن الحق أن كثيرًا من الشعراء نَحُو هذا النوع المقيت من غزلهم، مؤثرين أن يطبعوا أشعارهم بطوابع الغزل العفيف الطاهر ،الذي لا يعرف المتاع المادي للحب ولا اجتناء ثمراته من العناق وغير العناق ،إنما يعرف نيرانه المُحرقة ،كما يعرف الحب الظامئ الذي لا يَروَى صاحبه أبدًا ،فدائمًا فراق وحنين واشتياق)[1].

وفي قول الأرجاني ما يؤكد استعانة أهل العصر بالغلمان[2]:

وهل يستعينُ المرءُ يومَ حفيظةٍ

من الدهرِ إلا بابن جنسٍ مُشاكِلِ؟

يجاور منه الثغر خطّ عذارهِ

كما لاح حول الشهد تدخينُ عاسِلِ

ولعل من أشهر ما وُصِف الغلام في شعرهم: لين خصره ،وتورد وجنيته، وفتور عينيه ،وخَمرة ريقه ،والأصداغ كالعقارب ،والنواظر كالخناجر، والأسنان كالبَرَد[3] ، كقول جمال الدين الفرخاني[4]:

كيف السُّلُوُّ ولي في داركم رشأٌ

معشق الدَّلِّ ،أفدي ذلك الرشأ[5]

يسقي الصِّبا وجهُه ريًّا وبي ظمأٌ

إلى ثنـاياه بَرْحٌ يا لَـه ظمأ

سبى العقولِ ولا حرب بمُقْلَتِه

فالطرف أصبح سكرانًا وما نشأ

---

(1) تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) 605/5.

(2) ديوان الأرجاني1079/3 .

(3) حول الأدب في العصر السلجوقي ص216.

(4) الخريدة فارس 78/3.

(5) الدَّلّ : السكينة والوقار،،وحسن المنظر.

وقام كالغُصن يستدني الخُطى مَرَحًا

فقالتِ الأرضُ يا طوباي إذ وطأ[1]

فكثرت عندهم استعمال الألفاظ: الأجفان والمسك والعارض والعذار والسحر والغزل والريق ، والخال ، والهَيَف ، وأسود العذار ، كقول علي بن مسعود الفرخاني[2]:

جارى السحاب فلم يشأ السّحاب

ولا فوق العذار دكر شاء الهمام شأ

وقول أبي طاهر الخاتوني في أمرد اسمه سلمان من ساوة[3]:

لقد لا مني في حُبِّ سلمانَ عُصبةٌ

وما ذاك إلا عن تناهي الغباوة

فكم فوق أبصار الذين يرونه

ولم يستبينوا حُسنه من غشاوة

ألِلْماءِ ما في جسمه من لطافةٍ؟

ألِلورِدِ ما في خَدِّه من طراوة؟

وهَجرُ الحبيب أشد علائم نزق العشاق ،فهم يريدونه ،ويرغبون في لقائه ،فإذا

هجر ضاقت نفوسهم ،وأتوا بصورة جميلة ،تعبّر عن انغماس ذاتهم في هذا الحب، ولقد أتى أبو المعالي القومسي[4] بصورةٍ واقعية لحديث الهجران وعلائمه قائلاً[5]:

كتبتُ إليك وبي لوعةٌ

تهدُّ فؤادي وتوهي الحشا

ولو أن قلبًا مشى شهوةً

مشى نحوك القلبُ فيمن مشى

---

(1) الخريدة – فارس 78/3. (2) نفسه79/3.

(3) نفسه85/3.

(4) أبو المعالي القومسي: رشيد بن المظفر بن محمد ،من أكابر الفقهاء والفضلاء ، ينظر : الخريدة 92/3. وحول الأدب في العصر السلجوقي ص219 .

(5) الخريدة – فارس 97/3.

لما بتُّ بعدَكَ ذا لوعةٍ

ولكنّ دلوي قصير الرّشا

وكانت للغلام التركي جاذبيةٌ ،وكان الشعراء يتغزلون به ،من ذلك ما قاله أبو المعاني القومسي[1]:

لنا ظبيٌّ من التُّرك

مليحُ الأخذِ والتَّركِ

مُضيفُ القدِّ ميّاسٌ

يُباري الغُصنَ أو يحكي

ولم يكن الغلام التركي وحده الذي أخذ بلبهم ،بل إن الغلام الرومي كانت له جاذبية أيضاً ،وكانوا يُقبِلون على التغزل به ،كقول أبي المعالي القومسي[2]:

غلامٌ كلُّه ظَرفٌ إلي

ـهِ الحُسْنُ منسوبُ

رشيقُ القدِّ ممشوقٌ

عن العشاق مَحجوبُ

فعقلي فيه مسلوبٌ

وصبري عنه مغلوبُ

إذا ما عزّ مشروبٌ

فلي مِن فيه مشروبُ

فهذه صورة جامعة إلى حدٍ ما للغزل بأنواع الغلمان ،ومن استعراضها نتبين أنهم وصفوا محبوبهم الذي لَقُوة ،وعاشروه ،وكثرة الأبيات في غزل الغلمان دليل على شيوعية الغلمان وعلانية التغزل بهم[3].

ومما ينبغي أن نشير إليه أن الغزل بصورة عامة كان غزلاً معنوياً ،أكثر منه

---

(1) نفسه 96/3.

(2) الخريدة – فارس 96/3.

(3) ينظر : حول الأدب في العصر السلجوقي ص221.

حسياً .والغزل الحسي إن وُجد عندهم إلا أنه قليل ،بالقياس إلى الغزل المعنوي، وربما ترجع هذه الظاهرة إلى سيطرة الاتجاه العقلي والديني الذي كان يغلب على الأدباء في ذلك العصر[1] .ومن أمثلة الغزل الحسي قول أبي نصر عبد الرحيم القسيري[2]:

تقبيلُ خدِّك أشتهي

أملٌ إليه أنتهي

إن نلتُ ذاك لم أُبَلْ

بالروح مني أن تهي

دنياي لذة ساعةٍ

وعلى الحقيقة أنت هي

وقول والده الأستاذ أبو القاسم الأمام القشيري[3] :

وإذا سُقيتُ من المحبة مصّةً

ألقيتُ من فرط الخُمار خماري

كم تُبتُ قصدًا ثم لا ح عذاره

فخلعتُ من ذاك العِذار عِذاري

إن عاطفة الغزل الحسي تكاد تكون معدومة ؛لأن نظراتهم امتازت بـ(قبلة ، ومصة..وغير ذلك) ،فهذا دليل النظرة المادية الصريحة[4] ، ومثال ذلك قول البارع الزوزني[5]:

---

(1)ينظر: الأدب العربي في إقليم خوارزم ص 117-118. (2)الخريدة – خراسان وهراة 66/2. (3) نفسه 70/2-71. (4) ينظر : حول الأدب في العصر السلجوقي ص 211.
(5) الزوزني: هو أبو القاسم أسعد علي بن أحمد البارع الزوزني الأديب ،كان شاعر عصره وواحد دهره بخراسان ،له القصائد الحسنة والمعاني الغريبة ،وقد شاع ذكره ،وساد شعره. وكان على كبر سنة يكتب الحديث ،ويسمع ،ويحضر المجالس إلى آخر عمره(ت492هـ). ينظر : الخريدة – خراسان وهراة 87/2. ودمية القصر 1403/2.ومعجم الأدباء90/6-96.

قد أقبلتْ سُعدى مقبلةً يدي

فكففتُ كفي منبئاً بآبائي

ماراحتي في أن تُقبِّل راحتي

لو قبّلتَ شفّتي لكان شِفائي

وقول أحمشاذ بن عبد السلام[1]:

أفي قبلةٍ خالستها منك عامدًا

تعاتبني سرًا وتهجرني جهرا ؟

فدعني أرددْها كما قد أخذتُها

وإلا فخُذ منِّي بواحدةٍ عشرا

الـرثـاء:

فنٌّ أدبيٌّ وجداني يعبر عن حزن الإنسان، وألمه وأسفه على فقيده ،ووصف رزئه وفجيعته.

وما قاله الشعراء في الرثاء من معانٍ لا تكاد تخرج عن معاني الرثاء المعروفة، من تعداد مآثر الفقيد ومحاسنه ،وما أحدثته وفاته من الحزن والأسى في أهله ومحبيه ،فالموت نهاية حتمية لا مردَّ لها،ولا يُفيد البكاء في رد المُرثَّى،ولو كان يُفتدى بالأرواح والأموال. والرثاء يذكر بالموت ،وحديث الموت يتبعه الموعظة والإرشاد، وكثيرًا ما اتبع الشعراء هذا المنهج ، فوعظوا بالرثاء، ورثوا مع الموعظة،فهذا الأرّجاني يَعِظ بالصبر على حكم الزمان ،وإن كان شديدًا ،فيقول[3]:

صابر زمانَك تَعْبُرْ عنك شِدّتُه

وانهل الرِّيق يخلص منه صافيه

---

(1)الخريدة – خراسان 135/2.

(2) وردت الأبيات في الديوان 1508/3–1515.وينظر : الخريدة – فارس356/3.

فالليل إن أنت لم تعجل وإن مطلتْ

ظلماؤُه ،فله صُبحٌ يُجَلِّيه

فانهض إلى الأمل المطلوب معتزمًا

نهوضَ مثلِكَ يَقْرُبْ منك قاصيه

إنّ أشعار الرثاء التي وصلت إلينا تكاد تكون معدودة محدودة ،فلم يعرف شعراء القرن السادس من الرثاء سوى ضربَين[1]:

الضرب الأول:

رثاء الأهل والأقارب: وأول ما يستوقف الباحث في الرثاء قصة الطغرائي، أو بمعنى أدق بكاء الطغرائي على زوجته التي فقدها ،وهي في أوج شابها وربيع عمرها، فحزن أشد الحزن، وأفصح عن حزنه هذا بأبيات نادرة في تاريخ الشعر العربي[2] ،ولا سميا في رائيته التي يقول فيها[3]:

أقول وقد غال الردى مَن أُحبُّه

ومن ذا الذي بعدي على نُوَبِ الدهرِ

أعينيّ جودا بالدماء وأسعِدا
فقد جلّ قَدْرُ الرزءِ عن عبرةٍ تجري
أذم جُفوني أن تظنّ بذخرها
وأمقُتُ قلبي وهو يهدأ في صدري
بنفسي من غاليتُ فيه بمُهجتي
وجاهي وما حازت يداي من الوفرِ (4)

---

(1) ينظر : الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب ص23.
(2) مقالات (شعر العصر السلجوقي) د.علي جواد الطاهر ص181. والشعر العربي في العراق وبلاد العجم 108/2.
(3) القصيدة في ديوانه ص151–155. الخريدة أصفهان 132/1.
(4) المُهجة: الدّمُ. وقيل: دم القلب. وخرجت مهجته :أي: روحه.
الوفر: بوزن النصر : المال الكثير.

وغايظتُ فيها أهل بيتي فكلُّهم
بعيد الرضا يطوي الضلوع على غمرِ
وفزتُ بها من بين يأسٍ وخيبة
كما استخرج الغواصُ لؤلؤةَ البحرِ
ألا ليتنا لم نصطحبْ عمرَ ليلةٍ
ولم نجتمع من قبل هذا على قدرِ
بنا أنتِ من مهجورة لم أُرِدْ لها
فراقًا ولم تطوَ الضلوع على هجرِ
فنافسني المقدارُ فيها فلم يدع
سوى مُقلةٍ مطروقة ويدٍ صفرِ
فيا نوم لا تعمر وسادي ولا تطرْ
بمقلة مرهوم الإزارين بالقطرِ
وما لكما يا مُقلَتَيّ وللكرى

ونور كما قد غابَ في ظُلمةِ القبرِ

فما عثرةُ الساقي بكأسٍ رويّةٍ

بأغزر فيضًا من دمائكما الغُزْرِ

فالأبيات تطفح بالحزن والأسى، وتعبر عن صدق المعاناة تجاه هذه الزوجة، فبكى الشاعر عليها بدموع غزار ،وقد وصل به الأمر إلى أن يستنجد بالموت كي يُلحِقَه بزوجته ؛ لأنّ بقاءه بعد وفاتها غايةٌ في الغدر،فيقول :

ويا موت ألحقني بها غير غادرٍ

فإنّ بقائي بعدها غايةُ الغدرِ

ويا صبر زُلْ عنِّي ذميمًا وخَلِّني

ولوعة وجدي والدموع التي تمري

ولا تعِدني الأجرَ عنها فإنّها

ألذّ وأحلى في فؤادي من الأجرِ

أ يُبدلُ لي حورُ الجنان نسيئةً

وتُؤخذُ نقدًا من ورائي ومن خِدري

والحقُّ إنّها مرثيةٌ رائعة ،ونحن بذلك نؤيد قول الدكتور علي جواد الطاهر حين قال: (رثاء لا تكاد تجد له مشابهًا ،ستقول :جرير مشهور ،ولكنه استهل قصيدته بـ(لولا الحياء لهاجني استعبار) ،ثم اكتفى بأبيات معدودات ،انتقل بعدها إلى هجاء الفرزدق،وأخته بأكثر من مئة بيت،حشّاها بأقذع الكلمات وأخسّ الأفعال)[1].

وكذلك قول الدكتور شوقي ضيف: (مراثيه فيها تفيض بالحزن المرير، وهي مرثية بديعة)[2]. والحق إن رثاء الزوجات والأبناء والأخوان كما يرى الدكتور ناظم رشيد(يفيض حزنًا ،ويطفح ألمًا وحسرةً ؛لأنّه يُعبِّرُ عن قلوب مكدومة ، ونفوس مهدومة)[3]. فهذا مثلاً علي بن أبي الفوارس الرازي يرثي زوجته قائلاً[4]:

وكانت حياةً لي فلما تُوُفِّيَتْ

تمنيتُ ألفي الموتَ قبل مماتِها

عجبتُ لعمري من بقائي بعدها

وكيف بقاءُ النفسِ بعد حياتِها

أذوبُ اشتياقًا كلما لاح بارقٌ

وأمزجُ ملح العين أسر فراقِها

أما رثاء الأطفال فيكون بوصف الفراغ والوحشة اللَّذَين تركهما غيابُ الصغير في البيت، وفي قلب أمه وأبيه وأهله،(ومن اشد الرثاء صعوبة على الشاعر ان يرثي طفلا او امرأة لضيق الكلام ولقلة الصفات)[5] فقد استطاع امرؤ القيس

(1) مقالات (شعر العصر السلجوقي) علي جواد الطاهر ص182.

(2) تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) 583/5.

(3) الأدب العربي في العصر الوسيط ص53.

(4) الخريدة فارس111/3. (5) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 154/2. وينظر :الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص148.

الرويدشتي أن يرثي طفلاً له قائلاً[1] :

كيف السُّلُوُّ وبانتْ فلذةُ الكَبدِ

ماذا لقيتُ غداةَ البين من كَمدِ

يعني الشباب وظنّ الشيبُ أنّهم

من بعد ما هلكوا يبقَوا إلى الأبدِ

والمرءُ يأتي وإن طال الزمان به

من المنايا على كرهٍ إلى وصدِ

كُنْ مستعِدًا لحال أنت لابسُها

إنّ الحوادثَ لا تُبقِي على أحدِ

يا قُرّةَ العين مذ لم يلقَ ناظرها

منك البشاشة صارت مألف السهد

والضعف أهونُ شيءٍ قد بُليتُ به

إذا طلبتك عن وجدٍ ولم أجدِ

وهذا الأوحد أبو العشائر الكافي ظفر الهمذاني ،يصور معاناته وآلامه ؛ لفقد أولاده قائلاً[2]:

أ نسيمُ إن ناجيتَ أحبَّتِي
وحملت نقعَ ترابها للطيبِ
صفْ للأحبةِ في الهوى حال امرءٍ
قلق الحشا للنائباتِ نسيبُ
فاني الشباب من الرجاء مُبعد
فالى الحياة من الممات قريب
غصنٌ يُحلِّي النّور في أصل الثرى
والفرق فوق الأرض للتعذيبِ

---

(1) الخريدة – أصفهان 183/1.
(2) الخريدة – فارس 139/3–140.

وقول (أحمد بن القائد[1]) يرثي ولده محمدًا[2]:

محمدٌ خانك صرفُ الزمانِ
وغالَ عُلاكَ برغمِ المعالي
لقد كُنتَ في الفضل عِينُ الكمال
فكيف أصابتك عين الكمال

الضرب الثاني:

رثاء الأباعد : من المراثي ما كان في الأساتذة والفقهاء ،ومن إليهم ممن تربط الشاعر بهم رابطة التلمذة و الاستفادة العلمية ،مما يدعو إلى الاحترام والعاطفة الدينية ، وقد جاءت هذه المراثي على مقطعات ،وأكثر ما تتضمن المقطوعة آلامَ الشاعر، وفضل الفقيد[3] ،ومن ذلك رثاء الأبيوردي للغزالي[4] :

بكى على حجة الإسلام حين ثوى
من كلِّ حيٍّ عظيمُ الحيِّ أشرَفُهُ

لمن يمتري في الله عَبرَته

على أبي حامدٍ لاحٍ يُعَنِّفُهُ

مضى وأعظمُ مفقودٍ فُجِعتُ به

مَن لا نظيرَ له في الناس يَخْلفُهُ

وكان للملوك والأمراء حظٌّ من مراثي الشعراء ،من ذلك رثاء منصور بن محمد العاصمي لأمين الملك أبي نصر بن أبي حفص المنشئ ،وزين المُلك قائلاً(5):

(1) أحمد بن القائد :كان من الأفاضل ذوي الفضائل والفواضل ،كان من أصدقاء (العزيز) عم العماد ،وأنّه عاش سبعين سنة ،(ت550هـ) ،ينظر : الخريدة 119/3.

(2) نفسه 120/3.

(3) ينظر : الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 108/2.

(4) الديوان 140/2، أبو حامد الغزالي (ت505هـ)،ينظر:الخريدة – خراسان وهراة62/2.

(5) الخريدة – خراسان وهراة 50/2.

أُصيبت بركنيها العراقُ فأَزعِجَتْ

خُراسان من تلك الفجيعة والأذى

فموتُ أمين الملك في صدرها شجًى

ومصرعُ زينِ المُلكِ في عينها قذى

ليُسعد خُراسانَ العراقُ على الأسى

فلن يَرَيا مثلاً لهذا ولا لِذا

وحينما تُوفي مؤيدُ المُلك بن نظام المُلْك قال فيه الكثير من الشعراء ،ومنهم الطغرائي(1):

أقول لمرهوم الإزار بديمةٍ

من الدمع يحدوها الحنينُ المُرَجَّعُ

إذا ما تمطّتْ زفرةٌ بضلوعه

تصرّعَ قلبٌ أو تَحكّم أضلُعُ

لعل انصداع القلب يُعْقِبُ سلوةً

من الوجدِ إذ لم يبقَ للوجدِ موضعُ

ليُهنك أن أعديتني الشوق بعدما

تماثَلَ من داءِ الصّبابةِ مُوجَعُ

وقد كُنتَ مأهول الجوانحِ بالأسى

فعُدتُ ولي صدرٌ من الصّبرِ بَلقَعُ

فللوجد في أكناف صدري مرتعٌ

وللصبر في أكناف وجدي مَصرعُ

والمرثية بديعة وهي كما يقول العماد الأصفهاني: (نوع من الصنعة الغربية، والبدعة العجيبة جعل الوجد في كنف الصبر مرتعًا ،ثم عكس فجعل الصبر في كنف الوجد مصرعًا)[2].

---

(1) الديوان ص218–224 الخريدة أصفهان 1/83–84.

(2) الخريدة أصفهان 1/83.

وللطغرائي مرثية أخرى فيه منها[1]:

ما بعد يومك للحزين الموجعِ

غيرُ العويل وأنّة المتفجِّعِ

يوم أصيب الدين فيه وعُطِّلَتْ

أحكامُه وكأنّه لم يُشْرَعِ

واشتطّ أحكام الردى وتطاولتْ

أيدي المنون إلى السّنامِ الأرفعِ

ومضى الذي كنّا نَروعُ بذكره

نُوَبَ الزمان فما له مِن مَرجعِ

من ذا رأى البدر المنير وقد هوى

وفي الترب والطود الرفيع وقد نُعِي

من ذا رأى الأسدَ المُدلَّ ببأسِه

شلوًا طريحًا بالمفاز البلقع[2]

من ذا رأى الملكَ المُحَجَّبَ بارزًا

مُلقًى بمنزلة الذليل الأضرعِ

ومن المراثي ما كان في الصدور ،ومن ذلك قول الأديب سعيد الصالحاني[3] يرثي الأمام المطهر المعداني:

أشكو إلى الله أحوالاً أمارسها

والكلُّ أقضيةٌ منه وأقدارُ

وأستريح من الشكوى إلى حُرَقٍ

منها تسعر في أحشائي النارُ

---

(1)الديوان ص236.وينظر : الخريدة – أصفهان127/1.

(2) شلوا: العضو من اللحم. البلقع والبلقعة: الأرض القفر، التي لا شيء بها.

(3) سعيد الصالحاني : من أصفهان، من محلة صالحان كان من الأدباء الفضلاء ،ينظر : الخريدة 150/1–51.وينظر : معجم الأدباء 289/2.

وهذا الأديب النجيب أبو سعد محمد بن إبراهيم الخليل يرثي صديقه الأمام معين الدين قائلاً[1]:

بموت معين الدين مات فؤادي

وأزعجني همي وطاب سهادي

وكان مرادي أن يطول بقاءه

فكان مراد الله غير مرادي

الفخر:

إن الشعراء العرب نشؤوا والفخر في دمائهم،فمنذ أقدم العصور ،وعلى مرها كان الفخر من الأغراض الأولى التي نظموا فيها قصائدهم،وأكثروا في النظم،وقد كان لديهم ما يستحق أن يفخروا به،فهم شجعان ، كرام ، والشجاعة والكرم هما المفخرتان الأوليان عندهم ، وهناك بعد ذلك ما تفخر به بعض القبائل على بعض ،

من سيادة وجاهٍ،وفصاحة،وكثرة ،وطيب نسب[2]،..فالفخر تعبير عن تنازع الوجود ، وتحقيق الذات ،وهو أيضاً تعبير عن واقع الإنسان منتصرًا ،أو معتزًا ،أو متصفاً بأشياء قد لا يتصف بها غيره، وقد كانت طبيعة الفخر مناسبةً للعصر الجاهلي ،بما فيه من حبٍّ للمجد والفروسية، ومن سعيٍ لبلوغ أرفع المراتب في الكرم،والنجدة، والغوث بين بني قبيلته، ولم يتوقف الفخر في عصر الراشدين بل غدا الإيمان بالدين الجديد (الإسلام)، والسبق إلى نصرته من أهم دعائمه[3].

ويزداد الفخر التهابًا في العصر الأموي ويتمثل في شعر العصبيات(الممتدة جذوره من الجاهلية) ،والنقائض ،وأشعار الأحزاب[4].

---

(1)الخريدة – أصفهان 151/1. (2) ينظر حول الأدب في العصر السلجوقي ص144.

(3) الشعر الجاهلي ص226–227.وينظر : فن الفخر وتطوره (المقدمة) إيليا حاوي.

(4) فن النقائض: أن ينظم شاعرٌ قصيدة في هجاء آخر ،فيرد عليه ملتزماً البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول ،ويعني هذا (وحدة الموضوع)ينظر – على سبيل المثال لا الحصر – : نقائض جرير والفرزدق.وديوان الفرزدق ص473و 626 و662. وتاريخ النقائض في الشعر العربي ص3. وأما شعراء الأحزاب هم: عمران بن حطان،شاعر الخوارج والأخطل شاعر الحزب الأموي،وعبيد الله بن قيس الرقيات شاعر الحزب الزبيري،والكميت شاعر الحزب العلوي.

ويبلغ الفخر أوجه في شعر أبي تمام والمتنبي ،وأبي فراس في العصر العباسي. ويقل الفخر بعدئذ كلما سرنا قدمًا في تطور المجتمع الإسلامي الحضاري؛ لبعد الشعراء عن الأرض العربية،والروح العربية الأصيلة،وسيطرة غير العرب على مقاليد الحكم ،وأسباب أخرى كثيرة[1].

وأبيات الفخر في هذا العصر على أية حال قليلة ،أو ما وصل إلينا منها قليل ، ولكنه جيد في جملته،ويرد حينا في قصيدة مستقلة، وحينا في مقطوعة ،وحينا ثالثًا مبثوثًا، أو مندسًّا بين أغراض أخرى كالمديح مثلاً.

وأكثر موضوعات الفخر ورودًا هو (الفخر بالشاعرية) ، فالشعراء كثيرًا ما يسوقون فخرهم بأشعارهم وجودتها وبلاغتها،مثل قول الأبيوردي [2]:

ويلفظ سمعي منطقاً لم تفه به

على أنه كالسحر لا بل هو السحر

وقوله أيضاً[3]:

ومما أذاع السَّرَّ ورقاء كلّما

أملتُ إليها السّمع نمّت بأسراري

أذا هي ناحت جاوبتها حمائم

كما حنّ ولها في روائم[4] أظار[5]

كأن رواتي علّموهُنَّ منطقي

فهُنّ إذا غرّدن أنشدن أشعاري

---

(1) ينظر حول الأدب في العصر السلجوقي ص144–145. والشعر في العراق وبلاد العجم114/2.وتاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) 596/5.

(2) الديوان 151/1– 169 ،الخريدة خراسان 273/2.

(3) الديوان 258/1– 264، الخريدة خراسان 276/2.

(4) روائم: جمع رائمة، وهي التي ترأم على ولدها أي تتعطف.

(5) أظار: جمع ظئر ،هي الناقة التي يموت ولدها فترضع ولد غيرها.

وقوافي الأبيوردي غضة غراء ،تزين أجياد العواطل ،شرود يصغي لها الحسود ملآن من طرب ،تسكر السامع ،لم تُسبق ، ولا تلحق ، خالدة[1].

أما قصائد الطغرائي التي يفخر فيها فهي مدبجة ،تَذِلّ لها الرياض ، وهو القائل فيها [2]:

إليك عماد الدين غرّاء طلقةً

تنافسُ فيها أعينٌ وعقولُ

إذا أُنشدَت حلّ الحبا طرباً لها

وأصغى إليها عالِمٌ وجَهولُ

وقوله[3]:

فدونكها غرّاء تُعجِبُ مُعرِقاً

وتفتنُ نجديًّا وتُونق مُشئما

وهذا الأرّجاني يقول إنه مطبوع، وإنّ قوافيه سائرات يرويها الدهر[4]:

ولا أُنْسَ إلا بالذي إن نظمتُه
تهاداهُ دانٍ في البلاد وناءِ
جلا الفكر مني كلّ بكرٍ أقولُه
وليس لنقب الشعر مثل هنائي
وإني لأُعطي الشعر أوفَى حقوقه
وإن لم يقفْ بي موقف الشعراءِ
ومِنِّي اقتباس المُحدَثِين معانيًا
ولم أقتَبِس معنًى من القدماءِ

---

(1) ينظر: الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 114/2.**ومقالات د.علي جواد الطاهر ص178.**

(2) الديوان ص286.والشعر العربي في العراق وبلاد العجم 115/2.ومقالات د. علي جواد الطاهر ص178. (3) الديوان ص329.

(4) ديوان الأرجاني 49/1.وينظر :الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 115/2.ومقالات د.علي جواد الطاهر ص177.

وأبياته فيها نوع من الغلو والمبالغة كما يرى الدكتور علي جواد الطاهر، إلا أنه قد يقترب من الحقيقة في قوله[1]:

أنا أشعر الفقهاء غير مدافعٍ
في العصر أو أنا أفقه الشعراءِ
شِعري إذا ما قُلتُ دوَّنَهُ الوَرَى
بالطبعِ ، لا بتكَلُّفِ الإلقاءِ
كالصوت في قلل الجبال إذا علا
للسمعِ هاج تجاوب الأصداءِ

وقوة الشاعريةِ سمةٌ بارزة في الشعراء المجيدين ،(إنما سمي الشاعر شاعرًا لأنّه يشعر بما لا يشعر به غيره)[2].وأنّه يستطيع التعبير بالألفاظ عن ذلك الشعور،بما لا يستطيعه غيره.فإذا توسم أحد الفقهاء أو العلماء أو ممن سواهم في نفسه الشاعرية

نراه يسرع ليفتخر بشاعريته ،ويعلن للملأ أنه شاعر ، فهذا فخر الدين المعالي وهو كما يقول العماد الأصفهاني[3]: (إمام خراسان ،بل سيد علماء الزمان بحر من العلم لا ينزف،وحَبْرٌ له على أهل العصر بفضله الشرف: خصّه الله بالعلم الذي هو رأس المروءة ، وارث النبوة ،فآتاه الله من خزائن الكرم جوامع الكَلِم، وأضفى عليه؛إذ وفَّقّهُ للإفادة مدارع النّعم ،عالمٌ هو على التحقيق عالم ،وكريمٌ تجمعت فيه المكارم، رُزِق من العلم أغزَرَه)[4]،فها هو ذا يفخر بشاعريته ،وقدرته الفذة على النظم قائل:

وأنا الذي تزهو الصنيعة بي
ويصوغُ عُرْف العُرْف من قبلي

---

(1)الديوان43/1-44.وينظر : الخريدة – فارس 144/3.ووفيات الأعيان 152/1.وطبقات الأسنوي 110/1.والوافي بالوفيات 374/7.والغيث المسجم110/1.وشذرات الذهب 137/4والشعر العربي في العراق وبلاد العجم 116/2.ومقالت د.علي جواد الطاهر ص177.

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده116/1.

(3) الخريدة – أصفهان 189/1. (4) نفسه 192/1.

وأمنح لها عذراء قد لبست
عليانَ منها أبهج الحُلَلِ
نظمًا أعار السِّحر رِقَّتَه
ونضا حلاوتَه على العَسَلِ
لنسيبِها من مدحِها حَسَدٌ
ولمدحِها حسدٌ من الغزلِ
سهُلَت ولكن من سهولتِها
أعيَتْ فحولَ السهلِ والجبلِ[1]

وقد أشاد العماد بن الشرف بشاعريته أثناء مدحه جمال الدين محمود بن عبد اللّطيف الخجندي قائلاً[2]:

فهاكَ قصيدةً دقّتْ ورقّتْ
وحاكتْ خَدِيَ الخود الرِّادحِ

مصوغُ قريحةٍ كالنّارِ تُملي

عليَّ النظمَ كالماءِ القراحِ

بلفظٍ رقّ مثل شمالِ ريحٍ

ومعنًى راقَ مثل شمولِ راحِ

وهذا أبو الفتح النطنزي يفخر بأنّه كثيرُ الحُسّاد ؛لأنّه كما يرى قد فاق أبناء الزمان فصاحةً بقوله(3) :

إذا قلت شعرًا أو كتبتُ رسالةً

تصاخبَ حُسّادي كما اصطخب البطُّ (4)

أُضاحكُ من لاقيتُ منهم حقارةً

وإن كان تحت البرثن المخلبُ السَّلطُ(5)

(1) العي: ضد البيان، أي صعب ،لا يُهتدى إليه. (2) الخريدة – أصفهان 259/1.

(3) الخريدة – أصفهان192/1. (4) الصخب: الصياح الشديد.

(5) البرثن: البراثن من السباع والطير كالأصابع من الإنسان. المخلب: ظُفْر البُرْثُن.

سينظمني والعِزُّ قدْحة قاذعٍ

فلولا ثقوب الشري ما انتظم اللَّطُّ

وقد فقت أبناء الزمان فصاحة

ولم يَخْطُ في أكناف عارضيَ الوخطُ

فالشاعرية ميدان المدح والهجاء والفخر ،ولنا في أبي تمام والمتنبي . وغيرهما من شعراء العصر العباسي . مثالان على الاعتزاز بما يقول المفتخرون بشاعريتهم ، إلا أن الأمر تجاوز الفخر الموضوعي الذي فيه شيء من القبول في القرن السادس للهجرة ،إذ لم يتوقفوا عند الافتخار بشعرهم ،بل غالوا في ذلك ، وهم كما يرى الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور محمد التونجي دون أبي تمام بمراتب ، ولا يقاسون بالمتنبي أصلاً(1).

ولعل الذي حدا بهم إلى هذا أنهم لم يستطيعوا المباهاة بعروبيتهم؛لضياع مفهومها في ظل حكم عربي بالاسم ،أعجمي بالفعل؛لأنَّ المسيطرين على إدارة الدولة هم

الفرس ،أو الأتراك وغيرهم ، فعكف الشعراء على الأشعار يُضفون عليها ألوانًا من الافتخار ،وهم في كل معانيهم مقلدون غير مجددين..،ونراهم يفخرون بعلومهم ولهم الحق في ذلك ؛لأنّهم على حظ كبير منها،وفيهم من بلغ درجات في التخصص، ولكن الشاعر لا يستطيع أن يعتدل،وأن يعرض الأشياء كما هي،وإن كان الطغرائي قال ما لم يقله أحدٌ في عصره(2):

أما العلوم فقد ظفرتُ ببغيتي

منها فما أحتاج أن أتعلما

وعرفتُ أسرار البلاغة كلَّها

علمًا أنار لي البهيمَ المُظلِما

ولنتذكر أنه كان (إماماً في الكيمياء) مما جعله يقول:

---

(1) ينظر:الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 116/2.وحول الأدب في العصر السلجوقي ص148. (2) ديوانه ص366-367. وينظر:الخريدة - أصفهان124/1-125. والشعر العربي في العراق وبلاد العجم 116/2-117.

وورثتُ (هرمس) سرّ حكمته الذي

مازال ظنًّا في الغُيوب مُرَجَّما

وملكتُ مفتاح الكنوز بحكمةٍ

كشفت لي السرَّ الخفيَّ المُبهَما

لولا التّقِيَّةُ كُنتُ أُظْهِرُ مُعجزا

من حِكمَتِي يشفي القلوبَ من العَمى

أهوى التكرّمَ والتّظاهُرَ بالذي

عُلِّمتُه والعقلُ ينهَى عنهما

وقول الأوحد (أحمد بن برعش الهلالي الجرباذقاني) ،وكان كما وصفه العماد الأصفهاني: (أديبًا فاضلاً ،بلغ درجة الأولياء) ،وشعره متين ،يُفصح فيه عن رفعته ،وفضله على أصحابه في مثل قوله(1):

وكم صاحبٍ نالته مني رِفعَةٌ

وحظّي الذي أدركتُ منه خمولُ

ومَن شمَّ ورداً يستفد منه نظرةً

ولكنّ حظَّ الوردِ مِنهُ ذُبولُ

والفخر لازمه من لوازم الصراع والغلبة، وقد عرف شعراء العجم ذلك، ومع ذلك نجدهم في فخرهم يسلكون مسلك القدماء في تفاخرهم بالإنسابِ والقبائل ،وإنما هم يفخرون بالكرم والعلم ،والقدرة على الجدل ،وإفحام الغير. وربما كان مرجع هذا إلى نشاط الحياة العقلية، ومجالسها، وما يدور فيها من مناظرات ومناقشات[2] ، وهذا لا يعني أنهم لم يفخروا بأنسابهم ،فالأبيوردي كما تقدم كان يفخر بأمويَّتِهِ، وجده معاوية، قائلاً[3]:

ونحن معاويون يرضى بنا الورى

ملوكاًَ وفينا من لؤيٍّ لواؤها

---

(1) الخريدة – أصفهان 327/1.

(2)ينظر الأدب العربي في إقليم خوارزم ص 109. (3) الديوان 586/1.

ولبديع التُّرك قصيدة يفتخر فيها بأصله التركي منها[1]:

أنا التركي والأتراك قوم

يرون الموت ماذِيًّاً مُشارا

تخالهم إذا غضِبُوا ليوثًا

وتحسبهم إذا جادوا بحارا

في حين نرى حميد الدين البلخي يفخر بآبائه وذويه ،فعلى الرغم من كرمهم وطيبتهم ،وما اشتهروا به من شجاعته ،وغير ذلك ،إلا أنّ قومه هم الذين يفخرون به ؛ لانتمائه إليهم بقوله[2]:

وآبائي وإن كرُمُوا وطابوا

وفي الدنيا أصابوا ما أصابوا

فلست بمنتمٍ فخراً إليهم

فإنِّي نصلُهُم وهُم قِرابُ

وهذا ما أبدعه المتنبي قبله بقوله[3]

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي

وبنفسي فخرت لا بجدودي

وأنى له أن يبلغه البلخي ؟. ويفخر الشعراء بالشجاعة والشهرة ،ونيل المطالب ،فهذا أحمشاذ بن عبد السلام يقول[4]:

أيجهلُني هذا الزمانُ مُغفّلاً

ألم يدرِ أنّي اليوم أصبحتُ فخرَه؟

ألم أطأِ السبعَ الشداد بهمَّتِي

ولمّا أنلْ من بعض ما رُمت عُشرَهُ؟

سأسعى بعون الله ثم بحمده

إلى الأملِ الأقصى لأُدرك كُثرَهُ

---

(1) الخريدة – خراسان وهراة 161/2–162. (2) الديوان ص 17.

(3) الخريدة – خراسان وهراة 119/2. (4) الخريدة – خراسان وهراة 141/2.

وقد يفخر الشاعر بأنه قد صبر على الصعاب ،والشدائد بقوة عزمه وشكيمته ، فها هو ذا حمدان بن محمد بن فورجة حُبِس،وصبر على حادث الدهر،فلم يُثنِه الحبس ولم يضره ،وإنّما زاده قوة، فهو في تجربته (كالياقوت الذي لا يتأثر بالنار) على حد قوله[1]:

ما شانني حبسٌ ولا ضرَّني

ماجرَّ من حادثِ الاقتار

جَرَّبني الدهرُ بأحداثه

تجربة الياقوتِ بالنارِ

ولعلنا نلحظُ كثرة استخدام الـ(أنا) سلاح المفتخر الأول لدى كل أمة ،ولا يبوح به إلا المعتد بما عنده ،والمعتز بما يقول[2]،فهذا ابن مسهر[3]الشاعر يقول[4]

أنا زهرُ الرُّبى ونور الرياض

وعيونٌ ترنو بغير اغتماض

لن تراني إلا بشاطِي غديرٍ

باسمًا ، أو مُضْحكًاَ لِحياضِ

وقول أبي العباس الحويزي(5):

أنا في فؤاد الليل نارٌ والدُّجَى

أبدًا دُخاني والنُّجومُ شراري

وفي قصيدةٍ أخرى يفتخر بأنه الأمجد ،والمحسود من قبل الخلق ،سواء أكانوا أحباء أم أعداء ،فيقول:

---

(1) الخريدة أصفهان 326/1. (2) ينظر:حول الأدب في العصر السلجوقي ص146.

(3)ابن مَسْهر: هو الشاعر الموصلي أبو الحسن علي بن سعد بن أبي الحسن ،ولقبه مهذب الدين ، قال العماد (رأيته شيخًا أناف على التسعين لما كنت بالموصل سنة (542هـ). خريدة الشام 271/2 278.والخريدة – أصفهان 311/1. ووفيات الأعيان391/3-395.

(4) الحويزي: هو الأمام شهاب الدين وشرفه أبو العباس أحمد بن محمد العباس الحويزي كان رأي وروية وبصر وبصيرة غزير الفضل كبير القدر عالي الهمة تنظر ترجمته في: الخريدة فارس36/3 الوافي بالوفيات 120/8 المنتظم 161/10 معجم البلدان 327/2 . (5) الخريدة – فارس 45/3.

هو الخَلْقُ لم يظفر بغيري أمجدا

فلا غروَ أن أصبحتُ فيه المُحَسَّدا

تعزَّ فمحسودٌ على الفضل رّيه

وسِيّانِ في ذاك الأخلاّء والعِداء

أنا المرءُ يكسو شِعره كل شاعرٍ

ثناءً كما أثنى على البلد الصدى

ولا يختلف الأمر عند (أبي المعالي القومسي) من أكابر الفقهاء والفضلاء ،فنراه يطلق الـ (أنا) ليُحْذَرَ من سخطُه ،ويدل بذلك على شهرته بقوله(1):

أنا مُرٌّ لمن ذاقا فلا يَغرُرَنّ ما راقا

كأنّي الشمس إشراقاً كأني الصِّلُّ إطراقا

وقوله وهو يفخر بعلوِّ منزلته ومجده وخدمة الدهر له:

إني وإن كان ظهر الأرض مرتبعي

أوفَى على قمةِ الجوزاءِ مُصتلِيا

المجدُ يَلْهَجُ بي والدهر يخدمني

والدِّينُ يبهجُ والدنيا تتيهُ بِيَا

ولكنه لا يلبث أن يطمح بمزيدٍ من الرتب ،ويفخر بهذا الطموح ،ولا يعدُّه عيبًا، فيقول(2):

لم تبلغ النفسُ مني رتبةً شرُفَتْ

إلا غَدَت تتمنى فوقها رُتَبا

لئن غضبتُ على دهري فلا عجبٌ

حرٌّ كريمٌ على أيامه غضبا

لقد هيأت هذه المطامح البعيدة لأصحابها إجادةً، كان معها الفخر من خيرة أغراض العصر ؛لما حوى من أصالة وطرافة ... وأوهام ذات دلالات نفسية ومعانٍ اجتماعية مما لا يستغني عن تسجيله مؤرخ الأدب العربي(3).

(1) الخريدة – فارس94/3.   (2) نفسه 98/3.

(3) ينظر : الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 123/2.

الشكوى:

موضوع الشكوى من الموضوعات الشعرية التي تُفصح عن عاطفة الشاعر بوضوح ،وتتحسس أحواله وهي تعبير ذاتي عن آلامٍ حاقت بالشاعر من فعل امرئ أو عدو أو دهر(1) ،فيعرض الشاعر في الشكوى واقعه وآلامَ واقعه ،فينفجر غضبًا وسخطًا،ويتحرّقُ أسًى،ومرارة لما هو عليه من إهمال وهوان،مع ما لَهُ من مواهب ومعارف ،ومطامح ،فتقرب الشكوى أحيانًا من الفخر وتُؤلِّفُ مَظهرًا حزينًا من مظاهره ،يقربه من الرثاء إذ يندب الشاعر حظه ،ويذمُّ زمانه ،ويُفلسِفُ وجوده(2) . فقصائد الشكوى في أي عصر زاخرة بالتحرق ،والأسى، والصبر على الهوان، وذلك كلّه بتعبير صادق ،ولوعةٍ ظاهرة ،فالعاطفة تبرق من خلال أبيات الشاعر(3) كقول السعيد الصالحاني(4):

أشكو إلى الله أحوالاً أمارسُها

والكُلُّ أقضيَةٌ منه وأقدارُ

وأستريح من الشكوى إلى حُرقٍ

منها تسعرُ في أحشائيَ النارُ

وموضوع الشكوى قديم العهد منذ الجاهلية، واشتد أواره في الشعر العباسي، وعمّ بين الشعراء منذ أوائل عصر السلاجقة ؛لتعقد المجتمع والشاعر جزء من المجتمع ، فالمتناقضات تقلقهم ،والدهر يحاربهم ،والحظ يعاكسهم ،والمتحكمون ليسوا بذي تفهّم للعلوم والآداب ، حيث يسيطرون على مقاليد الأمور ، والشاعر الطموح هو الذي يشعر بهذا الجدار القائم بينه وبين ما يرنو إليه ،ومن هذا تنبع شكواهم من نفوسٍ متألمة ومتشائمة ،ولا سيما حرفة أدبهم التي تمور بين طيّات

---

(1) ينظر : حول الأدب في العصر السلجوقي ص158.

(2) ينظر : الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 124/2.

(3) ينظر حول الأدب في العصر السلجوقي ص158.

(4)الخريدة – أصفهان 151/1.

مرارة عيشهم[1] ،فهذا الطغرائي يقول[2]:

فلا صديقَ إليه مشتكى حزني

ولا أنيسٌ إليه منتهى جذلي

أريدُ بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها

على قضاء حقوقٍ للعُلا قبلي

والدهر عدو الشعراء اللدود،ولا سيما حين يصحون من كبريائهم ،ويرون المدى الواسع بين الخيال والحقيقة ، وبين ما هم عليه ، وما حلموا بأنهم سيكونون عليه ، فتسودُّ الدنيا في عيونهم ويُريقُون أساهم على الورق ، وفي طيات القصائد ، فإذا بالشكوى في كل مكان ،ولكلِّ سبب، وإذا هي غرض قائم بذاته ،فيشكون من الدهر

أو الزمان ،أو الليالي[3] وكأن الدهر هو السبب لما ينالهم من جَورٍ ،أو أذًى وألم، فيقول الطغرائي[4]:

والدهر يعكس آمالي ويُقنعني

من الغنيمةِ بعد الجدِّ بالقفل

وقوله وهو يندب حظَّه:

أهبت بالحظِّ لو ناديتُ مستمعًا

والحظُّ عني بالجُهّال في شُغل

لعلّه إن بدا فضلي ونقصُهم

لعينه نام عنهم ، أو تنبَّه لِيْ

وهذا الأبيوردي يشكو مُجافاة الدهر والأيام إيّاه ، فيقول[5]:

---

(1) ينظر : حول الأدب في العصر السلجوقي ص158.ومقالات د. علي جواد الطاهر ص179–180.

(2) الديوان ص301–309.وينظر : الخريدة – أصفهان65/1.ومعجم الأدباء60/10–86. والوفيات 185/2.

(3) ينظر:الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 124/2 مقالات د. علي جواد الطاهر ص179.

(4) الديوان: ص301–309.وينظر:لامية الطغرائي ،د. علي جواد الطاهر (ص15).

(5) الديوان 642/1–644 الخريدة خراسان352/2.

وكيف أُرَجِّي أم أصِح ،وكُلُّ ما

رماني به صَرْفُ الزمانِ سقيمُ

فلا تعذليني يا بنة القومِ إنني

وإن همّ دهري بالسَّفاهِ حَليمُ

أضُمُّ جفوني دون بارقةِ المُنى

وأحمَدُ مُرَّ العيش وهو ذميمُ

ولا أشتكي الأيامَ إنّ اعتداءَها

على عبدِ شمسٍ يا أُميمُ قديمُ

وقول الطغرائي وهو يشكو الزمان وأبناءه،ويستعطف الممدوح[1]:

ولي قِبَلَ الأيامِ مُنذُ صحبتُها

مواعيدُ قد أعلَقتها شرك المطلِ

لوَيْنَ طويلاً ثُمَّ لمَّا قضيتها

أُحِلْنَ على من يخدع الجدّ بالهزلِ

وقد لفظتني الأرضُ حتى تراجعتْ

برجلي إلى أكنافِ جانبك السَّهلِ

فلا تتركني للنوائبِ مضغةً

فقد كشّرتْ عن حدِّ أنيابِها العصلِ[2]

وله أيضاً[3]:

وأعظمُ ما بي أنني بفضائلي

حُرِمتُ ، ومالي غيرُهُنَّ ذرائعُ

إذا لم يزدني موردي غير عِلّةٍ

فلا صَدَرَتْ بالواردين المشارعُ

(1) الديوان ص277.وينظر: الخريدة – أصفهان 79/1.

(2) العصل: الناب الأعوج.

(3) الديوان ص 228.وينظر: الخريدة – أصفهان 88/1.

وإن لم تجدني في السحب إلاّ صواعقاً

فلا جادتِ الدنيا الغيوثُ الهوامعُ

فالشاعر عندما يشكو الزمان فهو يقصد أهلَه ،وقلة وفاء ناسه ،وشدة جورهم ، ويصرِّح بعضهم بفعل الدهر ،فهو بنظرهم يصدُّ الطامحين إلى العلا،المستحقين لما يرمون إليه ،فيفح جناحَيه لأنذالٍ ،فيرفعهم، وهم في الواقع لا يستحقون أية منزلة، كقول أبي المعالي هبة الله الشيرازي[1]:

وأخرني دهري وقدّم معشرًا

بأنّهم لا يعلمون وأعلمُ

وعزمي أن أنسى علومي كلها

لعل زماني عند ذلك يرحمُ

وأن أدَّعِي الجهلَ الذي هو سُلَّمٌ

إلى سِلم هذا الدهر فالسّلم أسْلَمُ

في حين نرى إسماعيل بن محمد الأصفهاني يُحكّم عقله ،فلا يشكو الدهر ،وإنما يُلقي باللوم على نفسه قائلاً[2]:

ولا تبتغي أن تعذل الدهر دائبًا

ودهرك أولى أن يرى لك عائبا

وهذا مأخوذ من قول الأمام الشافعي[3]:

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا

وما لزماننا عيبٌ سوانا[4]

---

(1) الخريدة – فارس 35/3.

(2) الخريدة – أصفهان207/1 .

(3) الإمام الشافعي : فقيه السنة الأكبر:أبو عبد الله محمد بن إدريس (150–204هـ) ،قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: (كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، فهل ترى لهذين من خلف، أو عنهما من عوض؟ عن : الأمام الشافعي ص23.

(4) الديوان ص19.

ونَهْجُو ذا الزمان بغير ذنب

ولو نطق الزمان لنا هجانا

وهذه بالطبع حقيقة لا غبار عليها ،ولكن لا جدوى من ذلك، فكثير من الشعراء مقتنع بأن الدهر هو السبب في قهرهم وذلتهم.

وعطاء بن يعقوب الغزنوي[1] مقتنع بأنّ الدهر قد سلبه حقوقه ،ولذلك فهو ساخط عليه ويخاطبه بشدة فيقول:

يا دهرُ ويحك كم وكم بي تلعبُ

طوراً تُحاربُني وطورًا تَحربُ[2]

ما مرّ يومٌ واحدٌ ،بل ساعة

إلاّ غزاني من جيوشِك مُقنِبُ

كالعودِ أُقشِر مرة ،والعود أحـ

ـرق تارة والعود حينًا أَضرَبُ

أعريتني من كلِّ ما ملكَتْ يدي

والسيفُ عُريانًا أحدُّ وأَهيَبُ

وبالرغم من معاداة الدهر له وسلبه كل ما يملك ،إلا أنه أصبح أقوى وأشد، كالسيف الذي زال غمده ،فظهرت حدَّتُه ،وبريقه وهيبته ،وهذا تحد للدهر:

مهلاً فإني فوق نحرك دُرّةٌ

رفقًا فأني بين أفقك كوكبُ

أصبحت مغمومًا فزاد خلائقي

طيبًا ومغموم البنفسج أطيبُ

فهو رغم صنيع الدهر باقٍ كالكوكب الذي يلمع في الأفق، وكالبنفسج في طيب رائحته ،ويأمل أنه سوف يأتي يوم تتجلي عنه هموم الدهر وآلامه[3]:

---

(1) عطاء بن يعقوب الغزنوي: ترجمته في: الخريدة – خراسان وهراة 152/2.ومعجم الأدباء 170/12–181. ولباب الألباب 72/1–75.
(2) تحرب: تغضب .
(3) الخريدة – خراسان وهراة 152/2–153.

لا حُرّ إلا وهو مثلي مُبتلى

يشكو صروفَ الحادثات ويندبُ

صبراً فإحماء الحديد وطرقه

قد صيّراه ،وهو سيفٌ مُقضبُ

صبرًا فبعد الليل صبحٌ ساطعٌ

صبرًا فبعد العسر يسرٌ يقربُ

وما جدوى هذا التفاؤل والشاعر نفسه يواجه مكائد من أقرب الناس إليه؟ فالطغرائي يثور من كيد الأصدقاء، يذكر الناس صراحةً ،ويُعيِّن صنفًا بعينه[1]:

أعدى عدوك أدن من وَثِقتَ به
فحاذر الناس واصحبهم على دَخَلِ
وإنما رجل الدنيا وواحدُها
من لا يُعوِّل في الدنيا على رجلِ
وحُسنُ ظنّك بالأيام معجزة
فظنّ شرًّا ،وكن منها على وَجَلِ

وللشاعر الحق في ذلك، فهو يتحسس الغدر والظلم أينما ذهب ،فهذا أبو بكر محمد بن محمود يشكو ظلم أحد أصدقائه المقربين إليه[2]:

لقد عيل صبري دون ظلمك ليتني
أراك تقاسي ما جَنَته يداكا
أما أحدٌ يُنبيك أنك مُعتّدٍ
وإنّ إله العالمين يراكا

ولكن التحذير من الظلم أمر غير مُجدٍ معه ،ولا يجد الشاعر سبيلاً سوى تفويض أمره إلى رب العباد وهو كفيل به.وهذا إيمان من الشعراء بقوله تعالى:
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[3] (الفجر الآية 14) ، فيقول أحدهم مقتبسًا ذلك[4]:

---

(1) الديوان ص307.وينظر: الخريدة – أصفهان 68/1. (2) نفسه 163/1.
(3) سورة الفجر الآية /14. (4) الخريدة – أصفهان 163/1.

عوَّدت نفسك ظلم من أعجزتَه
فتعوَّدَتْ وجَرَّتْ على المعياد
لا نحسبنّك يا ظلومُ كُفِيتُهُ
إن العليم به لبالمرصاد

وتأخذهم الجرأة عندما تضيق نفوسهم أن يشكو من الفقهاء السَّيِّئين ، الذين يظلمون الناس، فهذا أبو العباس الحويزي يبث شكواه من أحد فقهاء المدرسة ، ضمن قصيدة مدح قالها في العزيز عم العماد الأصفهاني[(1)]:

أشكو إليك شرار مدرسة وَرَتْ
كشرارِ مُحتَدِمِ الزناد الوارِ
أَوْ سَمَّها حُمرًا فلما جئتُها
لم التمس منها بغيرِ حمارِ
ولقد سلوتُ عن الورود بصفوها
سلوانَ كعبٍ عن أبي المغوارِ
أما أئمةُ وعظهم فأقرضهم
جرُّوا الضرام فأنضجوا بأُوارِ
جعلوا التعصّب في التعصّب سُلّمًا
كي يَعرجوا فيه إلى الأوطارِ

وكم كان يسعى الشعراء إلى التعبير عن جور الفقهاء،وتبيان ما يفعلون،ففضحوا ألوان الجور ، وأرجأُوا الحكم إلى الخالق ،فقال أبو المعالي القومسي من قصيدة كتبها إلى بعض الأكابر،يشكو فيها المتولين والمشرفين على أوقاف مدرسته[(2)]:

حقًا عليك نظامَ الدين من قسمٍ
بالله بالمجد بالعلياء بالكرمِ ـــ

(1) الخريدة – فارس 44/3.
(2) الخريدة – فارس 92/3.وينظر: حول الأدب في العصر السلجوقي ص165.

بمعقَد العزِّ عن عرشٍ تبوءه
بفضل قدرتِه الجاري على الأممِ
بما تَدين به الرحمنُ مُعتَقِدًا
بما تراهُ لأهل الفضل من ذممِ
إلا استجبت ندائي وانتدبت له

كالسَّيل كالليل كالضمضامة الخذمِ

ثارت على الحِلِّ من أوقاف مدرستي

صمٌّ أرامِمُ لا ترفي من الصَّممِ

من كلِّ مُفتَعلٍ في الشر مُشتعِلٍ

للصَّفعِ مُحتمِلِ في الدين مُتَّهَمِ

مُطَلَّسِين ، وما تُغني طيالسُهم

إلا غناء الذئاب الطلس في الغنمِ[1]

هذا بعلَّةِ أني عاملٌ وقحٌ

وذا بعلَّةِ أني صاحبُ القلمِ

وذا يقول بأن الحق أورثَني

فيه الأكابرُ من آبائي القدمِ

قد خَرّبوا وأبادَوا كلَّ عامرةٍ

فما ترى نافخًا فيها لمضطرمِ

وقد تضيق الحياة بالشاعر ،وتسوء حاله ،فيشكو ذلك، عَلّهُ يجد في الشكوى ما قد يريحه ،كقول الأرّجاني ،وهو يصف حاله الذي يُبكي العدو، والحبيب لما فيه من أسًى ،وحزن ،وكتمان ما لا يطيق[2]:

---

(1) الطيلسان: – بفتح اللام – واحد الطيالسة ،والهاء في الجمع للعجمة ؛لأنه فارسي معرب والعامة تقوله بكسر اللام. وذئب أطلس: في لونه غُبرة إلى سواد ،وكل ما كان على لونه فهو أطلس ، مختار الصحاح ص313.

(2) الديوان 412/2–420.وينظر: الخريدة – فارس238/3.

ستورُ التّجمُّلِ أضحتْ وهُ

نَّ من دون أسرارِ حالي سُدودُ

فيَبكي لظاهِرِهنَّ العدُوُّ

ويبكي لباطنهن الودودُ

ويقدَحُ كتمانُ ما لا يَطيقُ

ويفضَحُ إعلانُ مالا تُريدُ

وقوله أيضاً[1]:

حالي عنف المفهود حائِلةٌ

مرضَتْ وأنتِ ببرئها طبٌ

وأشدُّ ما بي أنّ مرضتها

من حيثُ كان توقَّعَ الطَّبٌ

وهناك من شكا الوطن وأهله، فامتطى متن جواده ،واتخذه وطنًا يحل به حيث يشاء ،وبعضهم شكا النفاق الذي غلب على الناس ،كقول الأبيوردي يشكو مدينة بروجرد ونهاوند حين نزل بهما [2]:

ببروج رد نزلنا

منزلاً غير أنيق

فطوى دون قِرانا

كشحه كل صديق

وتوارى بحجابٍ

يُوحِشُ الضّيفَ وثيق

والبروجردي إنْ صا

حَبْتَهُ شرٌّ رفيق

---

(1) الديوان 217/1–226. وينظر :الخريدة 201/3.

(2) الخريدة خراسان وهراة 374/2.

والنهاونديُّ أيضا

من بنياتِ الطريق

وكلا الجنسينِ لا يصد

لُحُ إلا للحريق

وقول أبي بكر محمد بن محمود يصف مدينة (يَزْد) بالاحتكار . يعني أهلها. ويشكوهم[1]:

حصادُ جاوَرْس بيَزْدٍ في بيادره

وسورة القحط مَقرونانِ في قَرَنِ

أكلّما حصدوا جاورسَهُم قحطوا

هذا لعمرُ أبي ضربٌ من المحنِ

حصادُ كلِّ الناس مودَّتُهم

بالخِصبِ بل يزدٌ من أُعجوبةِ الزمنِ

الناس في البؤس والغلاتُ مُحرزَةٌ

فلا يبيعون بالغالـي من الثمن

هذا قناعتُه بالشبع من جزرٍ

وذاك يَعتامُ حملانًا ذوي سَمَنِ

والموعد الحشر والجبّارُ حاكمُنا

حكمًا يميزُ بين الماء واللَّبَن

فلا يجد الشاعر حلاًّ إلا أن يفوض أمره إلى الله جل وعلا،وهو أحكم الحاكمين.

وقد يشكو بعضهم من أمور ليست بذات أهمية ،كأن يشكو أحدهم من الحمى التي أصابته ،وحرمته لذة النوم ،من ذلك قول أبي المعالي القومسي[2]:

حمّتْني النوم طول الليل حُمّى

تساورني إذا اعتكرَ الظلامُ

---

(1) الخريدة – أصفهان 162/1-163.

(2) الخريدة – فارس 101/3-102.

فلا في الصُّبحِ أعرفُ طعمَ عيشٍ

ولا في الليل يمنعُني المنامُ

كأنّ مشاعري بالرغم مِنّي

تأبّتْ أن يكون لها حِمامُ

أو أن يشكو منصور بن محمد العاصمي زحمة الحمام فيقول[1]:

وأعجبني الحمّام غُصّ بزحمةٍ

فزحمَتُهُ عندي كتصحيفِ لَفظِها

لمست الذي أهوى بعِطْفي ومنكبي

ولم ترمِنى عينُ الغيور بلحظها

وهذا السيد أبو علي مجد الدين العلوي يطلب من تاج الدين أبي طالب الحسين بن الكافي حنطة ،فبخل بها ،فشكاه إلى بعض الصدور قائلاً[2]:

يا علمًا علاّمةً للوَرَى

زَندُك فيما يُرتَجَى وارِي

سُنبُلَةُ الحنطة ملفوفة

في جنَّةِ الخُلدِ بأزرارِ

---

(1) نفسه – خراسان 41/2.

(2) نفسه – أصفهان 151/1.

الهجاء:

وهو ضربٌ من النظم ،يُعبّر عن الشر المتأتي من الخصومة والمشاجرة، أو الكراهية والحقد والضغينة والحسد واللؤم ،وغالبا ما تزدحم فيه معاني الذم والاحتقار ،والتندر والاستهزاء ،أو النعوت المشينة ،مثل الغدر والبخل والحمق، والهجاء نقيض المدح ،فالشاعر يمدح ،فإن لم يُعطَ هجا، كقول منصور بن محمد العاصمي(1):

وإذا الكريم نبا عليّ بعِطفِه

يومًا وأخفق لي لديه رجاءُ

أمسكتُ عن شكري له وتركته

والصمتُ عن شكر الكريم هجاءُ

أما اللئيمُ فلا أُحاشي هجوَه

لكن بِلحيته لي استنجاءُ

فكما تختلف على الإنسان أحوال من الغبطة والرضا والتفاؤل، فإنه يعاني كذلك أحوالاً من الوحشة والانقباض والتشاؤم ،فهو ينظر إلى الناس بمحبة وأخوة حينًا، وحيناً آخر ينظر إليهم بعداوة وقسوة، ناقمًا ،حاقدًا على تصرفاتهم ،ولعل الوحشة والانقباض والنقمة والحقد والعداوة تتعقد في نفس الشاعر وتتضاعف، وتتطور وتتصهر بعضًا ببعض في أعماق الوجدان، وتصدر إلى الخارج بهجاء كثير الملامح المشوهة المنكرة التي ليست في الواقع سوى تعبير مادي محسوس عن تلك الظلال الشعورية الموحشة في أبعاد النفس(2) ،من ذلك قول الأرجاني في ذم جماعة من الناس(3):

إذا مدحناهم لم يوقظوا كرمًا

فإن تركناهم ناموا على حَنَقِ

---

(1) الخريدة –خراسان وهراة 41/2.

(2) ينظر : من الهجاء وتطوره عند العرب ص7.

(3) الديوان 995/3.وينظر: الخريدة – فارس319/3.

ونستسلُّ إذا ازوَرُّوا سخائمهم

بكل منظومةٍ كاللؤلؤ النسق

مدائحٌ لاتقاءِ الشرِّ تَحسَبُها

رُقي العقاربِ تُكْسَى أوجُهَ الورقِ

وأعناقُكم مِلؤها دُرّي وليس لكم

وأحمَدُ اللهَ أدنَى المَنِّ في عُنُقِي

وما خُلِقْنا حماماتٍ فنطرِبَكم

شَجْوًا ونَملِك أطواقًا من الخِلَقِ

والله لولا محاماتي وإنْ لَؤُموا

على الكريمَينِ من نفسي ومن خُلُقي

إذن لسارتْ بما يُخْزِيهُمُ كَلِمٌ

أُزِلُّها من حواشي مِقْوَلٍ نُطُقِ(1)

تهتز منهنّ أعطاف الورى طربًا

إلا الذين أباتتهم على قلَقِ

كالسيفِ يَحمَدُهُ غيرُ القتيلِ به

يوم الجلادِ إذا ما احمَرَّ من عَلَقِ

ومع ذلك فإن هذا الفن قليل في هذا العصر ،وأول ما يستوقفنا هو هجاء المدن ،ومن ذلك قصيدة لبديع الترك يهجو فيها مدينة (بلخ) قائلاً(2):

في بلخٍ أوغادٌ إذا ما أمَّهُم

في المَحْلِ مُخْتَبِطٌ يخيبُ ويخفقُ

الجهلُ ينفق عندهم والفضل كالز

يفِ المبهرج فيهم لا يتفق

(1) الديوان 998/3.وينظر : الخريدة – فارس319/3.

(2)الخريدة – خراسان 165/2.

فيها مراعي الجاهلين مريعةٌ

ومراد أهل الفضل ضنكٌ ضيِّقُ

أعلاهُمُ قدرًا غَوِيٌّ مارقٌ

وأتمُّهم حجرًا غَبِيٌّ أَحمَقُ

ثم يتلاعب الشاعر بالألفاظ ،ويبدل حرفًا مكان حرف ،فتصبح الكلمة القبيحة والصفة الذميمة كلمةً جميلة حميدة حين يمدح هراة فيقول(1):

وَرِدا هراة فإنها بحرٌ من الـ

ـآداب والأدباء فَعْمٌ متأَقُ

وبها كرامٌ وَبلُهُم مُتَبعِّقٌ

للآملين وغيثُهم مُتدَفِّقُ

ولهم شمائلُ كالهواءِ لطيفةٌ

تهوي على بُعدِ المزارِ وتُعشَقُ

فالشاعر (إذا مدح رفع،وإذا هجا وضع)(2) ،وهذا أمر طبيعي،فعين الرضا تُبدي المحاسن،وعين السخط تبدي المساوئ،فقد هجا أبو طاهر الخاتوني بغداد قائلاً(3):

قد لقينا لدى المُقام ببغداد

فنونًا من الرزايا العظامِ

ما سلمنا من البوائق فيها

وهي تُدعى مدينةٌ للسلامِ

فسلامٌ على السلامةِ والسِّلمِ

وحُسنِ العهود والإسلامِ

ولعل الهجاء الساخر الذي يبعث على الضحك أكثر هذه الألوان إلهابا، وشهرة ورواجًا،فقد هجا أبو بكر محمد بن محمود صديقًا له، فقال(4):

---

(1) الخريدة – خراسان وهراة 165/2.

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 119/15.

(3) الخريدة – فارس 86/3.	(4) الخريدة – أصفهان 162/1.

يا حسن صورته لولا حماقته

وقلّة اللُّبِ في رأسٍ له نزق[1]

وقول منصور بن محمد العاصمي وهو يهجو رجلاً صوره بصورة مضحكة فتارة يشبهه بكلبٍ عاو ،وهو شؤم لكل من يراه[2]:

يا من يقول أنا ابن حيدرة الرضى

وأراه أشبه بالكلاب العاويه

إن كنتَ ذاك ، ولا أراك فإنه

من شؤمك استولى عليه معاويه

وتارة آخرى يصف طلعته كأنها طلعة إبليس فيقول:

عامل نوشنج له طلعةٌ

كأنها طلعة إبليس

دماغه من كيسه فارغ

لكنّه مُمتلئُ الكيسِ

وهذا عمر الأنصاري كانت له خصومة مع أحد القضاة، فلما توفي القاضي استغل عمر هذا الموقف، فهجا القاضي بوفاة أخيه قائلاً[3]:

قالوا: أخو القاضي قضى نحبه

فقلت: ليت القاضي القاضي

لا رحم الله صدى من بقي

أيضًا ولا بلَّ ثرى الماضي

ويهجو فاضلاً لا أصل له،فيبين أنّ فضله ،أو أدبه لا يليق به، وغيره أولى بهذا الأدب فيقول[4]:

إن أبا زيد وأعني به

من عُجِنَتْ طينتُه من بَلَه

---

(1) النزق: الخفة والطيش.
(2) الخريدة – خراسان39/2.

(3) الخريدة فارس 56/3.   (4) نفسه 40/2.

قد ضاع في خِسَّتِه فَضْلُه

كدُرَّةٍ تُدفَنُ في مَزبَلَة

قد جرد الشاعر خصمه من كل فضلٍ، ونباهة ،وثمة شاعر آخر يحطُّ من منزلة الذين أساءوا إليه ،هو عطاء بن يعقوب الغزنوي[1] ،فنراه يطلق معاني السخط والذم على الذين تعرضوا له ،وكانوا سببًا في سجنه قائلاً:

نبحوا على عِرضي النَّقيِّ كأنني

قمرُ الدُّجى نَبَحتْ عليه الأكلبُ

فجميعهم عند التقابل حَيَّةٌ

لكنهم عند التَّدابُرِ عَقرَبُ

إن العقرب مشهورة بلؤمها وأذاها،فإذا وصفوا إنساناً باللؤم قالوا عنه(عقرب)و (الحية) عند الناس أسلم من العقرب ،وهذا يذكرنا بالمثل البغدادي القائل: (في مكان العقرب لا تقرب ،في مكان الحية أفرش ونام)[2] ،وهذا فخر الدين بن مريم يعمد إلى تشبيه المهجو بالثور الهائج ،فيقول في الناصح الكرماني[3]:

رأيت ثورًا ثائرًا حَوْلَه

فقيل لي هذا هو الناصِحُ

فقلت هذا الثور؟ قالوا: نعم

فقلت بل هذا هو الناصِحُ

فالشاعر من أجل أنْ يحط من منزلة خصمه يعمد إلى تشبيهه بأجناس معينة من الحيوانات كما رأينا ،كالكلاب ،والحيات ،والعقارب ،والثور، والقرود، مثل قول عمر بن أحمد بن علي الأنصاري،قال العماد: (أغرقه بدر الدين بن معقل الأسدي مع والده في البطيحة،حيثُ رُقي إليه أنه هجاه بعد سنة خمس وأربعين وخمسمائه، وكان مما هجاه فيه قوله[4]:

---

(1) نفسه 153/2.   (2) يضرب: للتفريق بين شَرِّيرَين ،وتفضيل أحدهما على الآخر عند الاضطرار، (جمهرة الأمثال البغدادية 33/2).

(3) الخريدة – فارس 33/3. (4) الخريدة– فارس 53/3.

لقد شَقِيَتْ بنو أسدٍ ببدرٍ

كما شقيت بأحمرها ثمودُ

... .[1]

لكيلا تُملأ الدنيا قرودُ

وكثير من الشعراء ذَمَّ الأكابر من الناس ،ولا سيما (أبناء الدولة)، فتعرضوا لهم ،وحطوا من شأنهم ،وسخروا منهم ،من ذلك قول أبي طاهر الخاتوني في ذم أبي علي الزيادي القُمِّي[2]:

أبا عليٍّ نُسِبْتَ ظُلْمًا

مثل زيادٍ إلى الزيادي

أنت به مُلحقٌ مَنوطٌ

كواحد النردباني ياد

وتصل الجرأة بأبي طاهر الخاتوني أن يهجو بعض الوزراء قائلاً[3]:

لنا وزيرٌ بِشرُهُ بارق

يَشيمُه المُستيئِسُ الخائبُ

يَكذبُ بالطَّبعِ بلا كُلفَةٍ

وإنّما الطَّبعُ هو الغالبُ

فَوَعدُه في ليل آمالنا

صُبْحٌ ولكنّ مثلَه كاذبُ

وللطغرائي أهاجٍ في بعض الوزراء ، منها[4]:

أما الخُطيرُ فجُبّةٌ وعمامةٌ

ومنازلٌ مرفوعةُ الاساس

---

(1) بياض في الأصل.

(2) الخريدة 84/3.

(3) الخريدة – فارس 87/3.

(4) ديوان الطغرائي ص203.وينظر: الخريدة – أصفهان 127/1.

إذا رجعتَ إلى الكرام فطاعمٌ
ما بين أهلِ المكرماتِ وكاسي
بارَتْ عليه بضائعي فكأنني
مستبضعٌ طيبًا إلى كَنَّاسِ

وأبياته هذه لا تخرج عن دائرة التقليد، والمحاكاة لمن سبقه من الشعراء فالمعنى نفسه قد طرقه الحطيئة حين هجا الزبرقان بقوله(1):

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ولأبي بكر الأرّجاني هجاء في أحد الأكابر قائلاً(2):

عجبت وقد جئتُ ابنَ لؤمٍ أزورُه
فوافيتُه والدهر جمٌّ عجائبُه
وسلّمْتُ من قُربٍ عليه ولم يكن
جوابي إلا ما أشارتْ حواجبُه
وما شامخ لا تُنصِفُ العينُ طولَه
بأثقلَ منه حين يَزوَرُّ جانبُه
من المُقتَضي لعنُ الضرورةِ وجهُهُ
إذا ما أتينا في مهمٍ نُخاطِبُه

وله أيضًا يهجو كاتبًا يُلقّبُ بـ(شهاب)،ويصوّره بصورةٍ ساخرة وطريفة للغاية، يقول فيها (3):

ما زِلتُ أحسبُ أنّ الشّهبَ ثاقبةٌ
حتى رأيتُ شهابًا وهو مثقوبُ
في كفِّه الدهرُ أو في ظهرِهِ قلمٌ
فنصفه كاتبٌ، والنصفُ مكتوبُ

—

(1) ديوان الحطيئة ص 50.   (2) الديوان 134/1.وينظر: الخريدة – فارس 203/3.
(3) الديوان 234/1.وينظر: الخريدة – فارس 203/3.

ثمة نوع آخر من الهجاء كان يستمد موضوعاته من القضايا الجنسية ،ويستعمل الألفاظ البذيئة بقصد الضحك والإضحاك[1] ، ولكننا اليوم مع توفر أمثلة من هذا الشعر السخيف تكفي لعقد فصل خاص لا نجرؤ على دارسته.

ويرى الدكتور ناظم رشيد :أنّ شعر القذف والإفحاش والسباب مكروه ومستقبح، وقبره خير من نشره ؛ ولذلك أعرضناعن ذكر أمثلة له[2] ، وأخذنا بما قاله خلف الأحمر: (أبلغ الهجاء أعفُّه وأصدقُه)[3] .

الوصف:

الوصف ركن أساس من أركان الشعر العربي ،وقد أصاب ابن رشيق القيرواني في قوله : (الشعر إلا أقله راجعٌ إلى باب الوصف)[4]. فإننا نجده في شعر المديح والهجاء والغزل، إلى جانب الشعر الخالص في الوصف[5] .فقد وصف الشاعر العربي باديته وأشبعها وصفًا دقيقًا، وتصويرًا ،فلم يترك فيها شيئًا رآه إلا وصفه لنا وصفًا فنياً وواقعياً .ولما انطلق من معقله مُتابعًا الحضارات المزدهرة المجاورة غربًا إلى الشام ومصر وما بعدها،وشرقًا إلى العراق وفارس وما بعدها، تنوّع وصفه ،وازادادت موادّه ،وحسُنت صورتُه وتلمّعَت ،ودقّت ،ورقّت ،ثم ما لبث أن علتها طبقة من المغالاة[6] ،فوصفوا كل شيء وقعت أعنيهم عليه في دورهم ،وقصورهم من حاجات ،وفي مدنهم ،وقراهم من بساتين، وأزهار ،وثمار وأطيار، وأنهار ،وفي سمائهم من كواكب،وسُحب وأمطار ،ولم يغفلوا عن وصف الحيوانات ما كان منها أليفًا أو كاسرًا.

وتفاوت الشعراء كثرة وقلة في الوصف وقد بلغ الطغرائي القمة في الكثرة

---

(1) لإتمام الفائدة تُنظر الأبيات في:خريدة العجم 139/1 ، 42/2 ، 93/2 ، 99/2 ، 15/3، 24/3–25 ، 27/3 ، 50/3 –51 ، 56/3 ، 76/3 ، 3 /85–86 .
(2) ينظر :الأدب العربي في العصر الوسيط ص74.

(3) العمدة 171/2.   (4) السابق 1 / 294.

(5) ينظر: الأدب العربي في العصر الوسيط ص63.

(6) ينظر : حول الأدب في العصر السلجوقي ص 183.

والنوعية ،ويبدو أنه كان عاشقًا لكل جميل في الطبيعة، وقد وصلت إلينا عشرات المقطوعات من نظمه تضمنت أوصافًا وتشبيهات في الرياحين وصفات الورد كقوله(1):

ألم تر أن خدّ الوَردِ وافى

بصفرٍ من مطاردة وحُمر

أتى مستسلمًا بالشوقِ فيه

نِصالُ زُمُرّدٍ وتراسُ تِبْرِ (2)

فجلَى بالسرور همومَ قلبي

وطارد بالنشاط بنات صدري

فما عُذري إذا لم أُقابلْ

أياديه بسُكْرٍ أو بشُكرِ

فهو في تمازج وانسجام تام مع الورد ،وجلوسه معه يُريحُ صدرَه، ويزيل همه، وكأنه عاشق جالس مع معشوقته الحسناء.

شجراتُ وردٍ أصفرٍ بعثتْ

في قلب كلِّ مُتَيَّمٍ طربا

شبّهتُها بخريدةٍ طُرِحَتْ

في الخُضرِ من أثوابها لهبا(3)

سكبت يدُ الغيمِ اللُّجَين لها

فكسته صبُغًا مونقًا عجبا(4)

من ذا رأى قبله شجرًا

سُقي اللُّجَين فأثمرَ الذهبا ـــــ

(1) ديوانه ص 174.

(2) نصال: جمع نصل: نصل السيف والسهم. تِراس: جمع تُرسة، خشية توضع خلف الباب. تِبر: ما كان من الذهب غير مضروب ،ولا يقال :تِبرُ إلا للذهب ،وبعضهم يقوله للفضة أيضًا.

(3) الخريدة: الجارية الحسناء (البكر).
(4) اللجين: الفضّة.

وله في صفة (النيلوفر) صوراً حية ناطقة، فانفتاح الأوراق ،وانبعاث الروائح الزكية ،وبروز الألوان منها منظرُ رائع،يشدُّه ويجعله مُنقادًا لوصفه بشتى الصور، فيقول[1]:

ونيلوفر أعناقُه أبدًا صفر
كأن به سُكرًا وليس به سُكرُ
إذا انفتحت أوراقه
وقد ظَهرتْ ألوانُها البيضُ والصُّفرُ

وله فيه أيضًا[2]:

نيلوفرٌ يسبحُ في لُجّةٍ
عليه ألوان من اللَّبسِ
مظاهرُ ثوب حدادٍ على
ثوب بياضٍ عُلّ بالوَرسِ[3]
فالشطرُ من أعلاهُ في مأتم
وشطرُه الأسفلُ في عُرسِ
مُغمِضٌ طول الدجى ناعسٌ
جفونُه تُفتَحُ في الشمسِ

إن مشاعره وأحاسيسه في تماسٍ مع الزهور ،والرياحين ذات الألوان البهية،والروائح الشذية ،فطال وقوفه أمامها ،يتأملها بنظراته، لنراه وهو يتأمل الشقيق الأحمر فيقول[4]:

وبين رياضِ الجوِّ زَهرُ شقائقٍ
مطاردُهُ حمُرٌ ،أسافِلُه سُحمُ
كما طُرِحتْ في الفحم نارٌ ضعيفةٌ
ومن جانبٍ نار ،ومن جانبٍ فَحمُ

—

(1) ديوانه ص174.وينظر: الخريدة – أصفهان 110/1.   (2) الديوان ص202.

(3) الورس: نبت أصفر .   (4) الديوان ص 368.وينظر: الخريدة – أصفهان 111/1.

ولنتأمل وصفه الدقيق لحديقة الزعفران المكتنزة بالألوان الزاهية ،وكأنها عذراء مرّت بأطوار الحمل والولادة ، فيقول[1]:

وحديقةٍ للزّعفرانِ تأرّجَتْ

وتبرّجتْ في نسجِ وشيٍ مُونِقِ

شكَتِ الخيالَ فألحَقَتْها نُطفةٌ

من صَوبِ غاديةِ الغمام الفُرَّقِ

حتى إذا ما حان وقتُ وِلادِها

فتق الصّبا منها الذي لم يُفتَقِ

عذراءُ حُبلَى قمّطتْ أولادها

صُفرًا وحمرًا في الحريرالأزرقِ

وكأنما اقتتلوا فأصفرُ خائفٌ

بحذاءِ قانٍ في الدماءِ مُغرّقُ

ونراه يُكثر من وصف الأزهار والأثمار كثرة تسترعي الانتباه ،ولعل ذلك راجع إلى كثرة حقول الفواكه ،ورياض الأزهار المتتابعة في الشرق، فقد وصف النارنج قائلاً[2]:

نارنجنا في لونه

وشكلِه المُدَوَّرِ

يحكي كُرات سُفنٍ

مَصبوغةٍ بالعُصفرِ[3]

ملفوفةً في خِرقٍ

من الحرير الأحمرِ

أو كنهودٍ ظهرتْ

من تحت لاذٍ أصفرِ

---

(1) الديوان ص 262.وينظر: الخريدة 112/1.

(2) الديوان ص 176.وينظر: الخريدة 113/1. **(3) العُصفر: بضم العين والفاء . صبغ أصفر.**

حقاقُ تبرٍ ضُمّنَتْ

حشوًا بديعَ المنظرِ

ابريسم لبّتُه

مَبلولَةٌ لم تُعصَرِ

وله في وصف السفرجل[1]:

وسفرجلٍ عُنيَ المصيفُ بحفظه

فكساه قبل البرد خزًّا أخضرا

صوغٌ من الذهب المُصَفَّى نَشرُه

مِسكٌ إذا حضرَ النديّ تعطرا

وله في تصوير الكروم التي جذبته بجمالها تصويرٌ دقيقٌ منذ زراعتها،ونموها، مروراً بتلقيحها، وحملها ،ونضجها إلى موعد جني ثمرها،واستخدامها في صنع أطيب أنواع الشراب وألَذِّه، فيقول[2]:

وكرمة أعراقها في الثرى

بعيدةِ المنزعِ والمَضرَبِ

كريمةٍ تلتفُّ أغصانها الـ

غضّةُ بالأقربِ في الأقربِ

تمتاحُ في قعر الثرى رِيّها

أشطانُها عفوًا،ولم تجذبِ

ألقحها الريحُ وصوبُ الحيا

والشمسُ في المشرق والمغرب

فأعقبتْ عائلَها بعد ما

عاش زمانا وهي لم تُعقِبِ

---

(1) الديوان ص177.وينظر: الخريدة 113/1.

(2) الديوان ص73-74.وينظر: الخريدة - أصفهان 1/114-115.

ووضَعَتها نجبًا تنتمي

إلى أبٍ ،أكرِم به من أبِ!

وألحفتها خُضرَ أوراقها

مَعدوَة بالحَلَبِ الأعزَبِ

وأسكنتها الشمس من صبغة الـ

تلويحِ في الأغربِ فالأغربِ

فمهَرَتْ فيها وجاءت بما

يَبهَرُ من مُستحسنٍ مُعجِبِ

وبدَّلت خضرَ عناقيدها

بالأدهم اليحمومِ والأشهبِ

واستسلفتْ ماء وجادتْ به

مدامة كالقبسِ المُلهَبِ

ولم تزل بالرِّفق حتى أُكتسيَ

لُجَينُها من صِبغها المُذهَبِ

فالأشقرُ المنتوجُ من نسلها

سليلُ ذاك الأشهبِ المُنجِبِ

ترى الثُّريا من عناقيدِها

تلوحُ في أخضرَ كالغَيهَبِ[1]

ألوانُها شتّى وأنواعُها

مُتفقات النجِّرْ والمَنصِبِ

من حالك اللون كجنحِ الدُّجى

وناصعٍ يلمعُ كالكوكبِ

كأنّما تحملُ حبّاتُها

أكارعُ النُّفرانِ بالمخلّبِ

(1) الغيهب: الشديد السواد ، أو اللون الداكن .

خيلانِ من رومٍ وزنجٍ غَدتْ
في جُنَنٍ خُضْرٍ لها تَجتَبي
أطيِبْ بها حالاً ومحظورةً
في كَرْمِها أو كاسِها أَطيبِ[1]

ومن الشعراء الذين هاموا بجمال الطبيعة ،وأنهارها الأرّجاني ،الذي يقول في وصف دجلة والجسر ،ويتخلص بعد ذلك إلى المدح[2]:

اسأل عتاق العيس إن ثورتها
سيراً يمزق بزدة البيداء
فعسى المطايا أن يجدد وخذها
لك سلوة بزيارة الزوراء
فوسمت أغفال المهامة واطئا
وجناتها بمناسم الوجناء
حتى أنيخ بشط دجلة أينقى
والجو في سمك من الظلماء
والجسر تحسبه طرازاً أسوداً
قد لاح فوق ملاءة بيضاء

وليل دجلة ساحر أخاذ يشد الأذهان بصفائه وهدوئه وقال فيه الأرجاني:

والليل قد نسخ الكواكب نسجه
للأرض غيرَ سقيمةِ الأضواءِ
والأصلُ للخضراءِ فهو بكَفِّها
وبه تُقابلُ نسخةَ الغبراءِ

---

(1) تزرع الكروم على سفوح الجبال، وفي الوديان ،ويمكن زراعتها في الجهات قليلة الماء بالاعتماد على المياه الباطنية ؛إذا تمد الكروم جذورها إلى أعماق بعيدة .والعنب غذاء رئيسي في

أشهر الصيف ،ويستعمل في صنع النبيذ ،وخمر أهل فارس من العنب.ينظر: العقد الفريد 355/6 ،وشعوب العالم (إيران) ص17.

(2) الديوان 35/1-36.وينظر: الخريدة – فارس 178/3-179.

فكأنما الفلكُ المُدار بمَشقها

أبدى كتابته لِعَينِ الرائي

وهم إذا أرادوا وصف الصبح المنير . وهو بهيج بطبيعته . أقبلوا عليه؛لأنه في نظرهم يُمِيتُ الليل البهيم ،ويعيد الأنس إلى الحياة ،قال الأبيوردي(1):

وألويةُ الصبح مُذ فُصِمتْ

عُرا الصبحِ مُنتشراتِ العَذَبْ

كأنّ تألّقه جذوةٌ

تُناجي الصِّبا بلسان اللّهبْ

ومنهم من وصف بعض الأشهر المقدسة المباركة،ويظهر في ذلك تمسك واضح بديننا الحنيف ،وعقيدتنا الراسخة ،ولذلك بإمكاننا أن نضع هكذا نوع من الأشعار تحت إطار (الشعر الديني) ،من ذلك قول أبي عبد الرحمن المستملي في شهر رمضان المبارك(2):

إذا أتى رمضان مقبلاً

فأقبل بالخير يُستقبَلُ

لعلك تحظّ به قابلاً

وتأتي بعذرٍ فلا يُقبَلُ

ورؤية الهلال في آخر شهر رمضان المبارك أمرٌ يدعو إلى السرور والغبطة، فها هو ذا الطغرائي يدعو الناس بالتنبه إلى هذا الأمر المفرح،والاستعداد له بتهيئة مجالس الأنس والطرب ؛لأن شهر الصيام قد انقضى بقوله(3):

---

(1) الديوان 6/2 وينظر:الخريدة – خراسان 236/2. (2) الخريدة خراسان 102/2.

(3) ديوانه ص364.وينظر:الخريدة – أصفهان 121/1.

قوموا إلى لذاتكم يا نيام

ونبِّهوا العُودَ وصُفُّوا المُدام

هذا هلال الفطر قد جاءنا

بمُنجَلٍ يحصدُ شهرَ الصيام

وهذا وجيه الشّحامي يصف شهر رجب بقوله(1):

شـهرُ الإلـهِ تقدّستْ أسماؤه

وتواترتْ خيراتُه بدوامِ

رجَبُ الأصمِّ فليتَ شعري هل لنا

صممٌ على الأوزار والآثامِ

ووصفوا الفصول بأوصاف جميلة ،فيها طرافة ،ولا سيما فصل الشتاء ، فهو عندهم بارد جدًّا، ودائم الثلوج .لِنَرَ أبا الحسن الباخرزي ،وهو يصف الشتاء الذي ارتدى من الجليد جلودًا، وثيابًا، حتى ليصل الأمر بالإنسان المؤمن بأن يتمنى حرّ النار والجحيم بدلاً من برد الشتاء القارص، فيقول(2):

لبس الشتاء من الجليد جلودا

فالبَسْ فقد برَدَ الزمانُ بُرودا

كم مؤمنٍ قرصَتْه أظفارُ الشتاء

فغدا لأصحاب الجحيم حَسودا

وترى طيور الماء في وكُناتها

تختار حرَّ النار والسَّفودا(3)

---

(1) وجيه بن طاهر محمد بن أحمد ،الشيخ العالم والعادل العامل، مسند خراسان أبوبكر الشّحامي النيسابوري، (ت541هـ) ،وكان يملي بالجامع كل جمعة مكان أخيه ،ينظر: الخريدة 104/2–105. والمنتظم 124/10.والنجوم الزاهرة 280/5.وشذرات الذهب 120/4.

(2) ديوان ص100–101 الخريدة 97/2. معجم الأدباء 37/13. وفيات الأعيان 388/3

(3) السفود: بوزن التنور: الحديدة التي يُشوى بها اللحم .

فالرتق في الأشداق أصبح جامداً
والدمع في الأماق صار برودا
وإذا رميتَ كأسَك في الهوى
عادت عليك من العقيق عُقودا
يا صاحب العودَين لا تُهمِلهُما
حَرِّقْ لنا عُوداً وحرِّك عُودا

وأخذ الشعراء يتبارون في وصف الظواهر الكونية التي تسترعي انتباههم . فالأرجاني وصف البرق الذي لمع في جنح الليل وأضاء الظلام بومضه فيقول(1):

لمُلتقَى لحظنا البرقُ الذي ومضا
استوقفَ الطرفَ في آثاره ومضَى
لما تناعس ساريه أرِقْتُ
تراه أودَع جَفني عنده الغمضا
أبدى كشاكلةِ البلقاءِ صفحتَه
ومرّ يتركُ صِبغَ الليلِ مُنتقِضا
وعاد ثانِيَ عِطفَيه على عجَلٍ
يجدُّ درسَ خِضابٍ للظلامِ نَضا

وله يصف الغيث قائلاً(2):

تنَفّسَ في الجوِّ ريحُ الجَنوبِ
بُكورًا مع الصبح لمّا بَدا
بناشئةٍ من رقيق الغَمام

بها الأفقُ عند الصباح احتبَى

وراقَ العيونَ لها عارضٌ

إذا ضَحِك البرقُ فيه بكى

(1) ديوانه : 2/830–837.وينظر: الخريدة – فارس 3/286.

(2) الديوان 1/70–82.وينظر: الخريدة 3/188.

فظلّ كأنّ ارتقاص القطار

بوجه الصعيد افتحاص القطا[1]

وسرعان ما ينقضي الشتاء،ويأتي الربيع ؛ليكسو الحياة بهجة وسرورًا، فالأرض قد رُويَتْ ،وجادت بأجمل الأزهار، كقول الأرجاني[2]:

وافى ربيعٌ باكر . أجناده حين مضى . سلطانُ بَردٍ مُعتَدِ

أسلفَ وهو تاجرٌ . عهاده تجرُّ الثرى . اللؤلؤ بالزُّبُرجدِ

وللشقيق ناظرٌ . سواده قد ارتوى . بلا اكتحال إثْمَدِ

وسط الدماء حائرٌ . سوادُه مما بكى . يُديرُ عينَ أرمَدِ

بل هو خدٌّ ناضرٌ . وقادَةٌ لما التَظى . زِينَ بخالٍ أسودِ

وقد أحبوا الربيع ،فخصوه بوصفهم ؛لما يضم من ألوان شتى ،ولم يهتموا للخريف ،ولا لانقباضه، ولو فعلوا لدنوا من الرومانسية التي ترفع من شعرهم إلى مرتبة سامية[3]. ووصفوا السماء بفضائها الواسع، المملوء بالكواكب المنيرة ،التي تدعو إلى التأمل ،وصفاء الخاطر ،وكان للطغرائي السبق في ذلك ،فوصف السماء والنجوم قائلاً[4]:

أبِيتُ أرعى النجوم مرتفقًا

وهي لآلٍ في لجّةٍ بَدَدُ

تغيب هذي وتلك طالعة

والقطبُ رأسٌ كأنّه وتَدُ

أكمَهُ ضَلّ الطريق مُنفردًا

ما عنده من هُدائه أحدُ

---

(1) القطار: المطر، من القَطر .

افتحاص: من الفحص ،البحث في الأرض ، وهو ما تقوم به القطا لوضع بيضها.

(2)ديوانه 527/2 . 543 ،وهي قصيدة طويلة يقرأ بأربعة أوزان ،(الخريدة 251/3).

(3) ينظر:حول الأدب في العصر السلجوقي ص169.

(4)ديوانه ص 143-144.

في فلكٍ دائرٍ مجرّتُهُ

نهرٌ خلال الرياض يَطَّرِدُ

وقد وصف الظواهر الفلكية التي تحدث بين الحين والآخر، ومن ذلك وصفه كواكب الرجم (الشهب)[1]:

وليلٍ ترى الشهب مُنقَضّة

بها نحو مسترقٍ سَمعَه

تراها إذا ما انتشرت في السماء

ولم يخلُ من ضوئها بقعه

من أريقِ تِبرٍ ترامتْ بها

بنو الحرب في حومةِ الوقعة

وله صور لطيفة ،ومعانٍ ظريفة في وصف الهلال ،والثريا وقد جعلهما عروسين بأبهى حلة ،وأجمل منظر ، بقوله[3]:

لاح الهلالُ والثريا

فوقه في مُجسّدِ

وللهلال حُمّةٌ

من عَنْبَرٍ منضدِ

مثلُ وشاحِ لؤلؤٍ

مُفصّلٍ مُبرّدِ

على عروسٍ لبستْ

لثامِ خزٍّ أسودِ

وله في تقابل الشمس والقمر [3]:

وكأنما الشمس المنيرة إذ بدَتْ

والبدرُ يجنحُ للمغيبِ وما غَرَبْ

(1) نفسه ص251. (2) ديوانه ص 144.وينظر: الخريدة – أصفهان 120/1 .

(3) الديوان ص 77–78.وينظر: الخريدة 121/1.

متحاربانِ مِجَنٌّ ذا قد صاغَه

من فِضّةٍ، ولذا مِجَنٌّ مذهب[1]

ووصفوا أيضًا ما يتعلق بحياتهم الخاصة ،كالأصدقاء مثلاً ،فالصديق المخلص كان الملاذ الآمن الذي يحمي صديقه، كقول أحمد بن حامد بن محمد[2]:

وليلٍ كليلِ المُحِبِّ المشو

قِ طال به شوقُه والقَلَقْ

بقطعي دُجاه كفيل لديْ

يَ وصلي ذَميلَ السُّرَى بالعَنَقْ

يُقرِّبني في العُلا مرقدًا

على مبتغيه بعيدَ الطَّلَقْ

بدَا فَلَقٌ مثل رأي الوزيـ

ـر من أين أنواره للفَلَقْ

تحوط الأقاليم أقلامه

وتحمي مشارفها من رنَقْ[3]

وهناك أشياء كثيرة استرعت انتباههم ،خاصة ما لمسوه في حياتهم، فمن أهم ما أولَوه عنايتَهم القلم ،فمع إنه لم يكن وصفًا جديدًا عليهم ،إلا أنهم أكثروا فيه؛ لأنه سلاح الكاتب والشاعر والوزير، كقول علي بن محمد القهروذي[4]:

معمل صفرًا قصارًا

دونها سُمرُ الرماحِ

عاملاتٍ في الأعادي

عمل البيض الصفاحِ

---

(1) مِجن: بالكسر . التِّرس: خشبه توضع خلف الباب ،جمعه مَجان ،أو صفحة من الفولاذ مستديرة تُحمل للوقاية من السيف ونحوه ، (الأغاني91/1).
(2) الخريدة أصفهان 47/1.
(3) رنق: الماء الكدر. (4) الخريدة – فارس 89/3–90.

جارحاتٍ كمُنَتْ فيـ

ـها مداواة الجراحِ

ناثراتِ المسكِ نثرًا

فوق كافور رُباحي

فهو لا يقل أهمية عن السيوف والرماح ،وقد يفوقها كقول أحمشاذ بن عبد السلام[1]:

لله أسمره في كلِّ داهيةٍ

يغني عن السمر والهندي والأَسَلِ

بكاؤه الدهر للعلياء مبتسمٌ

تسويده الطرس تبييضًا لوجه ولي[2]

وافيتُ كرمانَ والأحداثُ تلفحني

هجيرها فكساني وارف الظللِ

ووصفهم للسيف كان موفقًا، ونكاد نؤمن بتفوقهم فيه للدقة المتناهية التي أولوها أثناء هذا اللون من الوصف ،فالسيف كما رأينا إما هندواني ،أو يماني قاطع،ولامع كما قال الطغرائي[3]:

وأبيض طاغي الحدِّ يرعُد متنُه

مخافة عزمٍ منك أمضى من النَّصلِ

عليهم بأسرارِ المنون كأنما

على مضربَيه أُنزلت آيةُ القَتلِ

تفيضُ نفوسُ الصيد دون غِرارِهِ

وتطفح عن مَتنيه في مَدرجِ النملِ

—

(1) الخريدة – خراسان 138/2.

(2) الطِّرس: بالكسر – الصحيفة،ويقال هي التي مُحِيت،ثم كُتِبَت،والجمع:أطراس.

(3) الديوان ص 274.وينظر: الخريدة – أصفهان 78/1–79.وحول الأدب في العصر السلجوقي ص 193.

خلعتَ عليه نورَ وجهك فارتدى

بنورٍ كفاهُ أنْ يُحادثَ بالصقلِ

وأغلب ما يأتي وصف القلم أو السيف مطلعاً لمديح ،ولا سيّما إذا كان الممدوح ممن يحمل السيف والقلم معًا ، ومن أشهر الأوصاف قصيدة الأرّجاني في مدح العزيز(عم العماد) يقول الأصفهاني عنها[1]:(جمع بين العذوبة والطيب في الرّيّ والرّيّا،وقد أثبتُّ له كل غراء غريبة بعيدة في المغري قريبة، وقدمت من مدائحه في الصدر الشهيد العم عزيز قصائد كنظم الدر الثمين، فمن ذلك قصيدة يمدحه بها في أصفهان في العود إلى أهله بخوزستان قبل هجوم الشتاء، وسقوط الثلج على الجبال وهي في صفوٍ من الماء الزلال، ويُفضله على القوم ،ويهنئه بالصوم) ..واخترت منها ما يناسب المقام كقوله[2]:

في كفِّه قلمٌ يغضُّ مضاؤُه

من كل مطرورِ الغِرار مُذَرَّبِ

ما زال إمّا كالحُسام المُنتَضى

يروي الصدى أو كالغمام الصبِّ

الغيثُ يغلط حين ينسخ جوده

ولذاك يظفرُ في البلاد بمُجدب

والليث ود تشبهاً بيمينه

لو كان من قصبٍ أُمِدَّ لمخلَبِ

فيرونه عن غايتك مقصراً

في سيره المتصعِّدِ المتصوِّبِ

يا صاح:سيفٌ أنت راقٍ صقاله

ولقد بسطتُ إليك كفَّ مُجرِّبِ

(1) الخريدة فارس 148/3.

(2) الديوان 204/1–205.وينظر: الخريدة – فارس 150/3–151.

أعزيزَ دين الله دعوةَ آملٍ

بذراك قَوْدَ مرامه المُستَصْعَبِ

كما وصفوا الخيل ،ولكنهم قلما وصفوها لذاتها ،وكثيرًا ما وصفوها مطالع للمديح، أو ضمن أوصاف الجيوش ،أو وصف الحرب، قال الأرّجاني(1):

تنهبُ الأرض أربعٌ

للنار من أطرافِهنّ انقداحْ

ومن تُرى يَسخُو بأمثاله

حتى أراه وهو فوق اقتراحْ

إلا الأميرُ الماجد المُرتجى

نوالُه والواهب المُستَماحْ

وله في صفه أنواع الخيل وتشبيهها(2):

كم مِيلَ منه إليّ كُلُّ مُطَهّمٍ

نَهدٍ كقصر أعتليه مَشِيدِ

من أشقرٍ يبدو كخدٍّ خريدةٍ

خَجِلَتْ فما زادت سوى توريدِ

أو من كُمَيتٍ كالكُميتِ مشاركٍ

في كونه لِسَمِيِّه القنديدِ

أو أدهم كالليل إلا غُرّةٌ

كالصبح شَقَّتْ جُنْحَهُ بعمود

أو أشهبٍ كالصبح إلا نظرًا

كالليل يَشبهها بلا تبعيدِ

أو أصفر في اللون دينارٌ وفي

تقويمه مائه بلا تعديدِ

---

(1) الديوان 292/1.وينظر: الخريدة – فارس 218/3.

(2) نفسه 398/3–399، نفسه 235/3–236.

والطغرائي أيضًا يصف الخيل بعناية في الأسلوب والمعنى ،وقد استغلها في الفخر والاعتزاز في الرِّهان ،أو الحرب[1]:

والجُردُ مُثقلةُ الرقابِ يؤودُها

حملُ النُّضارِ بكدِّها ويَزينُ

سبقت حوافرها النواظر فاستوى

سبقٌ إلى غاياتها وشفون[2]

لولا ترامي الغايتين لأقسَمَ الـ

ـراؤون أنّ حراكَها تَسكينُ

قد كاد تُشبهها البروق لو أنها

لم تعتقِلْها أعينٌ وظنونُ

من كل جيّاش العنان إذا جرى

يومَ الرِّهانِ فسبقُه مَضمونُ

ولهم لون جميل من الوصف هو الوصف الحربي، فصوّروا ساحات الوغى ،وما يجري فيها من صولٍ وجولٍ،وكل ما يتعلق بالحرب ،وفي ذلك يقول الطغرائي واصفًا الرايات والبنود وحركة الجنود[3]:

وخفّاقةٍ طوع الرياحِ كأنها

كواسِرُ دُجنٍ إلتقتها الأهاضيب

تميدُ بها نشوى القدود كأنها

قدود العذارى يزدهيهن تطريب

بها هِزّةٌ بين ارتياحٍ ورهبةٍ

فللنصر مُرتاحٌ وللهول مَرعوبُ

---

(1) الديوان ص 382.وينظر: الخريدة – أصفهان 77//1.

(2) شفون: الغيور ؛ الذي لا يفتر طرفه عن النظر من شدة الغيرة والحذر.

(3) الديوان ص 94.وينظر:الخريدة – أصفهان 81/1.

لها العذباتُ الحمرُ تهفو كأنها

ضِرامٌ بمُسْتَنِّ العواصف مشبوب

إذا نشرت في الروع لاحت صحائفٌ

عليهن عنوانٌ من النصر مكتوبُ

طوالعُ طرفِ الجوِّ منهن خاسئٌ

حسيرٌ وقلبُ الأرض منهن مَرعوبُ

والطغرائي بوصفه هذا يحذر الأعداء من بطش قومه ،وقوة عزيمتهم التي لا تُقهر ،ولا تُهان ،ولا سيما حين يصف الجيش الجرار الذي يُلحق بالأعداء خسائر جسيمة[1]:

وأرعنُ بحرٍ لو جرى البحر فوقه

لما نضخَ الغبراءَ من مائه كوبُ

خِضَمّ له بالأبطحين تدافُعٌ

كما انهارت الكُثبان وارتَجّتِ اللّوبُ[2]

له حَبَبٌ من بِيضِه وحبيكه

سوابغه والمُرهفاتُ القراضيبُ[3]

ففي صهواتِ البيض في كل عَلوةٍ

له منهجٌ مثل المَجرَّةِ ملحوبُ

إذا ما دجا ليل العجاجة لم يزل

بأيديهم جمرٌ إلى الهند منسوبُ

من القادحات النار في لجّ غمرةٍ

ولا الجمرُ مشبوبٌ ولا الماءُ مشروبُ ـــــ

(1) الديوان ص93.وينظر: الخريدة – أصفهان 80/1.

(2) اللّوب: الإبل العِطاش ،تطوف حول الحوض لكثرة الزحام .

(3) القراضيب: السيوف الحادة التي تقطع العظام.

ضوامِنُ تشقى الغمود بحدِّها

إذا سلمت منها الطُّلى والعراقيبُ

على عارفاتٍ للطِّعان كأنها

دُمًى ورواق النقع منها محاريبُ

تُبادرُ قَدْرَ الرّعن وهي جوافلٌ

وتُفجَأُ كَدْرَ الوكن وهي أساريبُ[1]

وإذا حان يوم الحرب فهو كما وصفه الأبيوردي من قصيدة في المدح، ووصف يوم الحرب قائلاً[2]:

ويوم تراءى شمسه من عجاجه

تطلُّع أسرار الهوى من ضمائرِ

وتختفق الراياتُ فيه كأنما

هفت بحواشيها قوادِم طائرِ

تبسَّمَ حتى انجابَ جلبابُ نَقْعِه

بمرموقةٍ تطوي رداء الدياجرِ

وفتيانُ صدق يصدرون عن الوغى

وأيدي المنايا دامياتُ الأظافرِ

وقوله[3]:

ولهم وقائع في العدا مذكورة

تروي الذئابُ حديثَها والأنسرُ[4]

والسُّمرُ في اللباب راعفةٌ دمًا
والبيضُ يَخضِبُها النّجيعُ الأحمرُ

---

(1) أساريب: جماعات من الوحش والطير وغيره وواحدها: سرب.
(2) الديوان 1/468-475.وينظر: الخريدة – خراسان2/283.
(3) الديوان 1/468-475.وينظر: الخريدة – خراسان 2/282.
(4) سبقه إلى هذا المعنى النابغة الذبياني: ←———
والقِرن يركبُ ردعه ثَمِلَ الخُطا
والأعوجِيَّةُ بالجماجمِ تَعثُرُ
ودجا النهارُ من العجاج وأشرقتْ
فيه الصوارمُ وهو ليلٌ مُقمِرُ

ولعل وصفهم للجيوش والمعارك والبطولات قد يُشابه وصف (الملاحم) في العصور القديمة ،فضلاً عن أنهم تفننوا في معانيهم الملحمية، مع أن الأدب العربي لم يعرف الملاحم التي عرفت عند اليونان(فلم نسمع لهم بشعر الملاحم ولا بالشعر يصاغ مسرحيات على نحو ما يفعل اليونان مثلاً)[1] ،ولكن حقاً أن الحروب التي خاضها المسلمون من أجل نصرة الدين ورفعته هي بالفعل ملاحم بطولية ،فلا نستغرب إذا رأينا شعراء هذا العصر يكثرون من وصف الجيوش،والمعارك التي شاهدوها لا بل وشاركوا فيها أيضًا،فها هو ذا الأرّجاني يصف الجيش بقوله[2]:

من حيث زارت سودُ أعلامٍ له
دارت ببيضٍ في الكريهة حُشّدِ
كالعين كيف رمت بطرف إنما
يعتادُ أبيضُها أتباع الأسودِ
مُجرٍ يسدُّ نقابُه وَجهَ الضحى
إنْ جرّ فاضلَ ذيلِه في الفدفد
تبدي شعارَ الحق فيه سيوفهم
من كلّ أبيض بالقرابِ مُسَوّدِ

← إذا ما غزا بالجيش أبصرت فوقهم

عصائب طير تهتدي بعصائبِ (الديوان ص 57).

وأبو نواس: تتأيا الطير غدوته ثقةٌ بالشبع من جرزه (الديوان ص 407).

(1) النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري : هند حسين طه ص 341.

(2) الديوان 1/340– 352.وينظر:الخريدة– فارس 3/228.

ولو استطاعت بِيضُه لتَسربلت

بدم العدا من قبل خلع الأغمد

والشمس فرطُ سناه أرمد عينها

فكحلْنَها أيدي الجياد بأثمد

غُرٌّ فوارسُها وأوجُهُها معًا

من كل مُنجرد وطرفٍ أجرد

سهر العدى من خوفهم فتجشموا

بصبيح أعينهم برشقٍ مرقد

فكان أسهمهم طوائف من كرى

غشيت مع الإصباح كل مُسدّدِ

ثمة أمور أخرى في الوصف منها وصف الشمعة ،فهي من أكثر الأمور التي نعتها الشعراء ،وعدُّوها المؤنسة والمسلية ،قال الطغرائي يصفها[1]:

ومُساعدٍ لي بالبكاء مُساهرٍ

بالليل يُؤنسُني بطيبِ لقائِه

هامي المدامعِ أو يُصابُ بعينه

حامي الأضالِعِ أو يموتُ بدائِهِ

تشفي على تَلَفٍ فيُضْرَبُ عنقه

فيكون أقوى مُوجِبٍ بشفائهِ

يحيى بما يفني به من جسمه

فحياته مَرهونَةٌ بفَنائِهِ

ساويته في لونه ونُحولِه

وفَضَلتُه في بؤسهِ وشَقائِهِ

هب أنّه مِثلي بحُرقَةِ قَلبِه

وسُهادِه طولَ الدجى وبكائِهِ ــــ

(1) الديوان ص 42.وينظر: الخريدة – أصفهان 115/1.

فالشمعة تشاركه آلامَه وأحزانه ،فكأنهما وجهان والعملة واحدة ،ولكنهما يختلفان من حيث إنّ الشمعة تُضاء أثناء الليل ،فيكون وقت حزنها في الليل دون النهار وأما الطغرائي فهو حزين في ليله ونهاره، وهذا يفسر قوله (وفضلته في بؤسه وشقائه).

واستغل الشعراء وصفها في باب الأحاجي والألغاز،ولمَ لا؟ وهي سفيرة النور في الليل البهيم ،وكاشفة الظلمة ،ورفيقة المرء في نصف حياته، إلا أن المعاني كلها انصبت على احتراقها وانسكاب دموعها، من ذلك قول الأديب يعقوب بن أحمد النيسابوري[1]:

أحاجيكَ ما صفراءُ فوق سريرها

على رأسها تاج الإمارة يَلتَهِبْ ؟

لها دلٌّ معشوقٍ، لها ذُلُّ عاشقٍ

لها ضحكُ مسرورٍ، لها دمعُ مكتئبْ

ونفوس الشعراء رقيقة ،فنراها تعطف على لون الشمعة الأصفر ،وعلى دموعها المنسابة.ونجدهم يصفون أمورًا أخرى ،كوصف الطعام ،ولا سيما (الدُّجج المشوية، والسكر على الأرز ،والفالوذج) مثل قول الطغرائي[2]:

فمصلوبةٌ سُمِّرت كفُّها

إلى جيدها وهي لم تَشعُرِ

ومثقوبة البطن في جَوفِها

كُراتٌ من الذهب الأحمرِ

كأن تماثيل كافوره

تَضَمَّخَ بالمسكِ والعنبرِ [3]

---

(1) الخريدة خراسان وهراة 84/2.

(2) الديوان ص 178-180.وينظر: الخريدة – أصفهان 117/1.

(3) الأرز: عنصر رئيسي في الغذاء،وهم يعدونه بطرق شتى، فيضيفون له الدجاج واللوز والفستق ،ويطلقون اسم (البلاو) على الأرز المعد بتلك الطريقة. (إيران ص38) .

لجينٌ إذا قشّرَتْه الأكفُّ

وتبرٌ إذا هي لم تُقشّرِ

وقدّم طبّاخُنا وزّةً

عليها لثامٌ من السُّكّرِ

كما احتجب البدرُ تحت الغمام

فلم تتجلّ ولم تُسترِ

ترى لِلدِّهان على وجهها

عيونًا تدورُ بلا محجَرِ

وله في وصف القطائف[1]:

وسِربًا نواعمَ مخلوقةً

من اللَّوزِ والسّكّرِ (العسكري)

قريبان في مئزرٍ واحدٍ

فلله ما ضمّ في مئزرِ

تراها لرقة أبشارِها

تُخَبِّرُ عن حشوِها المُضمَرِ

شَرِبْنَ من الدُّهنِ حتى روين

وغُرِّقنَ في لجّه الأخضرِ

كأن كواعِب قد أُبرِزَتْ

من الخُلدِ تسبَحُ في الكوثَرِ

تذوبُ إذا رفعتها الأكفُّ

قبل الوصول إلى الحَنجَرِ

وأيضاً قول حميد الدين البلخي[2] يصف السِّكباج[3]: ــــ

(1)الديوان ص 179–180.وينظر:الخريدة – أصفهان 118/1.

(2)الخريدة – خراسان وهراة 114/2.

(3) السِّكباج: فارسية معربة: مرق من اللحم والخل(العقد الفريد 337/6).

وسكباجةٍ تشفي السِّقام بطعمِها
على أنها جاءت بلون سقيمِ
إذا زارها أيدي الضيوفِ تَراجعَتْ
كأيدي يسارٍ في طلال النَّعيم

كما وصفوا المدن نظرًا إلى كثرة تجوال الأدباء بينها؛ بحثًا عن الممدوحين، أو عن الوظائف ، أو حبًّا في السياحة ؛فإن الشعراء وصفوها متأثرين بنوعية انطباع صورة المدينة في نفس الشاعر التي يحلُّ فيها،والدوافع المؤدية إلى هذا الانطباع، ومن ذلك قول الأبيوردي وهو يصف بغداد[1]:

بغداد أيتها المطي فواصلي
عنَقًا تئِنُّ له القِلاصُ الضُّمّرُ
إني وحقِّ المستجِنِّ بطيبةٍ
كَلِفٌ بها وإلى ذُارها أضْورُ
أرضٌ تجرُّ بها الخلافةُ ذيلَها
وبها الجباه من الملوكِ تُعَفَّرُ
فكأنها جُلِبَتْ علينا جنةٌ
وكأن دجلة فاض فيها الكوثر

وكان للحيوان . الأليف منه والمتوحش . نصيب في شعرهم،وأغرب ما وصل إلينا قول أحمشاذ بن عبد السلام يصف بغلة أهداها له الممدوح ،فهي قوية ،غريبة الشكل ،وسريعة ومخيفة[2]:

نهضتُ أمسح جفني إذ تكشفَ لي

دهماءُ في السرج والإلجام لم تَحلِ[3]

---

(1) القصيدة في الديوان 1/339-347.وينظر: الخريدة – خراسان 2/280-283.ومعجم الأدباء17/250-257.

(2) الخريدة – خراسان وهراة 2/139.

(3) الدهماء: الدهمة: السواد، يقال بعير أدهم وناقة دهماء.

كأنها النارُ في الحلفاء إن ركضت

كأنها السَّيلُ إن وافتك من جبل

كأنها الأرضُ إن قامت لمُعْتَلِفٍ

كأنها الريحُ إن مَرّت على القُلَلِ

وهذا الأرجاني يصف الفهد[1]:

من النُّمرِ خِيطَ على جسمه

أديمٌ تعيّنَ لا من حلَمْ[2]

به عَلِقت شَرَرٌ لوَّحَتْ

ـه من نار خدٍّ له تضطرم

ففي كل عضو له أعينٌ

تُراصِدُ إن هو بالصيدِ هَمْ

وله من قصيدة أخرى يصف فيلاً ضخمًا، يعلوه صاحبه (الفيّال) ،وكأنه قد اعتلى قصرًا، فيقول[3]:

والفيلُ في ذَيْلِ السماطِ له

زجلٌ يُهالُ له الفتى ذُعرا

أذنانِ كالتُّرسَين تحتهما

نابانِ كالرُّمحَين إن كرَّا

---

(1) الديوان 1265/3.وينظر: الخريدة – فارس 342/3–343.

(2) حَلَم: جمع حَلَمة، القرادة الكبيرة ،تقع في الأديم فتفسده.

(3) ديوانه 622/2–637،وقالها يصف معكسر السلطان. وينظر:الخريدة – فارس 262/3.

يعلو له فَيّاله قصرًا

فيظلّ مثل من اعتلى قصرا

فكأنما خرطومه مثلاً

راووقُ خُرطومٍ إذا فَترا

وله يصف الصقور[1]:

بِزُرقٍ جوارحُ تشكو الظَّما

وزرقٍ جوارح تشكو القرم

ولوصف الشيب نصيب كبير في الشعر،فهو قديم قدم الشعراء ، ولكنه لم يكن كثير العرض كما كان يُؤتَى به عرضًا، إذا ما احتاج المقام إلى مثل هذا المقال، وككل غرض شعري ازداد اهتمامهم للتقليد، وبكثرة عدد الشعراء ،ومن ميزة أدباء هذا العصر تمسكهم بالموضوع القديم، وتقليدهم إياه وتفننهم بهذا التقليد..وإن كانت تعوزهم المقدرة التي كانت طبيعية لدى سابقيهم[2].

فالبعض استخدمه موضوعًا لذاته حينا ، كما استغلوه مطالع لإغراض أخرى، كالمديح ،أو الهجاء ،أو الرثاء ،ولكن استخدامهم إياه في المطالع المدحية أقل من الرثاء من ذلك قول الطغرائي يمدح مؤيد الملك بن نظام الملك[3]:

لك الله هل عهد الشبيبة يرجع

وهل بعده في خِلّةِ البيض مطمَعُ

فقد راعني أن المشيب مسلم

كما رابني أنّ الشباب مودع

تجلّى شبابًا كنت أخبط ليله

سنا قمر من جانب الغور يطلع

وأقني جميم الشَّعر بعد التفافه

قطيعان عاثا فيه حَون ونُصّعُ

---

(1) الديوان 1265/3. (2) ينظر :حول الأدب في العصر السلجوقي ص 166–167

(3) الديوان ص218. الديوان ص 234.

وكذلك أوردوه في ثنايا الغزل ،كمثل قول أبي الرجا حامد بن محمد(1):

تولّى الجهل وانقطع العتابُ

ولاح الشيب وافتضح الخضابُ

لقد أبغضت نفسي في مشيبي

فكيف تحبني الخود الكعاب

فبغضه للشيب جعله يبغض نفسه أيضاً ؛لأنه سبب في ابتعاد وإعراض الجميلات عنه.

ولعل الشيب عند شعراء عصر السلاجقة نذير الموت غالباً وأحياناً هو لمسامرة الغواني واستعادة الذكريات الجملية فقد أكثروا منه في الحديث عن دنو الأجل وبذا خاطبه المهذب أبو الفضل بن كاهوية التميمي قائلاً(2):

تبدل شيبًا عارضي من شبابه

وعارضني في العمر وهو لما به

ولستُ عليه داعيًا بترحُلٍ

مخافة تقديمي له في ذهابه

وكيف يلذ العيش من كان دائمًا

يقاسي عدوًّا ظاهرًا في إهابه

فعيشه منغص بما يقاسيه من عدوه (الشيب) الذي عارضه في شبابه، فلا يستطيع الشاعر فعلَ شيء سوى البكاء، أو الرثاء لحاله ، كقول الأديب أحمد بن حامد الثقفي[3]:

لشيب رأسي بكت عيني ولا عجبٌ

يجري العيون سقوط الدمع في القُلَل

فعدّوه (خَطبًا فظيعًا)، أو نذير سوءٍ يدعو إلى التشاؤم ،كقول أبي بكر محمد بن

---

(1)الخريدة – أصفهان 60/1 (2) الخريدة – أصفهان 137/1.

(3) نفسه 160/1.

محمود[1]:

خطبٌ فظيعٌ وحادثٌ عجب

وخطٌّ بدا في العذار ينشعِبُ

أعجب بدهياء عند صولتها

ينتف هذا وذاك يختضب

وقول امرئ القيس الرويدشتي[2]:

أهون بخطب الشيب لو أنه

يُكتَم بالوسمةِ والبُرقُعِ

ولم يشب مر السنين الفتى

مثل هوًى في القلب مستودعِ

ومهما خضّب المرء فأمره مفتضح ،لِنَرَ منصور بن محمد العاصمي الذي شبه الشيب بالجاسوس الذي يخبر الغواني؛بأن صاحبه قد شاب وكبر ،فأمره مفضوح لا محال[3]:

لقد تكلفت الخضاب فلم أر التـ

دليس ينفعني ولا التلبيسا

فكأن عينا للغواني لم يزل

بالسِّرِّ يُخبرهن أو جاسوسا

فلا رادع للشيب إذا ما غزا الشعر فهو علة لا دواء يحد منها ولا أي وسيلة تمنعها حتى لو كانت معجزة على حد قول حميد الدين البلخي[4]:

وعلة الشيب إذا ما اعترت

أعيت ولو كان المدواي المسيح

---

(1) نفسه 163/1.

(2) الخريدة – أصفهان 183/1.

(3) نفسه – خراسان 39/2.

(4) الخريدة – خراسان 113/2.

ولابدَّ أن يشكو الشعراء منه ،ويبغضوه ،ولا سيما أنه السبب في نفار الغواني منهم وإعراضهن عنهم ،كقول الأبيوردي[1]:

وغيدٍ أنكرت شمطَى فظلت

تُغمضُ دونه طرفًا مريضا

وحشيمتها التزاور عن مشيب

يرُدُّ حبيبَ غانيةٍ بغيضا

فما ارتاعت من الحيات سودًا

كما ارتاعت من الشعرات بيضا

فالحياة تغدو مظلمة حزينة ويائسة ، كقول أبي الكفاءة الكرماني[2]:

خبَتْ نارُ نفسي بأشتعال مهارقي

وأظلم عيشي مذ أضاء شهابُها[3]

وهذا الحزن والتشاؤم جعله يشبه الشيب الأبيض (بالبومة البيضاء) التي حلت مكان الشعر الأسود ،ومنهم من شبهه (بالغراب الأسود) قائلاً[4]:

فيا بومةً قد عششتْ فوق هامتي

على الرغم مني حيث طار غرابُها

وهاهوذا الشريف محمد بن العباس الطبري يبين لنا كم مستاء ومتشائم من مصاحبة الشيب له قائلاً[5]:

فؤادي اسودّ لما ابيَضّ فودي

فهمتُ تحسُّرًا في ألف واد

سواد الشعر مني ليت شعري

أمن فودي بعذّالي عوادِ

---

(1) الديوان 38/2.وينظر: الخريدة – خراسان 301/2.

(2) الخريدة فارس 58/3.

(3) خبت النار: أي: أُطفِئت .

(4) الخريدة– فارس 58/3.

(5) نفسه – فارس 132/3.

فأيام الشباب واللهو والصبا تمضي، وهموم الشاعر تتزايد ويصاب بحالة أشبه بالقنوط واليأس ،إلا إن الأرّجاني يكابر ،ويدعي غير ذلك ،فيقول[1]:

وما أدعي أن الهموم أقتنطنني

ببازٍ بدا من حيث طار غرابُ

ولا أن تاج الشيب أضحت لعقده

متمالك إطرابي وهن خرابُ

فمن قبل هذا الشيب لم يصف مشرب

لعيش وأغصان الشباب رِطابُ

وقلّ غناءٌ عن فؤادٍ معذّبٍ

بأن يتَجَلّى كيف شاء إهابُ

إذا مر في الهمِّ الشبابُ على الفتى

فإن سواد الشعر منه خِضاب

وإن شاب في ظل السرور ففرعُه

نهارٌ ، بياضُ اللَّونِ منه شبابُ

(1) الديوان 1/139–140.وينظر: الخريدة 3/190.

الخمريات:

الخمر معروفة منذ القدم ،أُولِع كثير من الشعراء بمعاقرتها ،والتغني بها ،والدعوة إلى شربها ،أمثال الأعشى ، والأخطل ، وأبي نواس[1]...ولعل للحياة الاجتماعية ، ولا سيما في العصر العباسي وما بعده ،والطبيعة الجميلة ،والمنتزهات ،والحانات والديارات ،إلى جانب الحرية أثرًا كبيرًا في الإقبال عليها ، والاسئناس بذكر صفاتها، ونعوتها ،أن وصف الخمر قد صار غرضًا تقليديًا من أغراض الشعر العربي ،مثل المديح والهجاء والرثاء ؛ولذلك لا بد من أن يقول الشاعر فيه شيئًا ؛كي يثبت شاعريته في ميدان كثُر فرسانُه. وظاهرة التقليد هذه هي السبب في تلك النتف ،والمقطوعات الخمرية المنتشرة في تراجم طائفة من شعراء القرن السادس للهجرة في خريدة العماد الأصفهاني[2] .وشعر الخمرة قليل في شعرهم الذي وجدناه ،هذا على

الرغم من وجود البساتين والكروم الكثيرة في بلاد العجم ،ومن ذلك رسالة بعثها الطغرائي إلى صديقه عزيز الدين بن حامد المستوفي ،يدعوه لمجلس شراب توافر له فيه كل ما يحب من ندمان ومغنين[3].

فديتك قد تنبّهنا لدهر
عيون صروفة عنّا نيام[4]
وجاد لنا الزمان بجمع شملٍ
تألّفَ بعد ما انقطع النظامُ

---

(1) ينظر :ديوان الأعشى (باب الخاء).وشعر الأخطل ،الخمرة(338–339).وأبا نواس،الخمر (ص 69–231).

(2) ينظر: الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص 225.والأدب العربي في العصر الوسيط ص 77.

(3) ديوانه ص 354–355 الخريدة 126/1–127.

(4) ديوانه ص 354 –355.وينظر: الخريدة 126/1–127.

مُدام يشبهُ التُّفاح ذوبًا
وتفاح كما حمد المُدام
ومن نسج الزمان محبرات
تأنق في حواشيها الغمام
وأصوات المثالث والمثاني
كما سجعتْ على الأيكِ الحمامُ
وريان الصبا للحسن فيه
بدائع لا يحيط بها الكلام
له من فتل صدغيه نجاد
ومن ألحاظ عينيه حسامُ

ولا تعتَلَّ بالأشغال واحضر

على عجل وإلا فالسلام

وفي الكثير من الشعر الخمري نلمس تقاليد أبي نواس ومعانيه[1] ،وبفخر أصحابه بالخروج عن قواعد العقل والرصانة ،ولا يرون بأسًا من الخروج حتى عن دواعي الخلق والدين[2] كقول الطغرائي[3]:

جعلنا اللّهى والنّهى مهرها

فلم نحظ منها بغير الحرام

ودعني ورأيي فإن الخطوب

ورائي ، وما أتقيه أمامي

وخذ صفو دنياك ما أسعفت

فإنك فيها قليل المقام

فهم شربوها مع الصحب ، وتناشدوا عليها الشعر وقبّلوا حُبابَها ،ونادوا الغلام أن يديرها على

---

(1) تنظر: أشعار الخمرة في ديوان أبي نواس ص 69-231. (2) ينظر:الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 134/2. (3) الديوان ص 359.والخريدة أصفهان 126/1.

الحضور شريطة أن تكون صافية فوراة ،منعشة ،بكأس جميل؛ ليزيلوا همومهم ، ويُنعشوا أرواحهم ،كقول الأبيوردي[1]:

بأبي ريم تبلج لي

عن رضى في طيه غضب

وأراني صبح وجنته

بظلام الصدغ ينتَقِبُ

وسعى بالكأس مُترعةً

كضِرام النار تلتهبُ

فهي شمسٌ بيدَي قمَرٍ

وكلا عِقدَيهما الشُّهبُ

ولها من ذاتها طربٌ

فلهذا يَرقص الحببُ

وقول أبي الفضل المُظفر[2]:

يذمّون شرب الخمر والله عالمٌ

بأنهم من حاسدِي شارب الخمر

فهات التي تجلي بها غمة الأسى

وهات التي يُشفَى بها علّة الصدرِ

وهم يرون أنّها لا تزيل الأسقام تماماً إلا إذا كان شاربُها مرتويًا من كف ساق، فإن الخمرة لا تعذب في ساعات الوحدة ، ولا تطيب إلا مع الندمان ، فهم الذين يسلون ،ويسقون ،ويشربون ،ويشاركون في ساعات الأنس، من ذلك قول صدر الدين عبد اللطيف[3] :

---

(1) الديوان 121/2.وينظر:الخريدة – خراسان 237/2.وحول الأدب العربي في العصر السلجوقي ص 221.

(2) الخريدة – أصفهان 156/1.

(3) الخريدة 247/1.وينظر: الأدب في العصر السلجوقي ص 223

تركتُ صوبَ الصوابِ يا ساقي

فهات جام الشراب يا ساقي

راحًا حكى فوق جامه ملكًا

متوّجًا بالحباب يا ساقي

وغطِّني منه في العقاب وقد

نزعت ثوب الثواب ياساقي

ردفتُ شعري به أُكرِّره

أُطفِئُ نارَ الهوى بياساقي

وقال العماد الأصفهاني[1]:

(ولما نظم هذه القطعة نظم كل واحد من أبناء الفضل على هذا الشكل)،فقال أخوه عبيد الله كمال الإسلام:

صِل غَدوتي بالرّاح يا ساقي

وأدفع همومي بالراح يا ساقي

يقرح قلبي لهيب جِدّتِها

فامزج بماء القراح يا ساقي

حيث يتحلقون جميعاً في حضن الطبيعة الضاحكه ،وكلهم يصخب وينادي ويستدعي(2):

هات صُراحيّةً على عجلٍ

مثلَ هواي الصّراح يا ساقي

في شَرَكِ الغيب طائري عَلِقٌ

قَصّ جناح الجناح يا ساقي

وقال الأفضل أحمد بن عمر القاشاني(3):

(1) الخريدة 247/1.   (2) الخريدة – أصفهان 247/1.

(3) موفق الملك أبو الغنائم أحمد بن الأفضل بن عمر القاشاني الرئيس كان من أكابر الرؤساء بقاشان في أيام ملكشاه بن ألب أرسلان ،ينظر: الخريدة269/1.وتلخيص مجمع الآداب586/5

أصبحتُ شبه الغريق يا ساقي

فهات جام الرحيق يا ساقي

واعطفْ علّيَنا وَرَوِّ علتنا

بمثل ماء العقيق يا ساقي

لا أتّقي اللّومَ والعتاب ولا

أقبل قول الشقيق يا ساقي

حاشاي أن أشرب المُدام بل

سلكت نهج الطريق يا ساقي

والخمر كما معروف قد حرمها القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وقال عليه الصلاة والسلامّ: (كل مُسكرٍ خمرٌ وكل خمر حرامٌ، فمن شرب الخمر في الدنيا حرم عليه خمر الآخرة في الجنة)[1]، ولذلك دعا بعض الشعراء إلى ترك الخمر ،والابتعاد عنها ؛ لأنها متلفة للمال ، ومفسدة للدين ،ومسيئة لسمعةِ الإنسان على حد قول بديع الترك[2]:

إياك والخمر إن الخمر مُتلفةٌ

للمال ، مفسدة للدين والحسب

ولا تقامر فإنّ القمر يُتلف ما

جمعت من فضة دثرٍ ومن ذهب

أنت النجيب فكن في الخيرمقتديا

بسيرة الترك من آبائك النجب

(ومما في الخمر من المقابح التي يعتد بها من لا يفهم من المدائح أنها تنفي

---

(1) سورة المائدة الآية 90.

(2) صحيح البخاري ص 1020.وينظر:العقد الفريد 359/6. و(احذروا جنهم) عبد الهادي المهاجر ص 25. (3) الخريدة – خراسان وهراة 164/2.

الأحزان، وتشجع الجبان ،وتسهل على البخلاء الدخول في جملة الأسخياء، ولو لم يكن في الخمر عيب غير هذا لكفى؛ لأنّ الذي توجبه الخمر من هذا الفعل إنما هو بزوال التميز ،ونقصان العقل ،فإن جاء في تلك العمرات فعل يشبه أفعال السادات لم يكن فاعله محموداً ،ولا كان ذلك الفعل إليه منسوبًا ؛لأنه يندم عليه ،ويعتذر منه بأن عقله لو كان حاضرًا لنهاة عنه ، وإن جاء في تلك الحال ما يخرج عن حدِّ الاعتدال ،وكان ذلك مما يتعذر تلافيه ،ويصعب طريق العذر فيه ،كما أنها تشجع الجبناء، وتُسمِّحُ البخلاء ، فإنها تسفه الحلماء ،وتسخف العقلاء)[1] وقد أحسن الرشيد وطواط حيث يقول[2]:

عصيت الخمر لما صح علمي

بأن الخمر آفة كل طاعة

ولم تر مقلتي في الخمر خيرًا

سوى أن تجمع الأحباب ساعة

فآفات الخمر وجناياتها كثيرة ؛لأنها أم الكائر، وأول آفاتها أنها تذْهبُ العقل، وأفضل ما في الإنسان عقله ،وتحسن القبيح وتقبح الحسن(3).

وشعر الخمر هذا . وإن كان قليلاً . ،إلا أنه يكشف لنا الجوانب اللاهية من حياة الشعراء، وما ينالونه من لهو في مجالس الشرب ،وربما يثصور لنا صورة عكسية لهؤلاء الشاربين ،حيث يلجأون إليه هربًا من مشكلات الحياةاو ربما يكون سببا اخر هو السلوك غير القويم الذي يتصف به بعض الشعراء.

---

(1) الزهرة النصف الثاني /253.

(2) الخريدة – خراسان 207/2 .وينظر: معجم ألقاب الشعراء ص259.

(3) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب 83/4.

الأخوانيات:

لونٌ من النظم ،يمكن أن يُطلق عليه شعر المودّة والصداقة الذي يديم تواصل الأحباب والأصحاب، وكثيراً ما يقوم مقام الرسائل النثرية التي تكتب في مناسبات كثيرة ؛إذ نجد فيه التهنئة ،أو العتاب ،أو الاعتذار ،أو طلب الحاجة،أو إنجاز وعد، أو دعوة إلى مسامرة، وأحيانًا يكون للمُمازحة والدعابة والملاطفة والمفاكهة الذهنية(1)

.

وقد عرف كثير من الشعراء بالأكثار من نظمه والتفنن في صياغة ،منهم محمود بن مسعود القسّام ،وكانت له صحبة ومجالسة ومذاكرة في القريض مع الكثيرين من أدباء عصره ،ومن مساجلاته الأخوانية ،وقد كتب إلى الإمام فخر الدين أبي المعالي الوركاني قائلاً(2):

ماذا يقول إمام الناس قاطبة

في عاشق لثم المعشوق هل أثما

متيم في هواه قد أناف به

على الردى الحب والمعشوق قد سلما

قد عف في حبه عن كل معصية

وكف معتصمًا عن كل ما حُرِما

هل يحنثان بلثم يعبثان به

لِيُطفأ لَهَبًا في القلب مُضطرماً

ولا يخفى على الباحث تبيّن الحسن في التعابير التي صاغها في قالب البسيط ، فاستفتاه في مسألة ،فأفتاه أبو المعالي ،وأجابه بأبيات ستة ،مُصاغةٍ بإجادة في الوزن ،والقافية(3) :

شريعةُ العشق تأبى إثم من لثما

معشوقه ،وتريه ذاك مغتنما

---

(1) ينظر : الأدب العربي في العصر الوسيط ص 91.

(2) الخريدة – أصفهان 266/1.   (3) الخريدة أصفهان 266/1–267.

والصب سمى صبا من بليته

وصب من حرقة الشوق منه دما

ومن تعاطى حرامًا في هواة أتى

بالفسق لا العشق لكن صحّف الكَلِما

وما أخال لهيبَ الوجد يُطفئه

وبلَّ إذا التّقبيل عفّ نَما

هذا جواب الذي استقيت منه فخذ

فقد أتاك كمثل الدُّرِّ مُنتَظما

مِن أنصح الناس في الدنيا وأعلمهم

أبي المعالي وأعلى علمهم عِلما

ولعل بعض الشعراء انطلقوا في الشعر الأخواني من دائرتهم الشخصية ،ومنفعتهم الذاتية ،فغدا شعرهم نوعًا ما لا يستوقف القارئ ،ولا يُثير انتباهه ،فما جدوى ما قاله . مثلاً . القاضي الهروي[1]:

وجارية مثل ضوء السِّماك

وللبدر والشمس فيها اشتراك

وقعتُ عليها وقوع الحمار

وفيّ حمارِيّة عند ذاك[2]

فأجابه الأمير أبو سعد العاصمي قائلاً:

أيحيى بن صاعدٍ هلاّ نهاك

عن الفحش قولاً وفعلاً نُهاك[3]

نعم ، إنّ فيك حماريّة

لدى كل شيءٍ ، فدع ذكرَ ذاك

---

(1) الخريدة – خراسان وهراة 15/2.

(2) الحمارية: جنس الحمار.

(3) نهاك : زجك ومنعك .ونُهاك: عقلك.

ولكنه في قطعة أخرى نراه يُحسن ،ويُبدع حين يعاتب الأمير أبا سعدٍ العاصمي الذي انشغل عنه ولم يرَهُ لمدة ، فيقول:

وأخٍ كُنا نـراه

ويرانا ، ويؤانِس

كنس الدهرُ هوانا

عن حشاه بمكانِسْ

لم يكن من جنس أهل الـ

دَّهرِ والآن يُجانِسْ

فأجابه العاصمي معتذراً(1):

تاج دين الله عفوًا

إن وُدِّي غير دارِسْ

كيف يمحو الدهرُ عن قلـ

بي الهوى واللهُ حارسْ

أم متى جانستُ دهرًا

رجله نشّا الفوارس

صدّني عنك الذي من

صرف أيامي أُمارس

والهوى في القلب مغرو

سٌ له أزكى المغارسْ

فهو باقٍ على حبِّه وإخلاصه ، ووفائه على الرغم من حوادث الدهر ،وذلك بألفاظ منتقاة، ومعانٍ لطيفة جدًّا ،حتى أعجب بها قاضي القضاة يحيى بن صاعد الهروي انذاك ، فقال حين عرضت عليه:

لقد أربيتَ حين أجبتَ شعري

عليَّ، ولم تزل في الفضل تُربي(2)

---

(1) الخريدة – خراسان 16/2.

(2) أربي في الشيء : زاد عليه.

الحكمة والموعظة:

الحكمة عميقة الجذور فقد عرفها الأدب في الأمثال ،قبل أن ينطقها العرب في الأشعار ،وسُمِعت من أفواه الكهان قبل أن تسرد في شعر الشعراء ، وازداد أفقها اتساعًا على مر العصور، بازياد تجارب الحياة،وتعدد الخبرات التي تمر بالمرء،واتسعت أضواء الحكمة عند شعراء هذا الحقبة لإطلاعهم على ما سبقهم من

حكم بشار، وأبي نواس ،وأبي العتاهية ،والمتنبي ،والمعري ،والخيام ،ومواعظهم ومطالعتهم الثقافات المعاصرة ، والفلسفة بخاصة ، فقد تُرجمت في زمانهم الكتب اليونانية، والحكم الهندية ،ونُشرت ،وذاعت بين محبي الثقافة، والمهتمين بها ،وهذا العمل من النقل والترجمة استغرق أكثر من مئتي سنة ،فتسربت تلك الثقافات إلى كتب الأدب المتداولة ،وقد كان الطغرائي يعكس أشعة من روح أبي الطيب المتنبي،ويمد أحيانًا بنَفَسِه في أنفاسه فيقول(1):

وإذا الفتى عرف الرشاد لنفسه

هانت عليه ملامَةُ الجُهّال

وقوله(2):

ومن تطامن للدنيا غواربه

لم يخل من نصب فيها ومن وصب

وهم إذا ذلوا أنفسهم في طلب المال والمديح فإنهم عفّوا في الحكمة، فحثوا على عدم جمع المال ؛ لأنه يُودي بشرف المرء ،كقول أبي طاهر السلفي(3):

من اغتدى والقليل يقنعه

عاش عزيزًا ما بين رِفْقَتِه

فكن بما قد رُزِقت مقتنعًا

وحُزت رُكن العُلى برمته

---

(1) الديوان ص 311.

(2) الديوان ص 86.

(3) الخريدة – أصفهان 223/1.

وقول أفضل الدين أبي سعيد بن الهيثم السلمي الأصفهاني(1):

لا تيأسنّ من الغِنى أن رحت مسـ

لوب الثرى مُقتّر الأرزاقِ

من عادة الأشجار أن تعرى من الـ

أوراق ثم تعود للإيراقِ

لقد حثوا على عدم مد اليد إلى غير الله تعالى ؛لأن الاستعانة بغير الله ذلة ،نرى ذلك واضحًا في قول ابن الهيثم الأصفهاني[2]:

الرزق للوادع المجد وليس بمحـ
دود غدا جسمه والكد في قرن
يأتي امرءًا رزقه والدار ساكنة
به ويهجر شهمًا دائم الضعن
والأمر لله لا ترغب إلى أحد
سواه تربح لزوم العار والمنن
واقنع بميسور ما جاد الإله به
تسلم من الضر والبأساء والحزن

وحين يضيق الحال بالمؤمن لا يجد ملجأً ومعينًا سوى الله سبحانه وتعالى؛لأنه أرحم الراحمين ،وصاحبُ الفضل على كل عبد كما يقول أبو عبد الرحمن الشحامي[3]:

إلهي ارحم بفضلك كل عبد
له علم بأنك ذو الجلال
كما أنعمت في الدنيا علينا
فتممها بمنِّك بالمآل

(1) الخريدة – أصفهان 232/1.
(2) نفسه 233/1.
(3) الخريدة – خراسان 105/2.

فلا بد أن يأتي الفرج بعد الشدة ، أو ضيق الحال ،كقول الطغرائي[1]:

رويدك فالهموم لها رتاج
وعن كثب يكون لها انفراج

ألم تر أن طول الليل لما

تناهى كان للصبح انبلاجُ

وحكميات الطغرائي سديدة ونافعة،وهي مسبوكة في قالب الموعظة أو النصيحة، ومن ذلك كلمته لأبنائه وهو يعظهم بالتماسك والتآزر(2):

كونوا جميعًا يا بنيَّ إذا اعترى

خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى القداح إذا اجتمعن تكسرًا

وإذا افترقن تكسرت آحادا

وله في كتمان السر(3):

ولا تستودعنّ السر إلا

فؤادَك فهو موضعُه الأمين

إذا حفاظ سرك زيد فيهم

فذاك السر أضيعُ ما يكون

وله في مدح الشكر والصبر(4) :

ألم ترَ أنّ الشكر للصبر توأم

وأنهما ذخران للعسر واليسر

فشكرًا إذا أوتِيتَ فاضلَ نعمةٍ

وصبرًا إذا نابتك نائبة الدهر

فلم أرَ مثل الشكرِ حارسَ نعمةٍ

ولا ناصرًا عند الكريهة كالصبر

---

(1) الديوان ص 107.وينظر: الخريدة – أصفهان 108/1. (2) الديوان 136،الخريدة – أصفهان 108/1.(3) الديوان ص404،الخريدة أصفهان108/1.(4) الديوان ص161–162.

ونجد شعراء يعظون بالتعبد ،وتتسم هذه الموعظة بأنها تأتي من خلف منظار المرء ،وبعد تجربته العملية ،كما عبر عنها حميد الدين البلخي في عبادة الله سبحانه وتعالى ،وتأكيد وحدانية قائلاً(1):

وحكمته ما لها مُدرك

وقدرته ما لها غاية

إذا رمت نصًّا على كونه

(ففي كل شيء له آية[2])

وهذا أبو حفص النسفي يحث على سماع الأحاديث النبوية الشريفة ، وحفظها؛ لأنها كما يقول[3]:

كلِمُ الرسول جوامع الكلم

ولوامع الأحكام والحكمِ

فتطلبوا الأخبار واغتنموا

إن الحديث أجلّ مُغتنَمِ

والدنيا عندهم دار انتقال لا دار استقرار ،والإنسان ينتهي أجله فيها بسرعة، وهذه حقيقة لا مفرّ منها ؛لذلك حث الشعراء .كما فعل الذين سبقوهم . على الكف عن المحارم ،واقتراف الذنوب ، كقول حميد الدين البلخي ، وهو يحذر من اقتراب يوم القيامة ، وأنه آتٍ لا محال[4]:

قد قامت القيامة يا أيها النيام هبوا

عن المنام وكُفّوا عن الحرام

والرمح حين يختلس القِرن في اهتزاز

والليثُ حين يفترس الصيدَ في ابتسام

---

(1) الخريدة خراسان 114/2.

(2) هذا صدر بيت لأبي العتاهية،وعجزه: تدل على أنه واحد. (ديوانه ص 70).

(3) أبو حفص النسفي: الأمام المفسر الفقيه المحدث الصوفي، ترجمته في: الخريدة – خراسان 120/2–121. ومعجم الأدباء 70/16–71. وشذرات الذهب 115/4.

(4) الخريدة – خراسان 112/2.

والشيب قد تبلّج والصبح قد بدا

يا قوم قد نصحتكم اليوم والسلامْ

فهم يخشون ويزهدون بدافع من تدينهم ونشأتهم الدينية ، ولا يشترط في هذه

(الذنوب) أن تكون كبيرة في واقعها، ولكن الذي يضخمها شعور صاحبها، ونقمته على الدنيا ، وخوفه من الله[1] ؛ولذلك يقول الأديب الدوائي[2]:

حتام أصرف نفسي عن مراشدها
وأُتعبُ القلب بين اليأس والأملِ
خزيانَ من زلل،عريان من عمل
سكران من خجل،ملآن من وجل
ما مُدّة العمر إلا مُنتهى نفسٍ
يا قُرب ما بين عيش المرء والأجلِ

إنّهم حاولوا تأدية الصورة الزاهدة مقابل المجون الفاشي، إذ حثوا على ترك الملذات، وحضوا على الاتجاه نحو الآخرة الدائمة[3].

---

(1) ينظر : الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 147/2.
(2) الخريدة 186/1.

3

(3) ينظر : حول الأدب في العصر السلجوقي ص172.

الفصل الثالث

الملامح الفنيّة

الملامح الفنية

تطرق الباحثون والدارسون إلى الدراسة الفنية،فكل أدلى بدلوه ،فمنهم من أوجز، أو أطال ،ومنهم من فصّل ، أو أكثر ، وفي كل ذلك تنوعوا ، واختاروا ،كل واحد منهم حسب رؤيته وقناعته ، وقد آثرنا أن تكون الدارسة في ماهية روح العصر، وما أثر عن شعرائه من الانغماس في فنونه وبدعه ، فالعصر الذي ندرسه عصر صنعة ، فمن الطبيعي أن يكون أغلب شعرائه صُنّاعًا أيضًا،وسوف نحاول التركيز على أهم مميزات فن الشعر حينئذٍ ، وأظهرها ،مستخدمين الخطاب الشعري دليلاً إلى حقيقة مهمة تحدد كون الشاعر (شاهد عصره) ،ينقلنا من خلال ألفاظه وأفكاره لمعايشة مجتمعة وعصره بكل ما يضم من جوانب فكرية وثقافية واجتماعية وسياسية ....

أما الملامح الفنية فتقتصر على المباحث الآتية :

1- اللغة والأسلوب.

2- الوجوه البلاغية.

4- الأوزان والقوافي.

1 . اللغة والأسلوب :

تؤدي اللغة أثرًا في عملية الإدراك الأدبي ،وهي الأساس الفاعل المنتج لنقل الأفكار والمفاهيم وهي وسيلة التواصل والمعرفة واللغة تتحكم في تحديد علاقة الملفوظات ومواقعها حتى يتم أدراكها[1] 0كانت مفرداتهم على الرغم من سهولتها غزيرة (معجمية) وكثيراً ما قادتهم معرفتهم التامة باللغة إلى أستعمال الغريب النادر ونؤيد الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور ناظم رشيد بأنه لا يستطيع دارس لشعر هذه الفترة . مهما بلغ من العلم . أن يستغني عن المعجم أو كتاب من كتب اللغة فاللغة كما رأينا لا تنقصهم غالباً فعدد منهم علماء باللغة وأعلام في النحو والصرف والنقد والبلاغة إلا أن الذي يفتقرون إليه هو عنصر (الشاعرية)[2] الذي يحيى الشعر ويمجده على مر الأزمان والعصور فالمفردات حين تنتظم في صور فنية تتمكن من

تحريك العواطف وبذلك تثبت قدرة الشاعر على التعبير وتنتقل تجربته الشعورية إلى المتلقي ويجعل عواطف المتلقي تميل عاطفياً وتتفاعل معه بعواطف سليمة ويعد الجاحظ من أوائل من لفت الانتباه إلى البحث عن سر الإجادة في النص الأدبي هل هو في أفكار الأديب وما يدعو إليه أم في طريقة تعبيره ومدى أجادته في إبراز المعاني أو الأفكار والصور الكامنة في ضميره ونقلها إلى فكر السامع بقوله: (فإن كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة)[3].
أن الجاحظ هنا التفت إلى نفسية المستمع الذي يجب أن يكون مؤهلاً لفهم النص وتقديره فيلقى في نفسه قبولاً واستحساناً وإلا فأنه سيكون كالتربة الميتة لا يجدي فيهاً هطول

---

(1) ينظر : الناقد الأدبي ص 33-34.
(2) ينظر الشعر العربي في العراق وبلاد العجم 168/2 وحول الأدب في العصر السلجوقي ص 240 والشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص 285. (3) البيان والتبيين 82/1.

المطر أو الغيث[1] وهكذا نجد خلاصة رأي الجاحظ في النص الجيد بكونه يعبر عن معنى جميل شريف بألفاظ مؤتلفة غير متنافرة وأسلوب سلس موات غير متكلف وبهذا يجمع النص شروط الإجادة المتمثلة بالمعاني والألفاظ والروح الأدبية الفنية التي تنساب منه[2] . وبرأي المتواضع أنه لإفائدة من جودة الألفاظ ولا المعاني إن لم تكن مصحوبة بصور فنية حية ناطقة فجمال الصور المرافقة لدلالة الألفاظ تخلق نصاً أدبياً خالداً مع إن أبن قتيبة (ت 276هـ) تجاهل شأن الصورة الفنية ولا سيما في الأشعار الرقيقة حينما قسم الشعر إلى أربعة أضرب معتمداً الفصل بين الألفاظ والمعاني[3] والصورة الفنية تجعل من لغة العمل الأدبي لغة حية متألقة في حركة وصيرورة مستمرة ولا غرو إذا تحولت اللغة من واصفة مقررة إلى مشيرة مومئة وامضة و موحية مندفعة وراء أغراء الاكتشاف ومراودة
كل ما هو مبهم ومستغلق فاللغة مادة للخلق والتشكيل والإبداع تتبعها الصورة الفنية ومردها إلى ملكة الخيال المتنامية في نفس الشاعر وقد صدق حازم القرطاجني ت

(684 هـ) حين قال: (الشعر لا تعتبر فيه المادة بل ما يقع في المادة من تخييل)[4] وهذا كله لا يتأتى للشاعر إلا إذا غذى ملكته لقول ابن خلدون ت (808هـ) :(أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ[5]) فللخيال دور بارز جداً في نظم الشعر لأنه ليس نقلاً للواقع المحسوس وحده وإنما هو خلق وإبداع.وقد أدرك شعراء العصر السلجوقي هذا الأمر لذلك سعوا جاهدين لإظهار المقدرة في أستعمال المخزون اللغوي ولو كان ذلك المخزون لا يرتبط بدلالة نفسية ولا يمتلئ بأحساسات وعواطف وأفكار[6] إن هذا المخزون هو ألفاظ غريبة وصعبة بل وربما كان فيه إغراء للمدوح وللحاظرين في مجلس الممدوح.

---

(1) محاضرات في النقد الأدبي ص 110.ودراسات بلاغية – أحمد مطلوب ص 423.

(2) النقد المنهجي عند الجاحظ ص 7. (3) ينظر الشعر والشعر 7/1.

(4) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص 71.

(5) مقدمة ابن خلدون: ص 529.

(6) ينظر : الشعر العربي في العراق وبلاد العجم168/2.

على الاستحسان ونيل الجائزة ،ذلك أن هذا الغريب أكثر ما يرد في المديح، أما إذا انساق الشاعر وراء عواطفه ،وصدق هواجسه ،واستجاب لنفسه فإنّه يكثر من المفردات السلسة، فالمفردة والعبارة تشكلان عنصرًا أساسيًا من عناصر الأسلوب، وتتظافر جهودهما لإبراز المعنى وجلائه[1] وهذا ما نفهمه من قول الآمدي (ت370هـ) : (وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً وحسنًا ورفقًا)[2]، فالشاعر حينما ينظم شعرًا لا ينتظر منه جائزة أو إحسانًا تكون مشاعره صادقة ،مع إنه قد لا تعنيناً مصداقية الشاعر بقدر ما تعنينا تلك العاطفة الجياشة، والتي رأينا أمثلة عليها في الرثاء والفخر والشكوى، كما أسلفنا، فالمدح على سبيل المثال لا الحصر قد يتحول إلى نقيضه إذا لم يحصل الشاعر على نوال من ممدوحه من ذلك قول منصور بن محمد العاصمي[3]:

وإذا الكريم نبا علي بعطفه

يوماً وأخفق لي يديه رجاء

أمسكت عن شكري له وتركته

والصمت عن شكر الكريم هجاء

ومن الشعراء من يبتعد عن المألوف الموروث في الشعر العربي فلا يتقيد بأختيار اللفظة ولا يتقيد بفصاحتها إنما يعتمد إلى المبتذل والعامي وحتى الدخيل وأكثر ما ترد هذه المفردات في شعر السخف ولكن الحديث عن البراعة اللغوية والمتانة الأسلوبية لا ينتهيان عند هذا الحد فلكل أقليم ثوبه ولكل أرض نبت أسلوبي خاص تؤثر فيه عوامل كثيرة منها البيئة ومنها الثقافية وقد تنبه العماد الأصفهاني إلى ذلك فحلل الفرق بين أسلوب الشاميين والعراقيين من ذلك قوله[4]:

(1) ينظر: الحياة والموت في شعر عهد بني أيوب ص: 246.

(2) الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري: ص352.

(3) الخريدة – خراسان 34/2.وينظر :الفصل الثاني من هذه الرسالة (غرض المديح) .

(4) الخريدة القصر – بداية قسم شعراء الشام: 5–6.

(وشعر الشاميين أصح وزنًا، وأسح مزنًا وأمتن صيغةً وأحسن صبغة وأحكم مبنى ،فإن العراقيين بغاية لطفهم ونهاية ظرفهم غلبت الرقة على كلامهم، حتى اعتل نسيم نسيبهم، وانماعت في ماء اللطف صناعة تربيتهم وتهذيبهم ،فكأن نظمهم روح بلا شبح ،وراح بلا قدح).

ثم يقول: (لكن الطبع للعرب أغلب والنبع من الغرب أصوب وأصلب والعراق أعرب وأعرق وفضلاء الأقليمين أعيان وملء قلائدهم در وعقيان وحشو فرائدهم لؤلؤ ومرجان)

وأساليب الشعراء تتباين تباينًاشديدًا بين غرض وآخر ،فيجودون أشعارهم،ويختارون لها الألفاظ والمعاني والأساليب التي تليق بكبار الشخصيات التي يمدحونهم،طمعًا في الحصول على أكبر الجوائز وأسخاها ولكن هؤلاء أنفسهم يخفقون إخفاقا شديدا ويعجزون حتى عن النظم المتماسك حين يطرقون غرضًا آخر لا ينتظر منه جائزة ،ولا يراد منه الحصول على إعجاب أحد[1] كالغزل على سبيل المثال. فالأرجاني

مثلاً يتغزل في مقدمات المديح، فيحسن ويجيد كقوله رئيس الدين المقرئ المخدوقي[2]:

لولا رجائي ثانيًا للقائه
ما كنت أحيا ساعة في نائه
سكن له أبدًا فؤادي مسكن
وما ملّ يومًا فيه طولُ ثوائه
ريم إذا ريم السلو لمغرم
عن حبه أعيا علاج عيائه
فتعجُّبِي إن عشت بعد فراقه
وتحسري إن مِت قبل لقائه

فأبياته تطفح بالشوق للقاء المحبوب، وإن حالته تزداد سوءًا بعد سوء لفراقه، ويخشى أن يموت قبل أن يلاقيه وإذا جئنا إلى مقطوعات الأرجاني في الغزل

---

(1) ينظر الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص 285.   (2) الديوان 1/98-9.

المستقل نراها مختلفة كمثل قوله[1]:

أهوى الظباء وليس لي أربٌ سوى
نظرات مشتاق إلى مشتاق
لا تقرب العوراء من قولي ولا
ينحلّ في الفحشاء عقدُ نطاقي
والناس مختلفون في آدابهم
وكذا اختلاف مآرب العشاق

فأبياته هذه تفصح عن العفاف في الهوى ،والعاطفة فيها تكاد تكون باردة، أو شبه معدومة. وفي المدح نرى الشاعر يتخير اللغة المناسبة والأسلوب المناسب لكل ممدوح ،كذلك نلحظ أن مدائح الخلفاء تميل بصورة عامة إلى الأسلوب البدوي القديم، والخيال المشحون بروح الصحراء ورمالها وجمالها ؛لذلك تفتقد أحيانًا الألفاظ السهلة والمعاني الواضحة؛ لأن الشاعر يخشى الحساب أو الانتقاد ،أو يراعي علماء اللغة

والنحو الذين يحيطون بالخليفة في مجلسه ،ولذلك لا بد من التمييز من ناحية الألفاظ والمعاني بين مدائح الخلفاء ومدائح سواهم من كبار الشخصيات[2].

من ذلك قول إسماعيل بن أبي نصر في برهان الدين الواعظ[3]:

لله مِسْكيّ الأباطح والذرى
خلع الغمام عليه ريطا أخضرا[4]
نقضت ذوائب رنده كف الصبا
والصبح قد حذر النقاب الأشقرا

---

(1) الديوان 1012/3.

(2) ينظر الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص 286.

(3) الخريدة – أصفهان 144/1.

(4) الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة والجمع ريط ورياط.

نادمته والريح تقبض بسطتى
حتى تنسمتُ الكثيب الأعفرا
لله در عزائم علويـة
برّحن بالقود النوافح في البرى
برهان دين الله لولا جوده
لم ترج من صبح الندى أن يسفرا
ولقد يئست من الكرام وفضلهم
حتى عقدت على علاه الخنصرا
كانت مواعظه تناط نفاسة
بمفارق الشهب الطوالع مفخرا
المنكرات كبيرة وأشدّها
أن يمتطي أحد سواه المنبرا

أما العلوم فقد ملكتَ زمانها

فغدوتَ في أنواعها متبحرا

والصارم المغمود يجهل قدره

فإذا انتضيت عرفت منه الجوهرا

إن اللغة والأسلوب في هذه القصيدة يختلفان اختلافا كبيرًا عما يتخذه الشاعر من لغة وأسلوب عند مدح غير الخليفة، كقوله مرة ثانية ولكن في مدح المكين أبي علي[1]:

لله شعب البطاح

مغروزًا بالأقاح

يسيل في ساحاتها

سلسال ماء قراح

---

(1) الخريدة – أصفهان 142/1-143.

ترى له صفحات

حكين بيض الصفاح

ذاكي العزيمة ماضٍ

محض النجار صراح

عزائم وهي أمضى

من القضاء المتاح

لما مدحت علاه

قرعت باب النجاح

الفرق واضحٌ بين النصين من ناحية اللغة والأسلوب، ولا نحتاج إلى جهد وعناء كي نميز هذا الفرق، فكان الشاعر طبق ما تضمنته صحيفة (بشر بن المعتمر) حينما قال: (ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ،ويوازن بينها وبين أقدار

المعاني ،ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات.فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا ،ولكل حالة من ذلك مقامًا)[1].

لقد غلبت المتانة على تراكيب بعض الشعراء ممن كانت لهم صلات قوية بالأسرة الحاكمة آنذاك، أو كانوا هم يشغلون مناصب مهمة أمثال: الأبيوردي والطغرائي والأرّجاني ،فشعرهم يذكرنا بكبار شعراء العربية ،الا اننا نجد احيانا بعض الاشعار التي تتسم بالوضوح حتى لتقترب أحيانًا من لغة التعبير اليومي،وتستحيل ضربًا من النثر ،ولا نستغرب إذا قرأنا قول أبي الحسن الباخرزي[2]:

عجبت من دمعتي وعيني

من قبل بينٍ ،وبعد بين

قد كان عيني بغير دمع

فصار دمعي بغير عين

معاني البيتين معانٍ بسيطة وهذا الأمر قد يسيء إلى شاعريتها ويجعلها خطابًا اعتياديًّا، أو أنها لو جاءت نثرًا لما جاءت على غير هذه الصورة، هكذا نراها نحن

---

(1) البيان والتبين 138/1. (2) الديوان ص 206–207 الخريدة – خراسان وهراة 95/2.

وقد يراها بعضهم أبياتًا عذبة رقيقة منسجمة التراكيب، ومثلها قول منصور بن محمد العاصمي في الشهاب وزير (سنجر) وكان فقيهًا[1]:

هذا الشهاب وزيرنا

في الفقة بحر ذو غزارة

الأمر في يد غيره

وقد أكتفى باسم الوزارة

وقول أبي الحسين يحيى بن الحسين الرازي يصف عيشه المنغص بفراق أحبته[2]:

وإن أكلت فأكلي كله غصص

وإن شربت فشربي كله شرق

إن شعر السخف بعيد عن ذلك لأن الركاكة فيه متعمدة للتقليل من شأن المهجو من جهة والسخرية والإضحاك من جهة أخرى.

ومما نلحظه في أسلوبهم ميلهم إلى الحوار أو الأسلوب القصصي[3]، وهذه الخصيصة قد ترفع من شأن شعرهم ؛لأن الحوار قد يخلق روحًا ثانية في الشعر، ويضفي عليه شيئًا من الحيوية والجاذبية والمشاركة الوجدانية، ولكنه بالطبع لم يبلغ شأو شعراء الغزل المشهورين، كقول أبي المعالي القومسي[4]:

قيل أبو بكركم ظريف

أورثه الظرف أوّلوه

فقلت: ظرف لكل عيبٍ

لا كانَ بكرٌ ولا أبوه

ولعله بذلك يخلق نوعاً من التشويق لدى المتلقي ونراه يقول في مقطوعة أخرى[5]:

---

(1) الخريدة – خراسان 40/2.

(2) الخريدة – فارس 110/3-111.

(3) ينظر : الأسلوب دراسة بلاغة تحليلية ص 110.

(4) الخريدة – فارس 101/3.

(5) الخريدة – فارس 101/3.

قالوا: تصبر فإن الفقيه

مليء بتحقيق ذاك المقال

فقلت: دعوه فذاك امرء

طويل المطال قصير النوال

وقد يحاور الشاعر نفسه ، فيقول أبو المظفر شبيب بن الحسن[1]:

فقلت لنفسي وهي في أسر كربة

إذا لم يفرجك الأخير فمن لها[2]

ويقول: أبو العشائر الهمذاني[3]:

أقول لنفسي وهي طالبة العلى

لك لله من طلابة للعلى نفسًا

وإذا كان الحوار مع الحبيبة فهو أرق،كقول أبي الحسن بن بكويه الكرجي[4]:

سرقت إليها زورة فتنفست

فقلت: اسفري ما هكذا حق من طرق

فقالت: حجبت البدر عنك تعمدًا

لتأمن أن البدر يفضح من سرق

والحوار حينما يتضمن عنصر الحب يكون أجمل ؛لقوته وسلطانه العام على النفوس ؛ولأنه في الغالب سمة الشباب المحبوب ،ولكل إنسان فيه مشاركة ومن ذلك قول الأرّجاني(5):

ثم قالت: أنت عندي في الهوى

مثل عيني صدقتْ لكن سقاما

---

(1) نفسه 135/3.

(2) الأخير: أراد به (سيف الدولة صدقة بن منصور الأسدي)، ومرت ترجمته.

(3) أبو المعالي عبد الله بن أبي بكر محمد علي بن الحسنى الميانجي نسيه إلى ميانة ينظر الخريدة فارس 137/3 معجم البلدان 225/1 شذرات الذهب 75/4.

(4) الخريدة فارس 137/3.

(5) الديوان 1324/3.وينظر :الأسلوب (دارسة بلاغية تحليلية) ص 110.

كنت من قتلى ليالي هجرها

خشيت منهن أحشائي كلاما

قلت لما قتلتني في الهوى

حلت الخمر وقد كانت حراما

إن اللغة بصورة عامة قد تطورت ،فهي كائن حي اجتماعي تخضع كغيرها من الكائنات الحية إلى التطور والرقي ،وعدّها ابن خلدون فعلاً إنسانيًا فهي: (عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل إنساني)(1)،فلا بد لهذا الفعل الإنساني أن يتأثر ،ويتفاعل وأن يخضع لحتمية التطور .وإزاء حتمية تطور اللغة أصبح المفروض من الشاعر أن يُفَجّر كل إمكانات ألفاظه،وأن يستخرج منها كل عطائها. وعلى الرغم من ذلك لم تتعرض وحدة القصيدة لسوء، بل ظل الشعراء محافظين عليها ،وملتزمين بها حتى لو كان هنالك تباين ما بين المطلع والغرض الرئيسي

والخاتمة[2] ،فالالتزام بوحدة القصيدة واضح ،وهو أمر طبيعي ؛لأن شعراء هذه الحقبة وجدوا أمامهم تراثاً ضخماً راسخاً منذ قرون سالفة،فلا بد أن يحافظوا عليه، ووحدة القصيدة العربية كانت أهم مقومات الحفاظ على هذا التراث العظيم ؛لأن: (الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ،وعدل بين هذه الأقسام ،فلم يجعل واحدًا منها أغلب على الشعر، ولم يُطل ،فيمل السامعون ،ولم يقطع وبالنفوس ضمأ إلى مزيد)[3] .ولما كان تراث أية أمة لا يعدو أن يكون(مجموعاً من الخبرات التي حققتها الأمة عبر تاريخها الطويل في السياسية والأدب والاقتصاد والفلسفة وسائر العلوم الأخرى كما أنه يمثل وجدانها وعواطفها ومشاعرها وذوقها تجاه القضايا الإنسانية والجمالية فهو أذن شخصية الأمة ووجودها التاريخي ماضيًا ومستقبلا)[4] وبحكم انتمائهم القومي ،فقد استلهم هؤلاء الشعراء منذ البدء قراءاتهم من هذا

(1) مقدمة ابن خلدون ص 546.

(2) ينظر :شيء من التراث ص 217.

(3) الشعر والشعراء 15/1.

(4) العلاقة الجدلية بين الشعر المعاصر والتراث العربي ص 91 (مجلد آفاق عربية).

التراث العربي ،وعدّوه كغيرهم من الشعراء المعين الثر الذي لا ينصب، فعلى سبيل المثال التزم معظم الشعراء، ولا سيما البارزون بالمطالع التقليدية سواء أكانت طللية أم غزلية أم خمرية أم غير ذلك؛ لأثرها من الوجهة النفسية في نفوس المتلقين بصورة عامة[1] ،والممدوح بصورة خاصة ،فلا يكفي أن يكون للقصيدة موضوع واحد لتعد تجربة شعرية تامة ،بل يجب أن تؤلف من عدة مواضيع يؤدي بعضها إلى بعض وتساهم في تماسك البناء الكلي للقصيدة ؛ذلك أنّ الدافع الرئيسي من المقدمة التقليدية إنما هو استمالة القلوب ،وجذب الأسماع، أي بصورة أدق تهيئة الممدوح وتشويقه ،ثم الانتقال إلى الغرض الرئيسي الذي نظمت من أجله القصيدة[2] ، فالخاتمة.

---

(1) صور الشعراء الفنية قبل الإسلام من الوجهة النفسية . المورد . العدد الرابع ص: 29.

(2) ينظر الشعر والشعراء 15/1، ووحدة القصيدة عند العرب ص 9 (رسالة ماجستير).

الوجوه البلاغية:

الوجوه البلاغية طاغية ؛لأنها . كما أسلفنا من خصائص العصر الرئيسية، فالتشبيه والاستعارة والكناية والمحسنات البديعية من الطباق والجناس والتوازي والتكرار والتصريع والاقتباس والتضمين والمعارضة.. إلخ كثيرة ،ووجودها في كل قصيدة ،أو

في كل بيت دليل على المقدرة اللغوية والثقافة الواسعة ،وهذا أمر طبيعي ؛لأن شعراء هذا العصر سعوا جاهدين لإظهار مقدرتهم اللغوية ،فأكثروا منها ولا مانع من أن نستعرض بعض هذه الوجوه مبتدئين بالتشبيه وأركانه كما تعارف عليها في كتب البلاغة أربعة هي: المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه[1] ،مثل قول أحمد بن حامد[2]:

وليل كليل المحب المشو   ق طال به شوقه والقلق

فليله يشابه ليل المحب المشتاق بـ(الشوق والقلق) مستخدماً (الكاف) أداة للتشبيه.

وللطغرائي تشبيهات تسترعي الانتباه والوقوف عليها فها هو ذا يشبه البروق بالمشاعل التي تفوق النجوم الثاقبة في شدة الإضاءة فيقول[3]:

كأن البروق استودعتها مشاعلا

تباهي مصابيح النجوم الثواقب

ويعود فيشبه قطرات المطر بالالىء مرة وبالدموع على خدود الحسناوات مرة اخرى فيقول:

كأنّ القطار استخزنتها لآلئًا

فمن جامدٍ في صفحتيها وذائب

---

(1) على سبيل المثال لا الحصر ينظر :التشبيه في: عيار الشعر ص 17.ونقد الشعر ص121.والصناعتين ص238.وديوان المعاني لأبي هلال العسكري 244/1.والعمدة286/1–299.وأسرار البلاغة ص 100–136.والإيضاح في علوم البلاغة أو مختصر تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ص121–150.

(2)الخريدة – أصفهان 47/1.   (3) الديوان ص48.وينظر: الخريدة – أصفهان38/1.

يُريك مجاج القطر في جنباتها

دموع التشاكي في خدود الكواعب

ومن تشبيهاته الرائقة،تشبيهه الأذريون . وهو نوع من الزهور. بأنّه كالموقد في احتوائه الفحم واللهب بقوله[1] :

كأن آذريون روضتنا

كانون فحم حوله لهب

أو جام جزع حوله سبج

أو سور مسك جامه ذهب[2]

وقد يحذف (وجه الشبه) كقول الكمال السميرمي[3]:

كأن دماء خصمهم عقار

وأن زجاج سمرهم رجاج[4]

فوجه الشبه بين الدماء والعقار هو (اللون الأحمر) ،ورماحهم مضطربة خوفًا من الأعداء.

وقد يحذف وجه الشبه مع أداة التشبيه ، وهذا أبلغ من سابقه كقول الكمال السميرمي[5]:

نسيمي بعد فرقتكم سموم

ومائي بعد رحلتكم أجاج[6]

فالنسيم العذب البارد أصبح بعد فرقة أحبابه كالريح الحارة، والماء الذي يستسيغه أصبح أجاجًا (ملحاً مراً) لا يستساغ. فالتشبيه اذن هو إلحاق الناقص بالزائد ،أي إننا حين نقول:

---

(1)الديوان ص75. (2) الجزع: نوع من الخرز اليماني فيه بياض وسواد ،تشبه به الأعين.
(3) الخريدة – أصفهان 253/1. (4) العقار: الخمرة. (5) الخريدة – أصفهان 253/1.
(6) السموم قد تؤنث،وجمعها سمائم والسموم بالنهار وقد تكون بالليل(فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) (الطور:27).

هذا الخد كالورد،فإن الخد أنقص في حمرته وطراوته من الورد ،ولذلك الحقناه به، لِنرَ قول القاضي الهروي[1]:

ولمّا التقى الياقوت والدُّرُّ والسّبج

من الخد والأسنان والصدغ ذي العوج

نفهم من ذلك أن الخد فيه حمرة قريبة من حمرة الياقوت، والأسنان بيض كبياض الدر، والصدغ أسود كسواد الخرز الأسود.

وقد يتعدد المشبه والمشبه به واحد،مع اختلاف(وجه الشبه) لكل مشبه،فالقاضي الهروي يستغل المشبه به ،وهو(الشمع) فيُشبه المحبوب بالشمع في(التألق والضياء) تارة،ويشبه نفسه به في الاحتراق وشحوب لون صفرته تارة ،فيقول[2]:

أنت شمعي تألقًا وضياءً

أو أنا شمعك احتراقًا وصفره

وقول أبي القاسم القشيري يشبه ليالي الوصال كأنها لآلئ تزين صدور الحسناوات، والشاعر متأسف ؛لأنّ الليالي الجميلة قد مضت[3]:

ليالي وصال قد مضين كأنها

لآلئ عقود في نحور الكواكب

أما ليالي الهجر فمداهمتها لليالي الوصال كمداهمة الشيب للشعر الأسود:

وأيام هجر أعقبتها كأنها

بياض مشيب في سواد الذوائب

ومن التشابيه الجميلة قول أبي علي محمد أبي الحسين أرسلان بن محمد[4]:

كأنني ناظر في كربلاء إلى

مصارع من ذويك السادة النُّجُبِ

---

(1) الخريدة–خراسان 12/2.وينظر:شيء من التراث ص25.

(2) الخريدة – خراسان 13/2.   (3) نفسه 68/2.   (4) الخريدة – خراسان 127/2.

كأنهم شهب من نور أوجههم

لو كان نور الهدى والعلم في الشهب

فالشاعر قد أحسن حين شبه (السادة النُّجُب) من ساكني كربلاء بالشُّهب في نور أوجههم ،المتأتي من نور الهداية والعلم .

وطبيعيّ أن ترد الاستعارة في شعر هذا العصر لأنها عند العرب: (إنما هي في اتساعهم في الكلام اقتدارا ودلالة ،ليس ضرورة؛ لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم،وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم،فإنما استعاروا مجازًا واتساعًا)[1] والاستعارة (أن يذكر أحد طرفي التشبيه ،وتريد به الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به وتقسم إلى المصرح بها والمكنى عنها)[2] ،وعني بالمصرح بها أن المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به ،وتسمى بالتصريحية، كقول الشيخ أبي زكريا التبريزي الخطيب[3] ،إمام اللغة العربية ،وأحد أعلامها الكبار ،وهو يرثي غلاماً مات له بالموصل:

دفنت بدر التّمِّ بالموصل

فلا سقاه الله من منزل

فالمشبه محذوف ،أولم يذكر ،وهو (الغلام) ،واكتفى الخطيب التريزي بذكر المشبه به(البدر)؛لتغدو الاستعارة تصريحية ،فالتشبيه بالبدر هو إيحاء بجامع الرفعة والجمال والضياء في كل منهما.

وأما المكنى عنها فهي (الاستعارة المكنية) وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وفيها يذكر المشية.وهذا النوع من الاستعارة هو الشائع في هذا

---

(1) العمدة 274/1.

(2) إيضاح مختصر تلخيص المفتاح ص 18.

(3) أخذ عن أبي العلاء المعري كما سمع الخطيب البغدادي ،صنف كتاب شرح الحماسة وشرحًا لديوان المتنبي وشرحاً لسقط الزند ،ينظر: الخريدة 126/3.والأنساب21/3.والمنتظم161/9.ومعجم الأدباء 25/20. ووفيات الأعيان 191/6.

العصر فأخذ الشاعر يجسم المعنوي ويضفني عليه وعلى الجماد نوعاً من الحياة ويهب الصفات الإنسانية لما ليس بأسنان وهذا النهج قديم في الشعر وكأن أبو تمام أول من بالغ فيه وأخرجه إلى الصناعة والتكلف وعابوا عليه قوله(1):

لا تسقني ماء الملام فإنني

صب قد استعذبت ماء بكائي

وتبعه كثير من الشعراء، إذ كان لمدرسة أبي تمام شعراء ناصروه عليها في حياته، وبعد وفاته أمثال ابن المعتز وأبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري(2) ،ولو مضينا قدماً وبالتحديد نحو العصر الذي ندرسه لوجدنا الطغرائي

من الوارثين أيضًا ،فها هو ذا يقول(3):

وردنا سحيراً بين يوم وليلة

وقد علقت بالغرب أيدي الكواكب

فالكواكب عنده لها أيد ،وكذلك قوله(4):

رآني والأيام تحرق نابها

فأنقذ شلوي من نيوب النوائب

وأما النوائب فلها(طرف) ،والحوادث فلها(خدّ)،والفضل بحر زاخر،والودّ يُسقى بكأس مُترع ،لقوله(5):

فتركتَ لي طرفَ النوائب خاشعًا

وأريتني خدَّ الحوادث اضرعا

ووردتَ بي من بحرِ فضلك زاخرًا

وسقيتني من كأس ودِّك مُترعا

ومثله قول محمد بن عبد اللطيف الخجندي(6):

---

(1) ديوان أبي تمام 22/1.

(2) ينظر مدرسة أبي تمام بين قدامى المولدين والمتأخرين ص6-7.

(3)ديوان الطغرائي ص 47. (4) الديوان ص 51. (5) الديوان ص 234.

(6) الديوان ص233.

كيف أسلو والهوى مستحكم

وفؤادي في يد الوجد وثيق

أنشدوا قلبي فقد ظلّ ولا

علمَ لي إذ ضل في أي طريق

أما الكناية فهي (أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن الفاحش بالطاهر)[1] ،ومعنى هذا أننا قد نتكلم بشيء، ولكن نريد غيره ،فنكني عن الأمر الذي نريده بغيره ،مما يستدل عليه. والكناية من الأساليب البيانية التي يتسابق فيها البلغاء ،وتتفاوت قدراتهم فيها ؛ لأنه يحتاج إلى اللمحة الذكية والغوص في أعماق المعنى ،والمجيء باللفظ الذي يمكن أن يدل عليه دون تكلف ؛لذلك عدّوها مظهرًا من مظاهر البلاغة ،وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، فالأساليب المجازية أساليب غير صريحة ،وبمعنى أدق لا تعبر عن الموضوع بصورة مباشرة ،ومن شأن هذه الأساليب أن توفر في النفس عنصر الإثارة[2].

وغالب كنايات هذا العصر أنّها تُعيد كنايات السلف في: (الخلق والجمال والبسطة والسخاء والشجاعة والحلم ،والحزم والعزم والوفاء والعفاف ،والبر والعقل والأمانة والقناعة والغيرة والصدق والصبر والورع والمداراة والعفو والعدل الإحسان، وصلة الرحم وكتمان السر وأصالة الرأي والأنفة والدهاء وعلو الهمة والتواضع والبيان والبشر ،والجلد والتجارب وقمع الأعداء وكظم الغيظ، وفهم الأمور ،ورعاية العهد ،والجد والإيثار على النفس وبلوغ الغايات....إلخ)[3] من السمات وغالبًا ما تكون ما تكون الكناية مصحوبة بالمبالغة ؛لأنها سمة من سمات العصر، فها هو ذا عبد اللطيف محمد الخجندي يشيد بثقافته ومعرفته وغزارة أفكاره قائلاً[4]:

---

(1) ينظر: العمدة268/1.والمنتخب من كنايات الأدباء ص6. والبديع في نقد الشعر ص99. وتحرير التجبير ص143.وإيضاح مختصر المفتاح ص 183.

(2) ينظر : المجاز في البلاغة العربية ص3.   (3) عيار الشعر ص12.

(4) الخريدة – أصفهان 245/1.

هاكها من بحر فكري دُرَراً

طالما ظن بها البحر العميق

هل يباري الفصح من منطقه

مفحم شقشقه الفحل الفتيق[1]

فقد كنى الشاعر عن بعض صفاته من علم وثقافة ودراية، مصحوبة بمنطق جيد ورأي سديد لا يباريه فيه أحد.

أو أن يصف أحدهم شدة كرم ممدوحه، كقول الأديب أبي الحسين محمد بن الحسن الوركاني[2]:

كأن الناس بعدك غير ناس

كأنّ الجود قد سكن الترابا

فمن خواص الكناية هنا إنها مكنته من أن يشفي غلته من خصمه من غير أن يخدش وجه الأدب :

ذئاب في ثياب فاخرات

ومن يرجو لمكرمة ذئابًا

فالذئاب هم (الناس) في البيت السابق ،والذئب رمز للخداع والغدر ،والذين جاءوا بعد نظام الملك أناس لا يستحقون هذه المناصب، كذلك جاء هذا البيت بكنايته عن الغدر مناسبًا جدًا لما أحسه الشاعر.

وقول عبد الواسع بن عبد الجامع الجبلي ، وفيه كناية لطيفة[3]:

ما روضة تمتص أطفال الثرى

فيها أفاويق الغمام الغاذ[4]

فلفظة (أطفال) كناية عن العشب الصغير.

---

(1) مفحم: العاجز أمام الحجة الذي لا ينطق، أفحمته: أسكته في خصومة أو غيرها. الفتيق: رجل فتيق اللسان أي: حديد اللسان. (2) الخريدة – أصفهان 200/1.

(3) الخريدة – خراسان 29/2.وينظر : البلاغة الواضحة ص131.

(4) أفاويق: ما أجتمع من السحاب الذي يمطر ساعة بعد ساعة.

وهذا الأرّجاني يمدح الوزير شرف الدين أبا شروان بن خالد، ويبين حزمه وشدته وسطوته، فيقول[1]:

ومن عجب أن يعبد الدهر معشرا

وقد أبصروا المولى الذي استعبد الدهرا

فقوله (أستعبد الدهر) كنايةعن السيطرة وتسلم زمام الأمور إلا أن المبالغة واضحة فيه، ومثله قول الطغرائي[2] :

لهم دارت الأفلاك طوعًا وأظهرت

لخدمتهم في صفحة البدر ميسما

بل لم يرَ الطغرائي ضيرًا من أن يقول لممدوحه[3]:

لجلال قدرك تخضع الأقدار

وبيمن جدك يحكم المقدار

وكأنه يعارض ،أو يسابق ابن هانئ الأندلسي في قوله[4]:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار

فأحكم فأنت الواحد القهار

ونجد الطغرائي نفسه يبالغ في مواضع كثيرة من شعره، . بحسن تعليله . فتغدو أبياته حكمًا مأثوره على مر الأزمان ،مثل قوله[5]:

وما طاب نشر الروض إلا لأنه

شكورٌ لما أسدت إليه يد القطرِ

وما طاب فضل الأبريز إلا لأنه

صبور على ما مسه وهج الجمر

---

(1) ديوان الأرّجاني 594/2. (2) ديوان الطغرائي ص 326.

(3) ديوان الطغرائي ص 182. (4) ديوان ابن هانئ الأندلسي ص 146.

(5) ديوان الطغرائي ص 162.وينظر: الخريدة – أصفهان 105/1.

وشاعت المحسنات البديعة مثل الطباق والجناس ،من ذلك قول محمد بن عبد اللطيف الحجندي[1]:

أشكر نعمى ابن أبي عمرو

في السر والجهر مدى عمري

وقول الكمال السميرمي[2]:

أما الصديق بنا فعاد معاديا

ووفى العدو لنا فصار مصادقا

فالطباق واضح في قوله : (الصديق والعدو)، وقوله (معاديًا ومصادقاً)، وأما الجناس فهو في قوله: (الصديق ومصادقًا).

وأيضاً قول العميد الغانمي[3]:

ومن خلع الذكر الجميل فإنه

وإن لبس الياقوت والدر عاطل

وقوله أيضًا[4]:

فشاهدت فيه كل ماضٍ وغابر

وألفيت فيه كل فان وقائم

ولا نستغرب لو وجدنا محسنات بديعية متتالية في البيت الواحد ؛لأن العصر هو عصر صنعة ،لِنرَ قول حميد الدين البلخي[5]:

العلم أنفع في الفاني وفي الباقي

والعلم أشرف معجون وترياق

والجهل داء وبييء مهلك سمج

والعلم أصبح فيه رقية الراقي

فالطباق هو في قوله (الفاني والباقي)، وهنالك توازٍ بين (أشرف وأنفع)، ـــ

(1) الخريدة – أصفهان 254/1.(2) الخريدة 243/1.وينظر: تهذيب الإيضاح 37/1.

(3) الخريدة – خراسان 23/2.(4) نفسه 24/2.(5) نفسه 117/2.

وتكرار بحرف الجر (في)، ولفظة (العلم) .وأما البيت الثاني فالطباق وقع في (الجهل والعلم) والجناس في (رقية والراقي) وقال أيضًا[1]:

دع ذكرهن ففي التذكار آفات

وللتذكر أزمان وأوقات

في قوله (ذكرهن والتذكار والتذكير) جناس وقوله (أزمان وأوقات) توازٍ،و قوله (آفات وأوقات) يدخل ضمن باب التصريع، والتصريع في الشعر بمنزلة السجع من الكلام المنثور، وفائدته في الشعر إنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة نعلم قافيتها، وشُبّه البيت المُصرع بباب له مصراعان متشاكلان، وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون ، وفيه دلالة على سعة القذرة في أفانين الكلام[2] ، ومن ذلك قول الأرّجاني[3]:

لها في حمًى مني وراء الترائب

منازلُ لا تُغشى بأيدي الركائب

وقال أيضًا في قصيدة في الإمام المسترشد سنة (520) للهجرة ، مطلعها في الشيب[4]:

أما الغزال الذي أهوى فقد هجرا

إن عاد روض شبابي مبديًا زهرا

وقول حميد الدين البلخي[5]:

يا أرض بلخ ويا روضات جنات

أروضه أنت أم أرض المسراتِ ؟

وللطغرائي قصيدة في نظام الملك يُعارض فيها قصيدة ابن هانئ الأندلسي التي مطلعها[6]:

---

(1) نفسه ،والصفحة نفسها. (2) المثل السائر – ابن الأثير 338/1.

(3) ديوان الأرجاني 182/1–195.وينظر: الخريدة – فارس 194/3.

(4) الديوان 565/2.وينظر: الخريدة – فارس 253/3.

(5) الخريدة – خراسان وهراة 117/2.

(6) ديوان ابن هانئ الأندلسي ص 34–40.

أقول دمًى وهي الحسان الرعابيب

ومن دون أستار القباب محاريب

وقصيدة الطغرائي مطلعها[1]:

لمن في عِراص البيدِ نوقٌ مطاريبُ

يُدرسُها رجعُ الحداء الأعاريبُ

وله أيضًا . من قصيدة في مدح نظام الملك أولها[2]:

لقاء الأماني في ضمان القواضب

ونيل المعالي في اِدِّراعِ السباسب

وقال العماد الأصفهاني: (وله على حرف الظاء أفتن من ألحاظ الكعاب ،وأرق من ألفاظ العتاب)[3] ،وهو قوله[4]:

في القلب من حر الفراق شواظ

والدمع قد شرقت به الألحاظ

ولا ننسى لاميته المشهورة التي مطلعها[5]:

أصالة الرأي حانتني عن الخطل

وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وأيضًا . قول الأمير المنتخب معين الدين أبي الفضل المروزي[6]:

أيا من له في كل رأي متينه

ومن كل در للمعالي ثمينة

وقول الأبيوردي[7]:

---

(1) ديوان الطغرائي ص 87–96.وينظر: الخريدة – أصفهان 80/1.

(2) الديوان ص 45 الخريدة – أصفهان 81/1.

(3) الخريدة – أصفهان 100/1.　　　(4) الديوان ص217.وينظر: الخريدة 100/1.

(5) الديوان ص301.وينظر: الخريدة65/1.

(6) الخريدة – خراسان 123/2.

(7) الديوان 664/1–668 الخريدة – خراسان 318/2.

أما وحُبِّيك هذا منتهى حلفي

ليظهرن الذي أخفيه من شغفي

ولجوء الشعراء إلى التصريع أمر طبيعي وذلك لخلق التاثير من الوهلة الاولى في نفس المتلقي،أو قد يكون عالمًا بالدين والفقه ،ولإظهار ثقافته الدينية نراه يلجأ إلى الإقتباس من القرآن الكريم ، . مثلاً . كقول أفضل الدين أبي سعيد محمد بن الهيثم السلمي الأصفهاني[1]:

وهل يضرُّ البدرَ أنْ

ينبحَه كلبٌ عوى

نابذَه عن عزِّه

لجهلِه رخْوٌ هوى

فقوله (رخوٌهوى) أي :جبان. وهو مأخوذ من قوله تعالى:﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (إبراهيم الآية 43) ،أي : خالية من القوة ، أو خالية من العقل[2].

ويُعدّ القرآن الكريم بحكم تفوقه البياني وإعجازه مصدرًا لملكات المسلمين النظرية والأدبية،فمن الطبيعي أن يغترف منه الشعراء؛لأنه مأدبه الله في الأرض،والشاعر المتفقه بعلوم الدين نراه يحسن الاقتباس،لا بل يجود فيه،وللعماد الأصفهاني اقتباس من قوله الله تعالى:﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ القارعةالاية(5) في قوله مادحًا صلاح الدين الأيوبي[3]:

بسطوة بأسِهم في كلِّ أرضٍ

جبالُ الشرك عادت كالعهون

فالجبال كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض[4].

إن الاقتباس هنا من (محاسن الكلام)،ووجه التحسين ليس فقط لفظيًّا، وإنما هو في

---

(1) الخريدة – خراسان 228/1. (2) ينظر : تفسير الجلالين ص 228.
(3) ديوان عماد الديوان الأصفهاني ص 428.
(4) ينظر : تفسير الجلالين ص 548.

الوقت نفسه معنوي ناهيك عن الصورة الفنية التي اصطنعها الشاعر، فاقتباسه موفق ؛لأنه ناتج عن ثقافة دينية واسعة،وذوق أدبي راقٍ،مقيد بتعاليم الدين الحنيف و(الإناء ينضح بما فيه)،فالشاعر الذي هذب منطقة بمبادئ الدين الإسلامي يظهر ذلك جليًّا واضحًا في شعره.

أو على النقيض من ذلك ،قد يكون الشاعر ضعيف الدين،وقليل الحياء،فيستخف بجليل الأمور ،ويُسيء إلى القيم العظيمة الراسخة التي جاء بها الإسلام، دون أن يتورع أن يكون ذلك في شعر الفحش نفسه ،كاقتباس أبي الحسن البيهقي الآية الكريمة:﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة الآية 11) (1)، فيقول(2):

يا خالق العرش حملتَ الورى

لما طغى الماء على الجارية(3)

وعبدك الآن طغى ماؤه

في الظّهر فاحمله على جارية

فالاقتباس هنا غير لائق ،وكان الأولى به أن يجعله في غير موضع؛ لأنه أساء إلى الاقتباس نفسه.

وكان للتضمين نصيب من شعرهم ،ويمكن عده نوعًا من الاقتباس، وهو فن قديم سمّاه ابن المعتز(ت296هـ)(حسن التضمين)(4)،وحدده ابن طباطبا العلوي(ت322 هـ) بأنه(يعكس المعاني على اختلاف وجوهها، ويكون ذلك كالصائغ الذي يذيب الذهب والفضة المصوغين ،فيعيد صياغتهما بأحسن مما كان عليه)(5)، فالتضمين كما نرى عبد البلاغين القدامى في الأساس إيراد كلام الآخرين،أو شيء منه، وهو كالاقتباس من محاسن الكلام أيضًا،وترى الدكتورة فاطمة حيدر :أن التضمين أو ما أسمته (التناص) يعتمد اللفظة والجملة والفقرة والصورة والبيت حين يستحضرها

---

(1) أي علا الماء فوق كل شيء من الجبال ، وغيرها زمن الطوفان.
(2)الخريدة – خراسان وهراة 99/2.

(3) الجارية : السفينة التي عملها النبي نوح (عليه السلام)، ونجا هو ومن كان معه ،وغرق الباقون. (تفسير الجلالين ص506).وينظر : قصص القرآن الكريم ص46 – 47.

(4) البديع ص 114. (5) عيار الشعر ص 78.

الشاعر من نصٍ سابق،مما يولد تعالقًا للنصوص، وبالتالي يخدم المعاني،ورأت أن مراحل التناص تتعدد تبعًا لمقدار المستحضر من النص السابق في النص اللاحق، ومدى الإبداع ،والابتكار فيه ،وقسمت مراحله إلى: (الاجترار ،والامتصاص ، والمط والشرح لموضوع المتسرب ،والاختصار ،والتلميح ،والأحاله،والحوار، والتوليد ثم آخر مرحلة وهي التضمين)[1] .والذي أميل إليه أنه كلما قل التمثيل بكلام الآخرين كان أحسن. ولكن فيما إذا أُعجب (اللاحق) بلفظٍ ،أو معنًى ،أو (لفظ ومعنى) ،أو حتى بجزء من شعر (السابق) ،فعليه أن يتوخَّى الحذر، ويضع التفرد، وانتاج الجديد،والحرص على إظهار الموهبة والإبداع ،والاختصار قدر الامكان في التسريب ،ويضع كل ذلك نصب عينيه؛ لأنه تجاه مسؤلية أدبية، وهي الحفاظ على جمالية ما ضمنه من شعر الشعراء ،من ذلك قول الإمام الحسن علي بن عثمان بن محمد[2]:

(الا ليت شعري هل أبيتن ليلة)[3]

بأرضٍ بها بحر المكارم طام

ومثله بيتان لأبي الكفاة معمر بن علي الكرماني أولهما تضمين[4]:

(أضاعوني وأي فتًى أضاعوا)

وباعوني ومثلي لا يُباعُ[5]

(وكنت فريسةَ الآساد يومًا)

فصرتُ الآن تفرسني الضِّباعُ

---

(1) ينظر:التضمين تعالقًا تناصيًا **بين معلقه امرئ القيس وقصيدة ابن جابر الأندلسي** ص 2–4.

(2) الخريدة – خراسان 33/2.

(3) صَدْر البيت من قصيدة لمالك بن الريب: شاعر من العصر الأموي مطلعها:

الا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

وليت الغضا لم يقطع الركب عرضه

وليت الغضا ماشا الركاب لياليا (الشعر والشعراء 305/1).

(4) الخريدة – فارس 57/3.   (5) صَدْر البيت لعبد الله بن عمرو بن عثمان العرجي (ت120هـ) من شعراء الدولة الأموية ديوانه ص 34.

ومن جملة ما كتبه البديع الكرماني إلى شمس الدين أحمد شاذ نص نثري[1] ، ضمنه بيتين للشاعر نصيب بن رباح[2]:

(عن قلب يتقلّى على جمر أشواقه ، وكبدٍ ترجف لما أحستْ من فراقه:

كأنّ القلب ليلة قِيل يُغدى

بليلى العامرية أو يُراحُ[3]

قطاة عزّها شَرَكٌ فباتَتْ

تجاذبه وقد علق الجناحُ

لإعجابه بهذين البيتين ضمنها كاملين ، فالقدر هو القوة المهيمنة المبددة لآمال الشاعر في الحب ، هو نفسه الذي قاد تلك القطاة إلى الشّرَك.

---

(1) الخريدة فارس 65/3.

(2) نصيب بن رباح : شاعر أموي (ت108هـ) .

(3) شعر نصيب بن رباح ص 74.

الأوزان والقوافي:

إن الشعر العربي مظهر من مظاهر الفصاحة بين الخاصة من العرب ،ومجالاً لإظهار البراعة والمهارة على مر العصور ، ولا سيما بعد أن توحدت اللغة في أرجاء الجزيرة العربية ،فلم يكن الشعر في مقدور كل العرب بل كان صناعة قوم من خاصتهم،مهروا فيه،وعدوه أشرف منزلة ،وأعلى قدرًا من أن يكون في متناول جميع الناس والشعر وإن كان صناعة الخاصة من العرب فلا يقدر على قوله إلا القليلون منهم ،قد ذاع بين الناس الخاصة منهم والعامة ،يتأدبون به ويتغنون به في محافلهم ومجالسهم ،وينشِئون أبناءهم على حفظه، وروايته ، فلم يكن مقصورًا في إنشاده على بيئة اجتماعية خاصة،بل كان ملكًا للعرب جميعهم،يرددونه ،ويكثرون من ترديده،فلاعجب إذن أن تصبح نغمته الموسيقية مألوفة للجميع،ولا سيما الأوزان الكثيرة الشيوع،فلم يكونوا يشعرون بالفرق بين النثر والشعر من ناحية القافية فحسب، بل كان نسج الوزن يوحي إلى آذانهم المرهفة بفارق آخر، بين نسج الكلام العادي وما يجري عليه شعر الشعراء[1].والوحدة الإيقاعية في الشعر هي التي تميزه عن النثر ،وهذه الوحدة تختلف من بحر إلى آخر ،والوحدة تُخلق من التزام الوزن والقافية، فالتزامهما في القصيدة هو الأصل، كما هو في كل الشعر العربي إلا في الأراجيز والمسمطات. ولم يحاول أحد الخروج عن هذا التقليد؛ لأن طبيعة العصر ولا سيما العصر السلجوقي بعيدة عن مثل ذلك والشاعر المتمكن من كان يُراعي قواعد الشعر،

ولا سيما إذا جدد وطور نحو الأصعب،أو ما يمكن أن يكون صعبًا بالنسبة لغيره ، لأن التجديد والتطور في هذه الحال يُحسَب له،ويزيد من مشاعريته[2]. فالطغرائي مثلاً نظم قطعة محبوكة الطرفين يبدأ كل بيت بالحرف الذي ينهيه بها فيقول[3].

ضيفٌ سرى والليل ينقض صبغه

فوق الجنوب بجنحه الفَضفاض

---

(1) ينظر : موسيقى الشعر ص185.

(2) ينظر : الإيقاع في الشعر العربي ص11،والشعر العربي في العراق وبلاد عجم194/2.

(3) الديوان ص 211-212.

ضُرِبتْ باسنمة الجبال وقد سرت

خفاقة العذبات والإيماض

ضمنت عليه الريحُ فضل ردائه

وبه من السفان ندبُ عِضاض

ضافته أسرابُ البلابل والدجى

لم ترمِ سودُ قرونها ببياضِ

ولم يكتفِ بالقافية الواحدة ، بل نظم على قافيتين[1]:

يا أيها المولى الذي اصطنع الورى شرقًا وغربا

والمستعان على الزمان إذا اعترى وأجدّ حربا

أقسمت بالبُذل النوافخ في البرى قُودًا وقبا

واصلن نحو البيت باليسر السرى يحملن ركبا

ونظم الأرجاني أرجوزة رائية فيها أكثر من ثلاث مئة راء ، فيقول[2]:

سرى كما يسري القمر

والليل مسود الطرر

زورٌ سرى على خفرْ

طوى الفلا وما شعر

بدرٌ دجاه من شعر

عجبتُ والليل اعتكرْ

أو تكتب على النحو الآتي:

سرى كما يسري القمر . والليل مسود الطرر . زورٌ سرى على خفرْ

طوى الفلا وما شعر . بدرٌ دجاه من شعر . عجبتُ والليل اعتكرْ

وله قصيدة طويلة تُقرأ بأربعة أوزان(3) ، قالها في مدح عماد الدين طاهر بن محمد القاضي أولها(4):

---

(1) الديوان ص 44. (2) الديوان 609/2. (3) أو ما يطلق عليه (الدوبيت).

(4) الديوان 527/2-528.وينظر: الخريدة – فارس 250/3.

صبٌّ مقيمٌ سائر فؤاده

طوع الهوى مع الخليط المنجد

غائبُ قلبٍ حاضرٌ ودادُه

لمن نأى في عهدهم والمعهدِ

له جوًى مخامرٌ يعتاده

إذا اشتكى طيف الكرى في العود

لصبره يكابر انقاده

حشو الحشا بعد الحسان الخُرّد

أو تكتب على النحو الآتي:

صب مقيم سائر . فؤاده طوع الهوى . مع الخليط المنجد

غائب قلب حاضر . وداده لمن نأى . في عهدهم والمعهد.

وهذا الوزن لم يشع شيوعًا كافيًا في العربية ،حتى يصبح مألوفًا بين الناس، ولم نر شاعرًا مشهورًا قد اختصه بنصيب وافر من شعره باستثناء الأرّجاني، ولهذا لم تُروَ له إلا مقطوعات قصيرة قليلة ،وأغلب الظن أن الناظمين قد حاولوها للتفكه، أو إظهار البراعة والمهارة في النظم من أي وزن حتى لو كان غريباً على أوزان الشعر العربي(1).

ومعظم الشعراء تقريبًا لم يخالفوا العروض المعروف في عصرهم ،وإنهم لم يتقيدوا ببحر من البحور العروضية ،ولم يخرجوا على أعاريض واحد منها، ولم يتهربوا من البحور . طويلها وقصيرها . مجزوئها ومشطورها ،غير أن بعض الشعراء كان يغير قليلاً من الأوزان، ويتصرف فيها، ويوزعها توزيعًا يشبه نظم الموشحات ،ولعلهم صنعوا ذلك من أجل الغناء أو التفكة[2] كما أسلفنا.

كما أنهم نظموا كثيراً من قصائدهم على رويّ شعراء غيرهم، وهذا يدخل في باب المعارضة وسبقت إشارتنا إلى معارضة الطغرائي لقصيدة ابن هانئ الأندلسي

---

(1) ينظر : موسيقى الشعر ص 216-217.

(2) ينظر : حول الأدب في العصر السلجوقي ص 250.

التي مطلعها[1]:

أقول دمًى وهي الحسان الرعابيب

ومن دون أستار القبابِ محاريبُ

وقصيدة الطغرائي هي[2]:

لمن في عِراصِ البيد نوقٌ مطاريبُ

يدرسها رجع الحداء الأعاريبُ

وأيضًا له قصيدة مدح على روي قصيدة البحتري[3] التي مطلعها :

يهونُ عليها أن أبيتَ مُتيّمًا

أعالجُ وجدًا في الضمير مكتّما

وقد أنشأها الطغرائي في ليلة واحدة ، فقال معارضًا[4]:

سرى يكتسي قِطعًا من الليل مظلمًا

نزيع كرًى أهوى إليّ فسلّما

فلله ذاك الخشفُ خلّى كُناسه

وحل بوسط الغاب يطرقُ ضَيغَما

وتبدو الصنعة كذلك في استخدامهم لزوم ما لا يلزم[5] في القافية، ويدل الشاعر في هذا الفن على مقدرته اللغوية، وتمكنه من كشف الألفاظ المناسبة للروي والقافية ، كقول عيسى بن عبد الله البارع الغزنوي[6]:

فيا ليت شعري والأماني خوادعُ

وهل هلكتْ فيه نفوسٌ هوالكُ ؟

فيا ليت شعري يوم يؤذن مالك

أيرحمني مولاي أم أنا هالكُ ؟ ـــ

(1) ديوان ابن هانئ الأندلسي ص 34-40.

(2) ديوان الطغرائي ص 87-96.وينظر: الخريدة - أصفهان 80/1.

(3) ديوان البحتري 1981/2. (4) ديوان الطغرائي ص 323.

(5) لزوم ما لا يلزم أو اللزوميات : فن عُرف به المعري ، ونسب إليه.

(6) الخريدة - خراسان 131/2.

وقد سبقه أبو العلاء المعري بالقافية نفسها ،ولكن بالكاف المكسورة مع اللام بقوله[1]:

وجدتكم لم تعرفوا سبل الهدى

فلا توضحوا للقوم سبل المهالك

وما الدهر ألا حالك بعد أبيض

يُذيع بنا ، أو أبيض بعد حالك

بلوت أمور الناس من عهد آدمٍ

فلم أرَ إلا هالكًا إثر هالك

متى متُّ لم أحفلْ تَحيَّة واقفٍ

عليّ ،ولم أعلم بإحدى المآلك

إذا كان هذا التُّربُ يجمع بيننا

فأهل الرزايا مثل أهل الممالك

3

(1) اللزوميات 238/2.

الــخـــــــــــــــ ـــاتـــــــــــــــــ ـــــــمـة

نــتــائــج الــبــحـــث

يمثل القرن السادس للهجرة . كما هو معروف . مرحلةً وسطًا، أو حلقة وصل بين عصور ازدهار الشعر العربي وعصور الانحطاط والضعف ،وحين سلطنا الأضواء على الشعر العربي في هذا القرن من خلال فريدة العجم توصلنا إلى النتائج الآتية

1. كان النتاج: الأدبي من حيث الكمية غزيرًا جدًا،ولكنّ الكثرة لا تعنينا بقدر ما تعنينا الجودة،ولو كانت الكثرة معيارًا لشاعرية الشاعر لكان الأرّجاني أشعر شعراء القرن السادس للهجرة.

2. إن الذين ترجم لهم العماد الأصفهاني ليسوا كلهم شعراء،بل هم أفاضل العصر في الإدارة والعلم والسياسة والأمارة،جربوا حظهم من الشعر لإبراز مقدرتهم اللغوية أو للتفكه،والشعراء منهم قليلون جدا.

3. الشعراء لم يأتوا بجديد أو مبتكر ،لأن المتقدمين قد سبقوهم إلى ذلك ،وعلى الرغم من براعتهم اللغوية ،إلا أن الموهبة كانت تعوزهم نوعًا ما.

4. أغراض الشعر السائدة في هذا العصر هي في مجموعها استمرار لأغراض القرون السالفة، بموضوعاتها وأطرها الفنية،لأننا وجدنا أبياتًا ، أو بالأحرى قصائد تذكرنا بتراكيب الشعراء الكبار ، وهذا ما رأيناه في أشعار الأبيوردي والطغرائي والارجائي،فمفرداتهم قد احتفظت بنقاوتها وفصاحتها ،إلا أنهم لم يبلغوا شأو السابقين من طبقة أبي تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي.فقصائد المديح كانت تفتتح بمطالع تقليدية(مقدمة غزلية،أو خمرية،أو طللية،أو وصف الشيب..الخ من المقدمات)،ومعاني المدح هي نفسها لا تخرج عن دائرة التقليد والمحاكاة التي أصبحت جزءاً من الأصالة الفنية ، فشعراء العصر وجدوا أمامهم تراثًا من المعاني،فالتفتوا إليه مصطنعين شتى أساليب الأداء،ولكن لم تختلف عن معاني سابقيهم.

أما الغزل : فبعض الغزل الذي قيل في المذكر،قد يكون مجاراة لذوق العصر ،أو كما أظن قد يكون الشاعر مصرحًا بالمذكر،ولكن يريد به المؤنث ،فالمجتمع الشرقي يقلل من اختلاط المرأة بالرجل،فكيف إذا كان شاعرًا يُحسِن التغزل وسرعان ما يذاع شعره بين الناس الخاصة منهم والعامة ؟فتغدو المسألة معقدة بالنسبة للشاعر والمرأة المُتَغَزّل بها ،ولكي يحافظ الشاعر على علاقته بمحبوبته يصرح بها، ولكن بضمير يعود على المذكر وليس على المؤنث . فالشاعر هنا يخاف المجتمع ويخشى عقابه.

وقد يتجرأ الشاعر على المجتمع ،فيحدد مواطن الفساد ،ويرصد الظواهر الشاذة ،ويحاربها ،وفي هذا كله لم يميز بين سلطان أو رجل من العامة،وهذا ما رأيناه في شعر الهجاء ،ولا سيما حينما يهجون بعض الوزراء والسلاطين وكبار الدولة.

وشعر الخمرة على الرغم من قلته إلا أنه كشف لنا عن الجوانب اللاهية من حياة الشعراء ،وما تناولوه من أنواع اللهو في مجالس الشرب ،وربما أن بعضهم لم يلجأوا إلى الخمر بدافع اللهو ،بل هربًا من متاعبهم ومشاكل حياتهم اليومية .

وكان للحروب أثر سلبي في تفريق الأحبة والأصدقاء،ولكن هذا لا يعني(الفراق الأبدي) ، فقد كانت بينهم مراسلات ومساجلات إخوانية تديم التواصل بين الأحباب والأصحاب الذين غربتهم أو باعدت بينهم نائبات الدهر.

وفي كل مكان وزمان يوجد الخير والشر ،والحق والباطل ،فكما وجدنا شعراء ماجنين أشاعوا شعرهم الماجن بالتحريض على شرب الخمر والإقبال على ملذات الحياة،أو بإشاعة شعر الفحش والقذف ، وجدنا شعراء زاهدين حاولوا جاهدين تأدية الصورة الزاهدة ،مقابل المجون والفواحش ، إذ حثوا على ترك الملذات ،والقناعة بالميسور من العيش ،وحضوا على الاتجاه نحو الآخرة.

5.تبع هذا العصر العصور السابقة في تناوله الصور البلاغية والمحسنات البديعية،بل اكثروا من تناولها

6.تعمد بعضهم الخروج على المألوف في الأوزان والقوافي كالأرّجاني على سبيل المثال، فزاولوا الرباعيات، وبنوا قصائدهم على قافيتين أو أكثر .

7.لم يأنف أكثر شعراء العصر كالطغرائي–مثلاً– من مزاولة المعارضة الشعرية،على الرغم من غرابة هذا النهج عن الشعر الحق .

وبعد: فقد بذلت ما أستطيع في البحث والتدقيق ،ومع ذلك فأنا واثقة أنه قد فاتني الكثير ومعترفة بأنه فوق كل ذي علم عليم ،وما أنا إلا طالبة علم أدعو من الله أن يكون جهدي مقبولاً ومرضياً،ويغفر ما فرط مني من زلل – والله ولي التوفيق.

جرد باسماء الشعراء الذين استشهدت بأشعارهم في هذه الرسالة

إقليم أصفهان

ت	اسم الشاعر	ملاحظات : له ديوان أم لا
1-	**أبو الفضل بن كاهوية التميمي**	
2-	**أحمد بن حامد الثقفي**	
3-	**محمود بن محمد الثقفي**	
4-	**الأحد أحمد بن برعش الجرذقاني**	
5-	**صدر الدين الخجندي**	
6-	**محمد بن أحمد الدوائي**	
7-	**امرؤ القيس الرويدشتي**	
8-	**فخر الدين بن الرويدشتي**	
9-	**أبي طاهرالسلفي**	
10-	**الكمال السميري**	
11-	**عزيز الدين الشملكي**	
12-	**الأديب الصالحاني**	
13-	**أحمد بن محمد الصدر**	
14-	**أبن الهيثم الأصفهاني**	
15-	**إسماعيل الأصفهاني**	
16-	**الحسين بن علي الطغرائي**	
17-	**إسماعيل العارض**	
18-	**أبو علي العلوي**	
19-	**العماد بن الشرف**	
20-	**حمدان بن فورجة**	
21-	**أحمد القاشاني**	
22-	**أبو الفضل المظفر**	
23-	**فخر الدين أبي المعالي**	له ديوان
24-	**عبد الله المعداني**	
25-	**فخر الدين مفتي الفريقين**	
26-	إسماعيل بن منصور	
27-	**أبن مسهر الموصلي**	
28-	أبو سعد محمد بن إبراهيم النجيب	
29-	أبو الفتح النظنري	
30-	الحسين الوركاني	

إقليم خراسان

ت	اسم الشاعر	ملاحظات : له ديوان أم لا
-1	أرسلان بن محمد أبو علي	
-2	الأمام أبو الفتح	
-3	أحمشاذ عبد السلام أبو المكارم	
-4	شمس الدين أبو المكارم	
-5	عبد القاهر بن شاهفور	
-6	أبو المظفر الأبيوردي	له ديوان
-7	أبي الحسن الباخرزي	له ديوان
-8	حميد الدين البلخي	
-9	إدريس البياري	
-10	أبو الحسن البيهيقي	
-11	بديع الترك	
-12	عبد الواسع الجبلي	
-13	البارع الزرزني	
-14	عبد الرحمن الشحامي	
-15	وجيه الشحامي	
-16	منصور بن محمد العاصمي	
-17	العميد الغانمي	
-18	أحمد بن محمد الغزالي	له ديوان
-19	عطاء بن يعقوب الغزنوي	
-20	عيسى بن عبد الله الغزنوي	
-21	أحمد القائد	
-22	أبو القاسم القشيري	
-23	عبد الرحمن القشري	
-24	الأمير المروزي	
-25	أبو عبد الرحمن المستملي	
-26	أبو حفص النسفي	
-27	يعقوب النيسابوري	
-28	عبد الله الهروي	
-29	القاضي الهروي	
-30	الرشيد وطواط	له ديوان

إقليم فارس

ت	اسم الشاعر	الملاحظات : له ديوان أم لا
1-	أبو بكر الأرجاني	**له ديوان**
2-	عمر الأنصاري	
3-	شبيب بن الحسن البروجردي	
4-	أبو زكريا التبريزي	
5-	أبو عباس الحويزي	**له ديوان**
6-	شهاب الدين الحويزي	
7-	أبو طاهر الخاتوني	
8-	أبو الحسن الرازي	
9-	هبة اله الشيرازي	
10-	محمد الطبري	
11-	الحسين بن واصل الفارسي	
12-	جمال الدين الفرحاني	
13-	علي الفرحاني	
14-	علي محمد القهروذي	**له ديوان**
15-	أبو المعالي القومسي	
16-	أبن بكويه الكرجي	
17-	البديع الكرماني	
18-	أبو الكفاءة الكرماني	
19-	الناصح الكرماني	
20-	الشريف النوبندجاني	
21-	أبو العشائر الهمذاني	
		له ديوان

وتجاوزت الاستشهادات بشعراء آخرين استشهد بهم العماد الأصفهاني (ت597هـ) ،وهؤلاء الباقون معظمهم لا تتواخر لهم دواوين من جهة ، وهم مقلون ومغمورون من جهة أخرى.

المراجع والمصادر

المـــراجـــع والـمـصـــادر

ـ القرآن الكريم
ـ الأبيوردي . حياته . دراسة في شعره القومي . تأليف نوري شاكر الآلوسي . دار الحرية للطباعة والنشر . بغداد 1980م.
ـ احذروا جهنم . عبد الهادي عبد الأمير المهاجر . مطبعة المعارف . بغداد 1998م.
ـ الأدب العربي في إقليم خوارزم . هند حسين طه . منشورات وزارة الإعلام . الجمهورية العراقية . سلسلة الكتب الحديثة 1976م.
ـ الأدب العربي في العصر الوسيط (من زوال الدولة العباسية حتى بدء النهضة الحديثة) . الدكتور ناظم رشيد . الموصل 1992م.
ـ أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) بتعليق أحمد مصطفى المراغي . المكتبة التجارية الكبرى،مطبعة الاستقامة . القاهرة (د.ت).
ـ الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية . أحمد الشايب . طـ 6 . مكتبة النهضة المصرية 1966.
ـ الأعلام (معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) . خير الدين الزركلي(د.ت).
ـ أعيان الشيعة . محمد الأمين العاملي (ت 1371 هـ) تحقيق: حسن الأمين . دار التعارف . بيروت (د.ت).
ـ الأغاني . أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت 356 هـ) . وزارة الثقافة والإرشاد القومي . المؤسسة المصرية العامة . مصر(د.ت).
ـ الأمام الشافعي (فقيه السنة الأكبر) (150 . 204هـ) . عبد الغني الدقر . دار القلم . بيروت 1976.

ـ الأنباء في تاريخ الخلفاء . محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت580هـ) تحقيق : قاسم السامرائي . المعهد العالي الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية لآيدن 1973.

ـ الأنساب . أبوسعد بن عبد الكريم محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت562هـ) . تحقيق: شرف الدين أحمد اليماني . وزارة المعارف للتحقيقات العلمية للحكومة العالية الهندية . حيدر آباد 1976م.

ـ إيران ، من سلسلة شعوب العالم . حسن محمد جوهر ،ومحمد مرسي أبو الليل . دار المعارف . مصر 1961م.

ـ الإيضاح في علوم البلاغة (مختصر تلخيص المفتاح) . الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد القزويني . (د.ت).

ـ الإيقاع في الشعر العربي (من البيت إلى التفعيلة) . الدكتور مصطفى جمال الدين . مطبعة النعمان . النجف الأشراف 1390هـ . 1970م.

ـ البداية والنهاية . أبو الفداء الحافظ بن كثير . مكتبة المعارف . بيروت 1966م.

ـ البديع في نقد الشعر . أسامة بن منقذ (ت584هـ) . تحقيق : الدكتور أحمد بدوي ،والدكتور حامد عبد المجيد . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . مصر (د.ت).

ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم 1964م.

ـ البيان والتبيين . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ) . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . بيروت . لبنان(د.ت).

ـ تاج العروس من جواهر القاموس . محمد مرتضى الزبيدي . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . لبنان(د.ت).

ـ تاريخ الأدب العربي . أحمد حسن الزيات . دار النهضة . القاهرة(د.ت)

ـ تأريخ الأدب العربي . الدكتور شوقي ضيف :

أ . العصر العباسي الأول . دار المعارف . القاهرة 1959م.

ب . عصر الدول والإمارات . دار المعارف . القاهرة 1980م.

ـ تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني . الدكتور إبراهيم علي أبو الخشب . دار الفكر العربي 1975م.
ـ تأريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان،نقله إلى العربية الدكتور السيد يعقوب البكر،والدكتور رمضان عبد التواب . دار المعارف . مصر .1975م.
ـ تأريخ إربل(نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل) . شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد الأربلي المشهور بابن المستوفي (ت635هـ) . تحقيق : سامي الصفار . بغداد 1980م.
ـ تاريخ بغداد . أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان (د.ت).
ـ تأريخ دولة آل سلجوق (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني) اختصار الفتح بن علي بن محمد البغدادي . دار الآفاق العربية الجديدة . بيروت 1978م.
ـ تأريخ الشعر العربي في العصرين الأول والثاني من خلافة بني العباس . الدكتور محمد بن عبد العزيز الكفراوي . مكتبة نهضة مصر . القاهرة . 1964م.
ـ تأريخ النقائض في الشعر العربي . أحمد الشايب . مطبعة السعادة . مصر (د.ت).
ـ تتمة المختصر في أخبار البشر . زين الدين عمر بن الوردي . إشراف وتحقيق:أحمد رفعت البد راوي . دار المعارف . بيروت . لبنان .1970م.
ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن . ابن أبي الإصبع المصري (ت654هـ) . تحقيق: حنفي محمد شرف . القاهرة . 1383هـ .
ـ تراجم رجال القرنين (السادس والسابع)المعروف بـ(الذيل على الروضتين) . شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي (ت665هـ) . دارالجيل . بيروت 1974م.
ـ تفسير الجلاليين للإمامين :جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ،وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . دار الشعب 1970م.

ـ تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب . ابن الفوطي كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد بن الفوطي الشيباني الحنبلي(ت 723هـ) ، حققه: الدكتور مصطفى جواد . مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم . دمشق (د.ت).

ـ جمهرة الأمثال البغدادية . عبد الرحمن التكريتي . مطبعة الإرشاد . بغداد 1971.

ـ الحروب الصليبية (عهد الوحدة) . الدكتور سالم محمد الحميدة . دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد 1993م.

ـ حول أدب الحروب الصليبية . أحمد عثمان عبد المجيد ، وإبراهيم عابدين . طـ 10 . الكويت 1987م.

ـ حول الأدب في العصر السلجوقي . الدكتور محمد ألتونجي . منشورات قورينا . بنغازي 1974م.

ـ خريدة القصر وجريدة العصر . العماد الأصفهاني (ت597هـ) :

أ . قسم . بلاد الشام . تحقيق : الدكتور شكري فيصل . المطبعة الهاشمية . دمشق 1375هـ .1955م.

ب . قسم . العراق . تحقيق : محمد بهجت الأثري . مطبعة المجمع العلمي العراقي . ط1 . 1964م ،وط 2 . 1978م .

ج . قسم . بلاد العجم . بأجزائه الثلاثة : 1 .فضلاء أهل أصفهان .

2. فضلاء أهل خراسان وهراة. 3.فضلاء أهل فارس ، تقديم وتحقيق :عدنان محمد آل طعمة . طهران 1999م.

ـ دراسات بلاغية ونقدية . أحمد مطلوب . دار الحرية . للطباعة . بغداد 1980م.

ـ دراسات في الأدب العربي . إنعام الجندي . ط2 . دار الأندلس للطباعة والنشر . بيروت . لبنان 1967م.

ـ دراسات في تأريخ الدولة العباسية . الدكتور حسن الباشا . دار النهضة . القاهرة 1975م.

ـ دراسات في الشعر الفارسي حتى القرن الخامس الهجري . الدكتور محيي نور الدين عبد المنعم . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة 1976م.

ـ دليل الناقد الأدبي . د.ميجان الرويلي، ود.سعد البازغي . ط2 . المركز الثقافي العربي 2000 م.

ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر . أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الباخرزي (ت467هـ) . تحقيق :الدكتور سامي مكي العاني . مطبعة النعمان . النجف الأشرف 1971م.

ـ ديوان ابن هانئ الأندلسي . دار صادر للطباعة والنشر . بيروت1964م.

ـ ديوان أبي تمام (حبيب بن أوس الطائي(ت231هـ) . بشرح الخطيب التبريزي . تحقيق : محمد عبدة عزام . دار المعارف . القاهرة 1964م.

ـ ديوان أبي العتاهية . دار التراث . بيروت 1389هـ . 1969م.

ـ ديوان أبي نواس (الحسن بن هانئ) . برواية الصولي . تحقيق : الدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي . دار الرسالة للطباعة والنشر . بغداد1980م.

ـ ديوان الأبيوردي (ت507هـ) . تحقيق :عمر الأسعد . ط1. مجمع اللغة العربية . دمشق 1974م ،والطبعةالثانية . مؤسسة الرسالة . بيروت 1987م.

ـ ديوان الأدب . محمد بهجت الأثري ،وكمال إبراهيم،وعبد الكريم الدجيلي . ط2 . وزارة المعارف العراقية . مطبعة النجاح . بغداد 1951م.

ـ ديوان الأرجاني . جمع وتحقيق:الدكتور محمد قاسم مصطفى . مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر . بغداد . 1980م.

ـ ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) شرح وتعليق د.م محمد حسين . مكتبة الآداب والجماميزت . المطبعة النموذجية . 1950م.

ـ ديوان الباخرزي . تحقيق محمد التونجي . بنغازي . 1973م.

ـ ديوان البحتري . شرح وتعليق :حسن كامل الصيرفي . دار المعارف . مصر .1964م.

ـ ديوان الحطيئة (برواية وشرح ابن السكيت)(ت246هـ) ، تحقيق د.نعمان محمد أمين طه . القاهرة 1987م.

ـ ديوان الحماسة لأبي تمام . شرح العلامة الخطيب التيريزي . دار القلم . بيروت . لبنان (د.ت).

ـ ديوان الشافعي (الأمام محمد بن إدريس) ،تحقيق وتقديم د.محمود بديع . دار الإسراء للنشر والطباعة . عمان . الأردن . 2005م.
ـ ديوان الشريف الرضي . مكتبة دار البيان . بغداد . مطبعة بيروت الأدبية 1307هـ.
ـ ديوان الطغرائي . تحقيق :علي جواد الطاهر ويحيي الجبوري . الجمهورية العراقية . دار الطباعة والنشر 1976م.
ـ ديوان العرجي . تحقيق خضر الطائي . رشيد العبيدي . الشركة الإسلامية للطباعة والنشر . بغداد 1956م.
ـ ديوان عماد الدين الأصفهاني . تحقيق أ.د ناظم رشيد . مطبعة جامعة الموصل . 1983م.
ـ ديوان الفرزدق . تحقيق :عمر فاروق الطباع . شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم . بيروت لبنان 1977م.
ـ ديوان المتنبي . ناصيف اليازجي . دار القلم للملايين . بيروت لبنان (د.ت).
ـ ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . مكتبة الأندلس . بغداد 1352هـ.
ـ ديوان الملك الأمجد (مجد الدين بهرام شاه الأيوبي) . دراسة وتحقيق : د. ناظم رشيد . مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية . الجمهورية العراقية . 1980م.
ـ ديوان النابغة الذبياني . صنعة ابن السكيت . تحقيق : شكري فيصل (ط دار الفكر) (د.ت).
ـ الرثاء في الشعر العربي ،أو جراحات القلوب . محمود حسن . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . لبنان 1402هـ.
ـ رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية . د.مصطفى الشكعة . دار النهضة العربية للصناعة والنشر . بيروت . لبنان 1971م.
ـ الروضتين (النورية والصلاحية) . شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف (بأبي شامة) . نشر وتحقيق محمد حلمي أحمد . مطبعة لجنة التأليف والنشر . القاهرة . 1956م.

ـ الزهرة . أبو بكر محمد بن داود الأصفهاني . تحقيق إبراهيم السامرائي ونوري حمودي القيسي . وزارة الأعلام . سلسلة كتب التراث . الجمهورية العراقية . 1975م.

ـ سياسة صلاح الدين الأيوبي(بلاد مصر والشام والجزيرة)(570-589هـ) . إعداد :دريد عبد القادر نوري . مطبعة الإرشاد . بغداد 1976م.

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب . أبن العماد الحنبلي (ت1089هـ) . القاهرة 1350 . 1351هـ .

ـ الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون) للدكتور السيد الباز العريني . دار النهضة العربية . بيروت . 1967م.

ـ شعر الأخطل :رواية أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي . (ط2 دار المشرق . المطبعة الكاثوليكية . بيروت . لبنان . 1986م.

ـ الشعر الجاهلي . الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي . دار الكتاب اللبناني . بيروت . 1393 هـ . 1973م.

ـ شعر زهير بن أبي سلمى : تحقيق :فخر الدين قباوة . المطبعة العربية . حلب . 1970م.

ـ الشعر العراقي في القرن السادس الهجري . مزهر عبد السوداني . دار الرشيد للنشر . منشورات وزارة الثقافة والأعلام . العراق . 1980م .

ـ الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي (أواسط القرن الخامس . أواسط القرن السادس) . الدكتور علي جواد الطاهر . مطبعة العاني . بغداد . 1961م.

ـ شعر الكميت بن زيد الأسدي: جمع وتقديم الدكتور داود سلوم . مطبعة نعمان . النجف الأشرف . بغداد (د.ت).

ـ شعر نصيب بن رباح : جمع وتقديم الدكتور داود سلوم . مطبعة الإرشاد . بغداد . 1967م.

ـ الشعر والشعراء أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ) . مطبعة بريل . 1903م.

ـ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب . أحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت 876هـ) . تحقيق أ.د ناظم رشيد . دار الحرية للطباعة والنشر . بغداد (د.ت).

ـ شيء من التراث ، تأليف :عبد الجبار داود البصري . مطبعة دار البصري . بغداد . 1986م.

ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا :القلقشندي ،نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية . وزارة الثقافة والإرشاد القومي /المؤسسة المصرية العامة للنشر . القاهرة (د.ت).

ـ الصحاح . تاج العربية وصحاح العربية . إسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار . دار الكتاب العربي . مصر 1377هـ.

ـ صحيح البخاري ،دار إحياء التراث . بيروت . لبنان .2001 م.

ـ صلاح الدين الأيوبي (دراسات في التأريخ الإسلامي) السير هاملتون آ . رجب، حررها يوسف أيبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . 1973م.

ـ صلاح الدين الأيوبي(رواية تاريخية) تأليف :جرجي زيدان . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت (د.ت).

ـ الصناعتين (الكتابة والشعر) . أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي ،محمد أبو الفضل إبراهيم . دار أحياء الكتب العربية . ط 1 . عيسى الباب الحلبي 1952م.

ـ طبقات سلاطين الإسلام . استانلي لبن بول ، تحقيق :علي البصري . دار منشورات البصري 1388 هـ .

ـ طبقات الشافعية . تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب علي عبد الكافي الأسنوي) . تحقيق : عبد الله الجبوري . بغداد . 1970م.

ـ طبقات الشافعية الكبرى . السبكي . تحقيق : محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو . ط1 . مطبعة عيسى البابي الحلبي 1384 هـ . 1965م.

ـ العباسيون الأوائل . د.فاروق عمر . ساعدت جامعة بغداد على نشره . دار الإرشاد . بيروت(د.ت).

ـ العقد الفريد . أبيو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي . شرحه أحمد أمين،وإبراهيم الأبياري،وعبد السلام هارون . القاهرة . 1949م.

ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيرواني الأزدي (456هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . مكتبة السعادة . مصر ط1 1955م،و ط2 1964م.

ـ عيار الشعر . محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي(ت322هـ) . تحقيق : طه الحاجري ،ومحمد زغلول سلام . المكتبة التجارية الكبرى . شارع محمد علي . القاهرة 1956م.

ـ الغيث المسجم في شرح لامية العجم . صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764 هـ) . دار الكتب العلمية . لبنان(د.ت).

ـ فن الفخر وتطوره عند العرب : إيليا حاوي . منشورات دار الشرق الجديد (ط1) . 1960م.

ـ فن الهجاء وتطوره عند العرب . إيليا حاوي . دار الثقافة . بيروت(د.ت) .

ـ قصص القرآن الكريم . د.أحمد الكبيسي،صلاح محمد علي . ط4. وزارة الثقافة . جمهورية العراق . بغداد .2005م.

ـ الكامل في التاريخ . ابن الأثير . دار صادر. بيروت 1399 هـ . 1979م.

ـ لامية الطغرائي . الدكتور علي جواد الطاهر . مطبعة العاني . بغداد . 1962م.

ـ اللباب في تهذيب الأنساب . عز الدين بن الأثير الجزري . مكتبة المثنى . بغداد(د.ت).

ـلزوم ما يلزم (اللزوميات) . أبو العلاء المعري . دار صادر للطباعة والنشر . بيروت . 1961م.

ـ لسان العرب . ابن منظور . طبعة دار الفكر . القاهرة(د.ت).

ـ لمحات من تاريخ الأدب العربي (من العصر الجاهلي . حتى العصر الحديث) . محمد عباس حميد . مطبعة الحوادث . بغداد . 1977م.

ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير . تحقيق : أحمد الحوفي ،وبدوي طبانة ،مكتبة نهضة مصر . القاهرة .1959م.

ـ المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ . د.محمد عويس . دار الثقافة للطباعة . القاهرة 1977م.

ـ محاضرات في تأريخ النقد عند العرب . د.ناصر حلاوي ،ود.ابتسام مرهون الصفار . بغداد(د.ت).

ـ المحمدون من الشعراء وأشعارهم . علي بن يوسف القطفي(ت 646هـ) . تحقيق : حسن معمري . بيروت . 1970م.

ـ المختار من صحاح اللغة . محمد محيي الدين عبد الحميد ،ومحمد عبد اللطيف السبكي . مطبعة الاستقامة الكبرى . القاهرة(د.ت).

ـ المختصر في أخبار البشر . أبو الفداء عماد الدين إسماعيل . مكتبة المثنى . القاهرة(د.ت).

ـ مدرسة أبي تمام بين قدامى المولدين والمتأخرين . عبد المتعال الصعيدي . مكتبة القاهرة(د.ت).

ـ مرآة الزمان في تأريخ الأعيان . شمس الدين أبو المظفر يوسف الشهير بسبط ابن الجوزي (ت 654 هـ) . ط1 . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد . 1951م.

ـ معجم الأدباء . شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان (د.ت).

ـ معجم ألقاب الشعراء . د.سامي مكي العاني . مطبعة النعمان . النجف الأشرف .1971م.

ـ معجم البلدان . ياقوت الحموي . ط1 . طهران . 1965م . وط دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان(د.ت) .

ـ المفصل في تأريخ الأدب العربي . أحمد الإسكندري ،وأحمد أمين وعبد العزيز البشري . وزارة المعارف العمومية . مكتبة الآداب ومطبعتها(د.ت).

ـ مقالات علي جواد الطاهر . مطبعة اتحاد الأدباء العراقيين . بغداد .1962م.
ـ المقدمة . ابن خلدون . ط دار العودة . بيروت . 1981م ، وط المطبعة البهية المصرية(د.ت).
ـ المنتخب من أدب العرب . تحقيق : أحمد الإسكندري ، وأحمد أمين . دار الكتاب العربي . مصر . 1954م.
ـ المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء . القاضي أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني الثقفي (ت 482هـ) . طبع في دار صعب . بيروت . ومكتبة البيان . بغداد(د.ت).
ـ المنتظم في تأريخ الملوك والأمم . أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي(ت597هـ) . دار المعارف . حيدر آباد 1357هـ .
ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء . حازم القرطاجني . (ت 684 هـ) تحقيق: محمد الحبيب(د.ت).
ـ الموازنة بين أبي تمام (حبيب بن أوس،وأبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري) أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي (ت 370 هـ) . تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد . ط2 . المكتبة التجارية الكبرى . شارع محمد علي . مصر 1373 هـ . 1954م.
ـ موسيقى الشعر . د.إبراهيم أنيس . ط2 . الانجلو المصرية 1965م .
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تعري بردي الاتابكي (ت 874 هـ) . دار الكتب المصرية .1936م.
ـ النظرية النقدية عند العرب (حتى نهاية القرن الرابع) . د.هند حسين طه . دار الرشيد للنشر . وزارة الثقافة والأعلام . بغداد . 1971م.
ـ نقائض جرير والفرزدق . مطبعة بريل . 1905م.
ـ نقد الشعر . قدامه بن جعفر (ت 337 هـ) . تحقيق :كمال مصطفى . مكتبة الخانجي . القاهرة . 1963م.
ـ النقد المنهجي عند الجاحظ . د:داود سلوم . مطبعة المعارف . بغداد . 1960م.

ـ نهاية الارب في فنون الأدب . شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 732 هـ) . دار الكتب المصرية . وزارة الثقافة والإرشاد القومي . المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر (د.ت).

ـ هدية العارفين (أسماء المؤلفين في آثار المصنفين) . إسماعيل باشا البغدادي . طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية . مكتبة المثنى . بيروت . 1955م.

ـ الوافي بالوفيات . صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي . انتشارات جهان . طهران . إيران .1961م.

ـ وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي . حياة جاسم . دار الحرية . بغداد . 1972م.

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . ابن خلكان (ت 681 هـ) . تحقيق د.إحسان عباس . دار صادر . بيروت . 1971م.

ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي (ت429 هـ) . تحقيق . محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة . 1951م.

الرسائل الجامعية

ـ الحياة والموت في شعر عهد بني أيوب (567 . 648 هـ) : ليلى عبد الحميد علي الهنداوي (رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة) . كلية التربية للبنات . جامعة بغداد . 2003 – 2004م.

ـ المكان عند شعراء بني أيوب . دراسة فنية . نضال عبد الجبار حسوني (رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة) . كلية التربية للبنات . جامعة بغداد . 2002 – 2003م.

الدوريات

ـ مجلة آفاق عربية ، د. كاظم صليبي العائدي بعنوان (العلاقة الجدلية بين الشعر المعاصر والتراث العربي)مطابع دار الشؤون الثقافية .

ـ الأديب :د.عدنان بن ذريل بعنوان :(بلاغة التضمين في الشعر الحديث) مطابع الوفاء،بيروت .

ـ الأقلام :د. مرشد الزبيدي بعنوان : (مفهوم البناء الفني للقصيدة في النقد العربي الحديث).

ـ التضمين تعالقًا بين معلقة امرئ القيس وابن جابر الأندلسي . د. فاطمة حيدر علي . كلية التربية للبنات . جامعة بغداد 2004م.

ـ الجمهورية الأربعاء (6 –12) ذو القعدة . 5 حزيران 1990 م ، د. مهدي شاكر العبيدي بعنوان : (واقعة في حياة الشاعر الابيوردي).

ـ المورد العدد الرابع لسنة 2002 م ،أ.د.أحمد إسماعيل النعيمي بعنوان : (صور الشعراء الفنية قبل الإسلام من الوجهة النفسية).

إقـرار

أشـهد أنّ هذه الرسـالة الموسومة بـ (الشـعر العربـي في بـلاد العجم فـي القرن السـادس للهجـرة ، مـن خـلال خريـدة القصـر وجريـدة العصـر للعمـاد الأصـفهاني (ت597هـ)).جرت تحت إشـرافي في قسم اللغـة العربـية . كليـة التربـية للبنـات . جامعـة بغداد ، وهـي جزء من متـطلبات نيل درجـة الماجسـتير فـي اللغـة العربيـة وآدابها.

التوقيع :

الاسم : أ. د.ناظم رشيد شيخو

التاريخ:

بناء على توصية المشرف أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع :

الاسم : أ.م.د.حسن منديل

(رئيس قسم اللغة العربية)

التاريخ :

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (الشعر العربي في بلاد العجم في القرن السادس الهجري من خلال خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (ت 597هـ)،المقدمة من الطالبة جنان قحطان فرحان ، وفي محتوياتها ،وفيما له علاقة بها ،ونقدر أنّها جديرة بالقبول بتقدير
(**جيد جــدًا**) ، لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع:

الاسم: أ.د. أحمد إسماعيل النعيمي.
(رئيساً)

التوقيع:

الاسم: أ.د. عبد الكريم توفيق العبود.
(عضواً)

التوقيع:

الاسم: أ. م.د. إنعام داود سلوم.
(عضواً)

التوقيع

الاسم: أ.د. ناظم رشيد شيخو.
(مشرفاً)

التوقيـع :   التوقيـع :

الاسم : أ.د. ناظم رشيد شيخو.   الاسم : د. جاسم محمد عبد

(عميد كلية التربية للبنات)   (رئيس قسم اللغة العربية)

Abstract

Potry in the edest literary vesige because of its relation ship with feeling. It doesn’t need an elevation in mind or depth in science oradvancement in urbanization .Since the raw material of poerty in imagination، Since the food imagination in sense and Since The Arabs don’t see from the views but the faces of the desert even if urbanized don’t hear but the stories of herosim an war don’t know but the beauty of women they were innovative in their description and expression of their emotions.

The Arabic poetry in purely lyrical and it would not be palatable unless recited .Therefore The poets portraited themselves including their emotions and feeling that are in away similar in most of the hearts and are agreed upon by most tongues.

Then repetition stream of consciouness style unity and similarity of effegt emerged.

The poets specially of the suder age were aware of this issue.Therefore they went to mimic the poetry of the old but through new pictures inspite of the (Crusades)and the spread of the region of Islam to the furthest part of the East and the spread of the Arabic languge in awary that never occurred to another. The palace Maid and the Journalof the age has been published recently _ department of percia _ for Imad Al_ Asfahani died in (597 H).

It contains abundant poetry that hasn’t been studied scientifically and independently being derived from the its

sources.This study has been specified to one art which is the Arabic poetry in percia in the sixth Hijri century.

Concerning the plan of the study it includes an introducton in which present a study of the political social cultural and literary life in percia in the sixth century and I have tried to show the factors that have a direct or in direct influence on the literary a spects because we can not understand away from the life surrounding it.

The studey is done through three chapters:

The first chapter is specified to study the distinguished poets of the Maid three distinguished ones :Al _ Aburdi died in (507 H) the poet of Khurasan and Hurat Al_Taghrace died in (515 H). the poet of Asfahan and Al_Arjani died in (544 H).the poet of Faris taking into account the aspect of thiersocial political and literary life.

The second chapter includes the poetic purposes dealt with in the Maid book and we have depended on the criterion of quality.Each poet tried his best to do his art.Some poets did succeed in doing so others didn't .The primary source for the poetic purposes was the Maid book itself in addition to other sources.

Our classification of the poltic purposes actually depends on the artistic quality at first then quantity and the bestseller in the age strating with praising flattering lamenting honoring complaining satire description while hair brotherhood wine wisedom and preachment.

The third chapter includes :

1.language and style.

2.rhetorical faces.

3.rhyme &meter.

The conclusion of the present study clarifiesthe results reached all. The researcher has depended on the collections available and also has made use of the books of history criticism and rhetorics The book of The Palace Maid and the Journal of the Age" For Imad Al _ Asfahani has a clear touch in putting the basis of this study.

This study hasn’t been finished without the help of the superviser prof.Dr.Nadhim Rasheed whose knowledge cooperation and supportare quite clear in the chapters of this study .May allah bless him and prolong his age .

Id like to thank the staff of the department of the Arabic specially Dr.Hasan Mandeed the Head of the department Dr.Adil ketab Al_Azzawi and Dr.Asume Abid Rawah Al_Dulaimi for their help and advice .Thanks are also due to Mri Samir Ali Al _ Shaibani.

Finally Id like to thank all members of my family for their love support care and encouragement.